

تاريخ الدولة السعودية الثانية

تاريخ الدولة السعودية الثانية

١٢٥٦هـ - ١٣٠٩هـ
١٨٤٠م - ١٨٩١م

الأستاذ الدكتور
عبدالفتاح حسن أبوعلية
أستاذ التاريخ الحديث بكلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



ص . ب : ١٠٧٢٠ - الرياض : ١١٤٤٣ - ت لكس ٤٠٣١٢٩
المملكة العربية السعودية - تليفون ٤٦٥٨٥٢٣ - ٤٦٤٧٥٣١

الطبعة الرابعة

© دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المريخ للنشر - الرياض
المملكة العربية السعودية - ص. ب ١٠٧٢٠ - الرمز البريدي ١١٤٤٣
تلكس ٤٠٣١٢٩ - فاكس ٤٦٥٧٩٣٩ ، هاتف ٤٦٤٧٥٣١ - ٤٦٥٨٥٢٣
لا يجوز استنساخ أو طباعة أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب
أو إحتزانه بأية وسيلة إلا بإذن مسبق من الناشر.



الإهداء

إلى أبي وأمي وزوجتي . . .

المحتويات

١١	* تقديم الكتاب للشيخ حمد الجاسر
١٧	* تقديم المؤلف
٢٣	* مقدمة مصادر البحث
٣٥	* الفصل الأول:
٢٩	الإمام فيصل بن تركي وفترة حكمه الأولى
٣٧	- تمهيد
٤١	- فيصل ودور المشاركة في الحكم
٤٧	- بدء المرحلة الأولى من حكمه
٥١	- نشاط محمد علي في بلاد العرب
٦٦	- موقف بريطانيا من امتداد النفوذ المصري في الخليج
٧٣	* الفصل الثاني
٧٥	نجد في أعقاب الحكم المصري
	١٨٤٣-١٨٤٠ م
	١٢٥٦-١٢٥٩ هـ
٧٥	- الحالة السياسية في نجد
٩٠	- علاقة نجد بالخارج
١٠٤	- نهاية حكم عبدالله بن ثنيان وتسلم فيصل الإمامة
١١١	* الفصل الثالث:
١١٣	حكم فيصل بن تركي للمرة الثانية
	١٨٦٥-١٨٤٣ م
	١٢٨٢-١٢٥٩ هـ
١١٣	- تمهيد
١١٧	- فترة توطيد الحكم في الداخل
١٣١	- امتداد الدولة السعودية الثانية في عهد فيصل

- زيارة بلجريف للرياض ١٣٧
- زيارة لويس بلى للرياض ١٣٩
- * الفصل الرابع : ١٥٧
- العلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية في عهد الإمام فيصل ١٥٩

١٨٤٣-١٨٦٥م

١٢٥٩-١٢٨٢هـ

- علاقة الدولة بالوحدات السياسية في الخليج ١٥٩
- علاقة الدولة بسلطنة عمان والإنجليز ١٦٦
- علاقة الدولة بالترك ١٦٦
- * الفصل الخامس : ١٩٣
- عهد الفتن والفوضى في الدولة ١٩٥

١٨٦٥-١٨٩١م

١٨٨٢-١٣٠٩هـ

- تمهيد ١٩٥
- الحرب الأهلية بين أبناء فيصل ١٩٥
- موقف الترك من الحرب الأهلية ٢٠٦
- موقف آل رشيد من النزاع السعودي ٢١٨
- نتائج الحرب الأهلية ٢٣٠
- ضعف الدولة وسقوطها ٢٣٤
- * الفصل السادس : ٢٣٩
- العلاقات الخارجية للدولة في الفترة ٢٤١

١٨٦٥-١٨٩١م

١٢٨٢-١٣٠٩هـ

- تمهيد ٢٤١
- علاقة الرياض بسلطنة مسقط والإنجليز ٢٤٢
- الدولة ومشكلة خور العديد ٢٥٧
- العلاقة السعودية مع كل من البحرية والكويت ٢٦٣

٢٧٣	* الفصل السابع :
٢٧٥	أنظمة الحكم والإدارة في الدولة
٢٧٥	- تمهيد
٢٧٦	- نظام الحكم (النظام السياسي)
٢٨١	- النظام العسكري
٢٨٥	- السفن الحربية (الأسطول)
٢٨٧	- النظام الإداري
٢٩٤	- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٩٥	- النظام القضائي
٢٩٨	- النظام المالي
٣٠٣	* الفصل الثامن :
٣٠٥	الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة
٣٠٥	- المجتمع السعودي
٣١٣	- أعمال السكان
٣١٣	- العادات والتقاليد
٣١٥	- التعليم
٣١٨	- المرأة في المجتمع السعودي
٣١٩	- الحياة الاقتصادية
٣١٩	- الزراعة
٣٢٠	- التجارة
٣٢٣	- الصناعة
٣٢٣	- النقود
٣٢٤	- الأوزان والمكاييل
٣٢٧	* الملاحق
٣٣٦	* شجرة حكام آل سعود في الدورين الأول والثاني
٣٣٧	* الخرائط
٣٣٨	- المملكة العربية السعودية

٣٣٩	- امتداد دولة الإمام فيصل
٣٤٠	- قرى البريمي
٣٤١	- عمان ومسقط
٣٤٢	- مقاطعة الأحساء
٣٤٣	- توزيع القبائل العربية
٣٤٥	* الوثائق والمصادر العربية
٣٦٥	* الوثائق والمصادر الأجنبية

تقديم الكتاب في طبعته الأولى

● بقلم : الشيخ حمد الجاسر

لا يجد الباحث تاريخاً مفصلاً للدولة السعودية الكريمة في مختلف أطوارها وإنما يجد مؤلفات على كثرتها يعتورها النقص ويعوزها العمق والاستقصاء، وهذا يرجع إلى أمور:

١ - إن كثيراً ممن كتبوا عن تاريخ هذه الدولة اتخذوا من كتابتهم عنها في ماضيها وسيلة لكتابة تاريخها الحديث واذن فلم يقصد كثير من مؤرخي الدولة الاستقصاء في تاريخها.

٢ - المصادر التي عوّل عليها كثير من مؤرخي هذه الدولة تكاد تنحصر فيما ألفه مؤرخوها من أهل البلاد أنفسهم. وهم لا يزيدون على الثلاثة ممن عرفت مؤلفاتهم حتى الآن، أو فيما كتبه الغربيون، وجله مستقى من المؤرخين المحليين أنفسهم، ومن سياح وكتاب تتصف كتاباتهم بالايجاز وعدم الدقة.

ولو عني مؤرخو هذه الدولة بدراسة المؤلفات التاريخية للبلاد المجاورة لتلك الدولة، أو لمن حصل بينها وبينهم احتكاك لوجدوا في تلك المؤلفات معلومات وإن اتسمت بسمة التحيز وعدم الانصاف، إلا أنها لا تخلو من إفادة ومن توضيح كثير من الحوادث التي جاءت في كتابات المؤرخين المحليين مقتضبة.

٣ - ومن الأسباب أيضاً أن من كتبوا عن هذه الدولة لم يراعوا دراسة كل دور من أدوار تاريخها على حدة وافراده بكتابه مفصلة، ذلك ان هذه الدولة بلغت في دورها الأول من الاتساع ما جعلها تستولي على أوسع مساحة في شبه الجزيرة. وفي دورها الثاني أوشكت أن تستعيد أكثر تلك الأجزاء، وهذه السعة تتطلب جهداً كبيراً، وتقسيماً للموضوعات التاريخية قد لا يفي به جهد فرد مهما بلغ من سعة المعرفه.

ومن هنا يصح القول بأن الكتابات التي اصبحت بين أيدينا الآن على كثرتها

لم تتسم بصفة الشمول والاستقصاء، ومن المدرك بدهة أنه كل ما كان الموضوع محدداً غير متشعب استطاع الباحث أن يتمكن من دراسته وأن يمحصر موضوعاته حصراً يقرب من الإجابة وإيفاء الموضوع حقه من الدراسة، والأبحاث التاريخية قد تكون أحوج الموضوعات للحصر والتخصص في كل ناحية منها على حدة، وهذا من الأسباب التي مكنت الأخ الأستاذ عبدالفتاح حسن أبو عليه من إيفاء الموضوع الذي اتجه لدراسته، وهو (الدولة السعودية الثانية) من إيفائه حقه، بحثاً ودراسة وتحليلاً وإحاطة به من كثير من جوانبه. لقد قامت الدولة السعودية الثانية في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري بعد أو أوهن الغزاة المفسدون القوى، وخربوا البلاد وشتتوا أهلها، فسادت الفوضى، وعُمت القلاقل والفتن جميع أنحاء البلاد، حتى قام الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، فبدأ بتأسيس الدولة السعودية في دورها الثاني ثم جاء ابنه الإمام فيصل ليكمل ما بدأه أبوه إلا أن الأمور لم تستقم له، فأعاد الغزاه الكرة واستولوا على البلاد مرة ثانية ولكنها لم تطل، فعاد الإمام فيصل لبناء تلك الدولة، حتى أشرفت على الكمال، ولكن الاختلاف الذي وقع بين أبنائه - رحم الله الجميع - كان من الأسباب التي قضت على تلك الدولة، مما يجده القارئ مفصلاً في هذا الكتاب.

إن مما يحز في النفس وقوع كثير من الأمور التي أضعفت قوى تلك الدولة منذ عهد إنشائها في ذلك الدور حتى وقع الخلاف بين أبناء الملك فيصل، وهي أمور قد تؤثر في عواطف بعض المخلصين لتلك الدولة تأثيراً يحمل بعضهم على القول بوجوب تناسيها، ولكن التاريخ لا يرحم أحداً، وبخاصة في الأمور التي لا يمكن أن تنسى، بعد أن أصبحت مدونة مسجلة في كثير من الكتب عربية وغير عربية، بحيث صار من المتعذر إخفاؤها بل صار من خطل الرأي محاولة إخفائها عندما يراد تسجيل تاريخ صحيح كامل لذلك العصر من عصور هذه الدولة الكريمة.

ولقد أشار أحد المؤرخين من الغربيين الى هذا الأمر مستهجننا وناقداً وناسباً

أثره الى أناس قد يكونون أبرياء مما نسب إليهم^(١)، غير أن ذوي الانصاف والحكمة ومن بينهم المغفور له الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يرون أن يسجل التاريخ على علاقته، لقد كان الملك عبد العزيز عندما يتحدث عن تاريخ أجداده - رحمه الله - لا يستكف من أن يصف كل واحد منهم بما فيه، فالشيخ حافظ وهبه - رحمه الله - ينقل عنه من نقده لسياسة الإمام سعود بن عبدالعزيز ما هذا نصه:

لقد سمعت من جلالة الملك انتقاداً لسياسة سعود أنه في الوقت الذي غاضب فيه الأتراك ورد حجاجهم، وكان فيه إحدى بنات أو شقيقات السلطان التركي، كان يتهادى مع شاه إيران ويتقرب منه، كما أنه انتقده في قبول نصائح غالب التي لم تكن تنطوي على الاخلاص، بل كانت تنطوي على استشارة الناس ضد الحكم السعودي، وأن الشيخ عبدالرحمن بن حسن قد نصح سعوداً بعدم الاصغاء لنصائح الشريف غالب، كما نصحه أيضاً بالاعتدال في معاملة الأتراك والمصريين، غير أن سعوداً كما قدمنا كان شديداً كما كان شديد التعصب لرأيه.

والأستاذ الريحاني ينقل^(٢): (حدثني جلالة الملك عبدالعزيز قال: لم يستقم الأمر لعبدالله لثلاثة أسباب: أولاً: وجود أبناء أخيه في الخرج يحرضون القبائل عليه. ثانياً: مناصرته لآل عليان أمراء القصيم السابقين على أعدائهم آل مهنا الأمراء الحاكمين في ذلك الحين، وكان هذا جهلاً من عبدالله لأنه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم. ثالثاً: ظهور محمد بن رشيد الطامع بحكم نجد، فقد تحالف مع آل أبي الخليل من آل مهنا وكانوا كلهم يداً واحدة على ابن سعود).

بل كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لا يرى غضاضة في أن يذكر من ذلك ما يتعلق به نفسه فالريحاني وهو يقص خبر وقعة البكيرية بين ابن رشيد ويؤازره الجيش التركي، وبين الملك عبدالعزيز يقول: ^(٣) (قال السلطان عبدالعزيز: رحلت أنا وعشرين

(١) أنظر العربية السعودية لفلبي، الترجمة العربية، ص ٢٦٦، وكذا جزيرة العرب، ٢٣٠، ط ٢ ص.

(٢) نجد وملحقاته، ص ١٠١، ط ٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

من الخيالة، أخذ الترك خيامنا، وهجم البدو على الترك، فأخذوا خيامهم وهربوا.

فسألت عظمتة : الى أين رحتم؟

فأجاب ضاحكا: انهزمنا، هربنا!

لقد أصبح الماضي في حكم التاريخ ، وأصبح أي فرد مهما حاول لا يستطيع أن يغير منه شيئا، ولو كان من المستطاع ذلك لتمنينا أن هذه الهفوات والهينات التي نجدها منسوبة إلى بعض رجال تلك الدولة الحبيبة الى النفوس في دورها الثاني - لتمنينا إزالتها ولكننا نطلب محالاً ونكون في عملنا لو حاولنا هذا كالنعامة التي تخفي رأسها بين جناحيها عندما يبادرها الصياد معتقدة أنه لا يراها لأنها لا تراه!!

وينبغي للباحث أن لا ينحي باللائمة على أي إنسان إذا رأى منه مالا يستحسن أو ما لا يليق بقدر ذلك الانسان، بل ينبغي ويجب عليه أن يتعمق في دراسة الظروف والمناسبات والأحوال التي ألبأتها حتى بدر منه ما بدر وليضع نفسه مكانه، وحينئذ يتضح له عذره.

حقاً لقد وقع من بعض رجال هذه الدولة أمور ألبأ إليها الضعف ونشأت عن قوة الخصم ومغالبتة، وهي أمور تحدث في كل زمان ومكان لكل إنسان وخاصة للرجال الذين ترقى بهم همهم إلى طلب عوالي الأمور، ثم يخونهم الحظ فيقعون فريسة لطموحهم وعلوهمهمهم، وحينئذ ترتج عليهم أبواب الخلاص، فيتشبثون بكل وسيلة من الوسائل طلباً للنجاة، وقديماً استعاذ المصطفى ﷺ من غلبه الدين وقهر الرجال.

نقول هذا ليكون لدينا من رحابة الصدر ما نتقبل به ما نسبته التاريخ الى بعض رجال هذه الدولة في دورها الثاني، مما حفلت به المؤلفات والوثائق التاريخية التي لا نزال نجهل كثيراً منها والتي تصدى أخونا الأستاذ مؤلف هذا الكتاب للتعلم في البحث ومحاوله إبراز صورة صحيحة واضحة لتاريخ هذه الدولة في هذا الدور.

كنت أتمنى أن لدي من سعة الوقت ما يمكنني من قراءة هذا الكتاب جميعه، ولكنني وقد فاتني ذلك، أدركت بتصفح مباحثه أنه كتاب لا غنى لنا عنه، فهو يحوي معلومات كانت بعيدة عنا، وإن كانت معروفة لغيرنا منها ما سجله بعض الغربيين،

ومنها ما حفظته لنا الوثائق التي أورد المؤلف الفاضل قدراً طيباً مفيداً منها مما هو متمم لتاريخنا .

ولقد كنت أتمنى على الأستاذ الكريم وقد حاول الاستقصاء والشمول أنه استفاد من مؤلفات كتبها علماءنا وفيها ما قد يوضح كثيراً من الأمور التي تطرق المؤلف الفاضل لبحثها، وخاصة في عهد الاضطراب بعد وفاة الإمام فيصل والخلاف بين بنيه - رحمهم الله - .

ومن أنفع المصادر في ذلك ما كتبه الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في كتاب دعاه «المقامات» ولا يزال مخطوطاً .

وفي رسائل الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن وهي مطبوعة آراء صائبة في الموضوع نفسه .

وفي مؤلفات الشيخ سليمان بن سحمان وخاصة كتاب «الضيء الشارق» في الرد على الزهاوي ، «ومصباح الظلام» في هذين الكتابين ما لا يستغني المؤرخ المنصف عن الاطلاع عليه^(١) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا المؤلف الجديد يضيف إلى معلوماتنا معلومات قيمة ، ويمدنا بوثائق رسمية ذات أهمية كبرى ، ويقدم لنا بحثاً متكامل الحلقات عن هذه الدولة الكريمة في دورها الثاني مما يكمل نقصاً لا نزال نشعر به ويضيف إلى ثروتنا التاريخية مادة نافعة .

- حمد الجاسر -

بيروت - غرة جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ

(١) لقد اطلعت على هذه الكتب بعد كتابة هذه المقدمة .

تقديم الطبعة الثانية

يتناول بحث هذا الكتاب تاريخ الدولة السعودية الثانية من عام ١٨٤٠ إلى ١٨٩١م، أي في أعقاب الحكم المصري مباشرة حتى ذهاب آخر إمام سعودي في هذه الدولة، عبدالرحمن بن فيصل إلى الكويت. وبهذا نكون قد درسنا تاريخ نجد بما فيه جبل شمر وبعض الأجزاء الغربية من الخليج العربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي.

والدولة السعودية هذه وريثة الدولة السعودية الأولى التي أسسها محمد بن سعود ابن مقرن الذي تحالف مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب صاحب الدعوة السلفية في جزيرة العرب. ولما قضى ابراهيم باشا على الدرعية عاصمة الدولة المذكورة، توالى انتفاضات سعودية ضد الحكم التركي المصري في نجد حتى استطاع فيصل بن تركي أن يؤسس دولة ثابتة - إلى حد ما - نحن بصدد بحثها.

مرت الدولة في فترة من التوطيد والحروب الداخلية حتى استتب الأمن واستقر الوضع السياسي، ثم بدأت تتطلع إلى مناطق الخليج مما أدى إلى احتكاكها بامارات الساحل ومشيوخاته ثم ببريطانيا صاحبة النفوذ الواسع في المنطقة.

ولم يكن عمر الدولة طويلا، بعد موت الامام فيصل فقد حدث نزاع بين أبنائه أدى إلى سقوطها.

وأسجل شكري الجزيل للعاملين في دار الوثائق القومية التاريخية بعابدين وإلى العاملين في مكتبة شعبة البحث العربية في شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران في المملكة العربية السعودية، وإلى العاملين في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت، لما قدموه من تسهيلات أثناء البحث والدراسة.

هذا ولن أنسى فضل الشيخين يوسف بن راشد المبارك مدير المكتبة القطرية في الأحساء بالمملكة العربية السعودية والشيخ محمد عبدالمحسن الخيال الذي عمل مدة

طوبه ل في القضاء في المملكة ، لما قدماء لي من معلومات تستحق التقدير .

وأقدم شكري أيضاً إلى الأستاذ الشيخ حمد الجاسر الذي اطلع مشكورا على مخطوط هذا الكتاب قبل طبعه ، وقدم له . وقد أشار علي في تقديمه بالرجوع إلى بعض المصادر التي لها علاقة ببعض جوانب الموضوع حتى أغطي البحث تغطية كاملة من مصادره الأصلية ، فقامت بالإطلاع على ما جاء في هذه المصادر وأخذت عنها .

وقبل أن أختتم تقديمي هذا أود أن أقدم جزيل الشكر إلى مجلس إدارة دار الملك عبدالعزيز برئاسة معالي الشيخ حسن آل الشيخ وزير المعارف ، حيث أن هذا المجلس الموقر وافق في جلسته الرابعة المنعقدة بتاريخ ١٣٩٤/٢/٣ هـ على مساهمة الدارة في طبع هذا الكتاب . وأشير هنا أن دار الملك عبدالعزيز هي مركز أبحاث يعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وأعلامها وآثارها الفكرية . كما أن من وظائفها الأساسية توفير المصادر والمراجع والوثائق والمصورات الجغرافية والرسوم وكل ما من شأنه أن يعين على إجراء البحوث في كافة الميادين التي تدخل في نطاق أغراض الدارة . وختاماً فإني أشكر الأستاذ الدكتور محمد سعيد الشعفي أمين الدارة لما قدمه لي من عون ومساعدة وتشجيع في نشر هذا الكتاب ، وأشكر الأستاذ الفاضل محمد سيد نصر لما بذله من جهد في قراءة هذا الكتاب .

وعلى الله قصد السبيل ، ،

عبدالفتاح حسن أبوعلية

الرياض في ١٩٧٤/٤/٤

تقديم الطبعة الثالثة

بسم الله والحمد لله وبعد
فأضع بين يدي القارئ هذا الكتاب في طبعته الثالثة التي نقحت فيها وزدت
بعض الشيء استناداً إلى ما يجد من ملاحظات يكتسبها الباحث من الممارسة والتجربة
في ميدان العلم والتدريس . سائلين الله العلي القدير أن ينفع بعلمه الجميع .
والله ولي التوفيق

عبدالفتاح حسن أبوعلية

الرياض في ٢٥/٧/١٤٠٠هـ
الموافق في ٨/٦/١٩٨٠م

تقديم الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وبعد . . .
فأضع بين يدي القارئ هذا الكتاب في طبعته الرابعة التي نقحت في الطبعة
الثالثة، سائلاً الله العلي القدير أن ينفع بعلمه الجميع .

والله الموفق

عبدالفتاح حسن ابوعلية

مقدمة مصادر البحث

نتناول في هذا الكتاب دراسة تاريخ الدولة السعودية الثانية من عام ١٨٤٠ جتى عام ١٨٩١ م (١٢٥٦ - ١٣٠٩ هـ). والدولة السعودية التي نحن بصدد البحث في موضوعها هي امتداد طبيعي للدولة السعودية الأولى التي تشكلت منذ اتفاق الدرعية عام ١٧٤٤ م (١١٥٧ هـ) وسقطت بسقوط عاصمتها عام ١٨١٨ م (١٢٣٣ هـ) على يد إبراهيم باشا.

ثم حدث انكماش في السلطة السعودية في نجد وتوابعها، بعد أن خضعت هذه الأجزاء من شبه الجزيرة لحكم تركي مصري ظل حتى الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي (منتصف القرن الثالث عشر الهجري). وعند ذلك أصبحت معظم أجزاء بلاد العرب تخضع لحكم مصري بزعامة محمد على باشا، امتد حتى تنفيذ معاهدة لندن عام ١٨٤٠ م (١٢٥٦ هـ).

وفي أعقاب الحكم المصري بدأت الدولة السعودية الثانية تنمو وتقوى دعائمها، وأخذت تتدرج في النمو والإزدهار حتى وصلت أوجها حوالي عام ١٨٦٣ م (١٢٨٠ هـ) في زمن أقوى أئمتها الإمام المؤسس للدولة فيصل بن تركي. وبعد سنتين من تاريخ الأوج توفي هذا الإمام، وخلفه ابنه الأكبر عبدالله الذي اصطدم بثورة أخيه التي كانت سبباً هاماً من أسباب ضياع سلطة آل سعود وسقوط دولتهم عام ١٨٩١ م (١٣٠٩ هـ) وسيطرة آل رشيد - أمراء حائل - على نجد جميعها، واحتلال الأتراك للإحساء والقطيف وقطر، وبهذا تغير الوضع السياسي في المنطقة كلية.

وتوخياً للفائدة العلمية رأينا أن نقدم بحثنا هذا بنبذة عن المصادر الهامة لأن

(١) لم يحدد المؤرخ حسين بن غنام تاريخ رحيل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية، إلا أنه أشار إلى ذلك بقوله «... في حدود سنة سبع وخمسين بعد المائة والألف من الهجرة النبوية» أما عن المؤرخ عثمان بن بشر فذكر في مسودته أن ذلك كان عام ١١٥٨ هـ، إلا أنه أورد في مبيضة مخطوطة المحفوظ بالمتحف البريطاني أن ذلك حدث عام ١١٥٧ هـ.

المراجع هي مفتاح الطريق للباحث، إذ لا تأريخ بدون مراجع. وتنقسم المصادر كما هو معروف إلى أصلية وثانوية، وهنا سنشير إلى المصادر الأصلية وبخاصة المعاصرة للحوادث، وأما الثانوية فقد أدرجناها في فهرس المراجع في نهاية الكتاب كالعادة التقليدية المتبعة.

ويشمل البحث فترة زمنية طويلة بعض الشيء، تقدر بحوالي خمسين سنة من تاريخ قلب الجزيرة وجبل شمر وبعض الأجزاء الشرقية من الخليج، وهي فترة تاريخية معقدة حقاً لأنها اتسمت بأنظمة قبلية أثرت على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية لمجتمع الجزيرة بعامة والمجتمع النجدي بخاصة. ويزيد في الصعوبة طبيعة المصادر، إذ أن معظم ما كتب كان من الكتب القديمة التي تحتوي على السجع واللهجة المحلية والتوسع في ذكر حوادث الحروب المحلية، إلى جانب الصعوبة التي تعترض الباحث في دراسته للوثائق العثمانية.

وليس هذا ذنب مؤرخي هذه الحقبة، بل هي عادة جرى عليها من سبقهم، فحسنوا فيها. ومع هذا ظلت متخلفة بالنسبة لمفهوم عصرنا الحاضر، لذا كان على الباحث أن يسمو ويعيش حياة ذلك العصر حتى يصل بقدر الإمكان إلى الحقيقة التي وراءها تكمن علمية التاريخ.

ونحاول هنا أن نقسم مصادر البحث إلى:

أولاً: المصادر العربية وهي عدة أنواع:

- الوثائق العربية والتركية المترجمة إلى اللغة العربية.

- المصادر العربية الأصلية، التي دونها مؤرخون معاصرون للحوادث.

- المصادر التي تذكر بين صفحاتها إشارات عن موضوع البحث.

- الكتب الثانوية التي كتبت عن الموضوع معتمدة على المصادر الأصلية.

ثانياً: المصادر الأجنبية وهي أنواع منها:

- الوثائق الأجنبية.

- المصادر الأجنبية الأصلية المعاصرة للحوادث.

- الكتب الأجنبية التي درست هذا الموضوع.

ثالثاً: الرحلات التي قام بها نفر من الأجانب.

رابعاً: الروايات المحلية.

وهنا نحاول أن نعطي للقارى صورة واضحة عن مصادر هذا البحث حسب ما جاء في التقسيم السابق .
أولاً : المصادر العربية .
- الوثائق .

اعتمدنا كثيراً على الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية التاريخية بعابدين ، وكان جل اعتمادنا على وثائق محافظ الحجاز وبحر برا ويند متفرقات ، وقد أشرنا إليها جميعاً في الحواشي .

وتجدر الإشارة هنا أن معظم هذه الوثائق تركية ترجمت إلى اللغة العربية بإشراف الحكومة المصرية ، لذا جاءت ترجمة دقيقة ، وبخاصة أن عدداً من المترجمين كانوا ممن عاصروا العهد العثماني وأتقنوا اللغتين التركية والعربية . وبعملية الترجمة هذه أفسح المجال الواسع لرواد البحث ممن لا يعرفون اللغة التركية .

ومعظم هذه الوثائق تدور حوادثها حول علاقة الدولة المصرية والتركية بالجزيرة العربية ، لذا كانت ذات قيمة بالنسبة لموضوع بحثنا هذا .
- وثائق الحكومة السعودية الخاصة بشأن قضية الريمي ، والتي عرضتها الحكومة السعودية بشأن النزاع بين مسقط وأبوظبي والسعودية على لجنة التحكيم الدولية ، وهي من ثلاثة مجلدات سميت «عرض حكومة المملكة العربية السعودية» .
والوثائق هذه تمثل وجهة النظر السعودية إزاء هذا النزاع ، مدعمة أقوالها بحجج وبراهين تاريخية مستندة على الوثائق العربية والأجنبية وعلى الكتب المعاصرة . فكانت كتابات العرض قيمة وعلمية وموضوعية ، لأنها خرجت عن جهة رسمية وستعرض على لجنة رسمية قانونية دولية .

وقد طبعت هذه المجلدات في ٣١ يوليو ١٩٥٥م (١١ ذي الحجة ١٣٧٤هـ) .
ولقد عثرت على مسودات هذه المجلدات ووثائقها العربية والأجنبية في مكتبة شعبة البحث العربية التابعة لشركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران .
- المصادر العربية الأولى :

وعلى رأس المصادر المعاصرة لفترة البحث يأتي كتاب المؤرخ النجدي المعاصر عثمان بن بشر ، المولود في بلدة جلاجل بنجد ، والمتوفى عام ١٨٧١م في ١٩ جمادى

الآخرة من عام ١٢٩٠هـ. وكتابه يسمى «عنوان المجد في تاريخ نجد»، والكتبة مخطوط، وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٢، ٥٣٠، ٥٦ ونسخة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم Or 771^(١) وطبع هذا الكتاب طبعات، منها طبعة بغداد عام ١٩١١م (١٣٣١هـ) في مجلد موجز. وطبعة مكة في المطبعة السلفية عام ١٩٣٠م، (١٣٤٩هـ)، وجاءت هذه الطبعة في جزئين، إلا يتناول فيه المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم يبدأ حوادثه من سنة ١٥٨ (١٧٤٥م) أي منذ بداية اتفاق الدرعية، وينتهي بنهاية حوادث سنة ١٢٣٧هـ. والثاني ينتهي عند نهاية ١٢٦٧هـ (١٨٥١م). وكان يذكر سوابق بعد كل سنة. وجاء جميع سوابقه في المجلد الأول من الكتاب.

ولا ندري ما السبب الذي حدا بالمؤرخ أن يتوقف عن الكتابة، وبخاصة عاش حتى عام ١٨٧١م. ثم طبع ثالثة في مصر عام ١٩٤٦م، وفي عام ١٩٦٨م. طبعة منقحة في مطابع القصيم بالرياض بالمملكة العربية السعودية. وقد اعتمدت دراستي على طبعة مكة المكرمة الثانية المطبوعة عام ١٩٣٠م. والمؤرخ يدون الحوادث بشكل حولي أي يذكر السنة ثم يسرد جميع الحوادث المهمة التي وقعت فيها، وفي زمن الإمام السعودي الذي يحكم وقتذاك. وكانت كـ بشكل عام صحيحة ودقيقة مع إنها لا تخلو من الأخطاء أو بعض القصص الرومانتيكية. وهو مؤرخ يمثل وجهة النظر السعودية، ويمكن القول إنه أشبه بمؤرسمي لآل سعود خاصة في فترة بحثنا. وقد قدم ابن بشر فائدة كبيرة للتاريخ دون كتابه هذا.

(١) أشار إليها أحمد أبو حاكم في كتابه، تاريخ الكويت، ص ٢٥.

- إن كتاب ابن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد» جاء في ثلاثة أجزاء. وهذا ما نستشف قوله: «إن شاء الله تعالى دخول السنة الثامنة والستون وفيها غزا عبد الله بن فيصل على عماله جراً له فيه من الأكوان (المغازي) وما فتح الله على يديه من الفتوحات كما سنقف عليه مـ إن شاء الله تعالى في الكتاب بعد هذا.

أنظر خط ابن بشر بنفسه ص ٢٥٨ من المخطوطة الموجودة في المتحف البريطاني تحت ٧٧١٨، وهذه النسخة موجود منها صورة فوتوغرافية عند الأستاذ الشيخ حمد الجاسر.

وانظر كذلك جريدة أم القرى الأعداد ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣ في ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م).

- وهناك كتاب مؤرخ معاصر يعد مكملًا لكتابات ابن بشر وهذا المؤرخ هو إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي، وله كتابان الأول «عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر» والثاني «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم، وبناء بعض البلدان، من سنة ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ».

وظل الكتابان مخطوطين إلى أن قامت دار اليمامة بطبع تاريخ بعض الحوادث طبعة منقحة أشرف عليها الأستاذ حمد الجاسر. وطبع تاريخ عقد الدرر بدمشق عن طريق مكتبة النهضة الحديثة بالرياض سنة ١٣٧٢هـ. ثم طبع مع عنوان المجد في مصر سنة ١٣٧٣هـ. والذي يلاحظ على كتابات ابن عيسى، أنها محلية اهتمت بشئون نجد، فالأول بدأه عندما انتهى إليه ابن بشر، وأرخ لفترة الفتنة، وتوقف عن الكتابة عام ١٨٨٤م.

أما كتابه الثاني فيذكر فيه تأسيس بلدان نجد، ثم ذكر وفيات بعض أعيان البلاد في نجد مع ذكر مقتضب جدًا لبعض الحوادث، لذا كانت كتاباته في هذا موجزة جدًا. وهو يسير في تدوينه على شاكلة زميله ابن بشر، إذ يشرح الحوادث بشكل حولي. والحقيقة مع أنه مؤرخ يمثل وجهة نظر آل سعود إلا أن مؤلفه لا غنى عنه لأنه يدون تاريخ الفتنة الأهلية بين أبناء فيصل ويسرد بشكل واضح حوادثها، موضحًا تكتلات القبائل والأحلاف التي سادت الجو السياسي وقتها. وتوقف هذا المؤرخ عندما كان نفوذ آل رشيد قد امتد إلى الرياض نفسها وكانت نهاية دولة آل سعود الثانية قد أوشكت.

- وعثرنا على مخطوطة تاريخية صغيرة لضاري بن رشيد وهو من أسرة آل رشيد - أمراء حائل -، ومن المعاصرين للحوادث، ومخطوطته بعنوان «نبذة تاريخية عن نجد». أملاها أثناء إقامته في بومباي من أجل إجراء عملية جراحية على وديع البستاني عام ١٩١٣م، فقام الأخير بنسخها بخط يده، وأطلق عليها إسم كشكول. واعتمدنا على النسخة الفوتوغرافية الموجودة في شعبة البحث التابعة لشركة الزيت العربية الأمريكية تحت رقم 95.2 وقد قامت دار اليمامة بإشراف الأستاذ حمد الجاسر بطباعتها عام ١٩٦٦م D (١٣٨٦هـ).

وتدور معلوماتها حول تسلم أسرة آل رشيد إمارة حائل زمن الإمام فيصل في فترة حكمه الأولى ، ثم يبين دور ابن رشيد في قتل مشاري بن عبدالرحمن الذي قتل تركي ابن عبدالله والد فيصل ، ومكافأة له عينه فيصل على إمارة حائل . ويشير كذلك إلى نسب آل رشيد بالنسبة للقبائل العربية الجنوبية .

والمخطوطة صغيرة طبعت حديثاً عام ١٩٦٦م بإشراف دار اليمامة المذكورة سابقاً .

- وهناك مؤرخ آخر كتب عندما انتهى إليه ابن عيسى ، وهو عبدالرحمن بن ناصر له مؤلف مخطوط في جزئين ، يسمى «عنوان المجد والسعد» وهذا محفوظ في مكتبة شعبة أرامكو تحت رقم 952,IN .

وصاحب هذه المخطوطة معاصر للحوادث اللاحقة ، يغلب على كتاباته طابع السهولة ، ولكن حوادثه جاءت بشكل موجز . وهو يسير في طريقة كتابته على الأسلوب الحولي كابن بشر وابن عيسى . ونعتبر هذا المؤرخ من بين المؤرخين الذي يميلون لآل سعود .

- المصادر التي تعطينا معلومات لبعض فصول بحثنا منها :
- كتاب «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد» ، ومؤلفه إبراهيم فصيح بن صبغة الحيدري البغدادي . والكاتب يخالف مؤرخي زمانه في طريقة تدوين . يكتب بطريقة موضوعية ، أي يعطي عنواناً للموضوع ثم يبدأ في الشرح .

اهتمت كتاباته بأحوال المجتمع البغدادي والبصري والنجدي ، فهو لا يسرد لنا حوادث غزو كثيرة وإنما اهتم بدراسة القبائل وأنسابها ، ثم ما تحويه هذه المناطق من بلدان وقرى ، وعن موضوعنا أورد لنا بعض المعلومات التي تخص البحث الاجتماعي والحضاري والإداري في الدولة السعودية الثانية .

والملاحظ على روايته ، أنها جاءت دقيقة ، لأن المؤلف جمع بين التجربة والرحلة واستقاء المعلومات من مصادرها الأصلية ؛ اعتمد كثيراً على الرواية عندما قام بزيارة الكثير من الأنحاء التي سجل عنها . هذا إلى جانب أن المؤلف عمل موظفاً في البصرة أثناء تدوينه هذا الكتاب .

واهتممنا بالجزء الخاص بكتابة تاريخ أحوال نجد، لأن هذا من موضوعات بحثنا وفي الفترة الزمنية المعنية كذلك. والكتاب طبع في مطبعة دار منشورات البصري في بغداد، عام ١٩٦٢م.

- ومن المصادر التي لها علاقة بموضوعنا والتي تمثل وجهة نظر غير نجدية، وتهتم ببحث العلاقة بين نجد والساحل، «الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين»، وهذا المؤلفه حميد بن محمد بن زريق، والكتاب مخطوط، وموجود حالياً في مكتبة الأبحاث العربية التابعة لارامكو في الظهران، تحت رقم ٤، IR-٩٥٣.

وقد ترجم هذا المخطوط المستر جورج برسي باجر 'George Percy Badger' الذي أخطأ في ترجمة عنوانه فسماه: «تاريخ أئمة وأسياد عمان».

History of the Imams and Seyyids of Oman.

وأخطأ كذلك في ذكر إسم المؤلف حين يسميه سليل بن رزيق، والحقيقة هو حميد ابن محمد ابن رزيق، وكلمة سليل للدلالة على السلالة والنسب. وقد زاد هذا المترجم على الكتاب عدة تعليقات وحواشي، وبصورة عامة فإن المترجم لم يوفق كثيراً في الترجمة. والذي يهمنا هنا أن هذا المخطوط أصبح علماً من بين الكتب العربية المعروفة في المكتبة الغربية بعد ترجمته.

ويفيد هذا المؤلف موضوعنا من بعض جوانبه بخاصة العلاقة بين نجد وعمان، وهذا يمثل وجهة النظر العمانية المغايرة لوجهة النظر النجدية،. لذا كان علينا أن نأخذ عنه بحذر ودقة.

هذا بالإضافة إلى اعتمادنا على عدة مصادر أخرى كثيرة لمست الموضوع من عدة جوانب، وقد أثبتنا هذه المصادر في نهاية هذا البحث في قائمة المراجع العربية.

ثانياً - المصادر الأجنبية:

- الوثائق الأجنبية.

اعتمدنا على الوثائق الأجنبية المحفوظة عند شركة الزيت العربية الأمريكية، وهي مجموعة من الوثائق الأجنبية المأخوذة عن محفوظات البحرين 'Bahrein Archives' ومن كتاب رقم ١١٠، ١٢٥، ١١٧، ١٣٠، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٢، ٢٤٧.

وعن محفوظات مسقط 'Muscut Archives' من كتاب رقم ٥٥٤ .

وكذلك فقد اعتمدنا على مجموعة المراسلات الهندية السياسية .

India Political, Collections and Despatches

وذلك عن المجلدات رقم ٨٨ ، المجموعة ١٧ .

وكذلك فقد اعتمدنا على مراسلات مشايخ الساحل ووكلاء بريطانيا في المشيخات وعلى التقارير الإدارية من معتمدي بريطانيا في المنطقة . وهذه التقارير مكتوبة إما بالعربية إذا كانت موجهة من الشيخ ، وإما بالإنجليزية إذا كانت من وكلاء بريطانيا . وجميع هذه الوثائق تبين علاقة الساحل بالدولة القوية في جزيرة العرب ، إما بالدولة العثمانية أو السعودية أو المصرية ، فكانت خير معين لنا في بحث العلاقات الخارجية مع الساحل . هذا ويجب ألا ننسى أنها كانت تمثل وجهة نظر بريطانية محضة ، لذا كان علينا أن نأخذ عنها بحرص .

- وثائق حكومة المملكة المتحدة في بريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية وهي من مجلدين وعنوانها Arbitration Concerning Buraimi and the Common Frontier between Abu Dhabi and Saudi Arabia.

ويطلق عليها مذكرات المملكة المتحدة :

Memorial Submitted by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland.

وهذه الوثائق قدمتها حكومة بريطانيا لتدعم وجهة نظر مسقط وأبوظبي ضد مطلب الحكومة السعودية في منطقة النزاع ، واحات البريمي . «واعتمدت هذه المذكرات على عدة وثائق ومصادر أصلية هامة كانت تساعد الباحث على معرفة وجهة نظر السياسة البريطانية في الخليج خاصة وفي الشرق عامة .

- وثائق حكومة بومباي .

Selections from the Records of the Bombay Government, No.XXIV, Series.

طبعت حكومة بومباي هذه الوثائق عام ١٨٥٦م ونشرتها بعد ذلك ، وهي وثائق تدور لعدد من المسؤولين الأوروبيين في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي . لذا كانت معلوماتها قيمة ودقيقة ، وبخاصة أنها اتصفت بالطابع الرسمي ، واعتمد مدونها على

كثرة زياراتهم وتنقلاتهم في المناطق ، لذا فإن أهميتها تعود :
أولاً : لأنها تصدر عن رسميين مطلعين على مجرى الحوادث في المنطقة .
ثانياً : لأنها كتبت نتيجة خبرات في الحقل السياسي ونتيجة اطلاعات شخصية لكثرة قيام الذين سجلوها بالزيارات والرحلات .
ثالثاً : تفصح لنا عن السياسة البريطانية في المنطقة .
رابعاً : تنظم الحوادث وبجانبيها السنوات بالتقويم الميلادي .
خامساً : حوت معلومات هامة ومتنوعة وكثيرة وبخاصة عن الحياة السياسية والاجتماعية للمنطقة ، وهي تكثر من الكتابة عن القبائل العربية القاطنة بمنطقة الخليج :

- وهناك وثائق لوريمر 'Lorimer' الذي عمل موظفًا سياسيًا في المنطقة فالف كتابًا ضخماً في مجلدين سمي «دليل الخليج الفارسي» أو «وقائع الخليج» .
'Gazetteer of Persian Gulf'
وهذا الكتاب نشرته حكومة الهند في كلكت عام ١٩١٥م ، إلا أنه ظل سرّياً حتى الخمسينات من القرن الحالي (العشرين) وطبع منه مائة نسخة فقط .
ولقد عثرت على الجزء الأول في مكتبة الأبحاث العربية التابعة لارامكو في الظهران تحت إسم لوريمر في الفهرس الإنجليزي بالنسبة للمؤلف . وهذا الجزء أفادنا وأخذنا عنه الكثير .
كما ووجدنا الجزء الثاني منه على شكل ميكرو فيلم في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت . وهذا يفيد كثيراً في النواحي الاقتصادية وطرق القوافل في المنطقة وفي النواحي الاجتماعية العامة فيها ، ويعطينا كذلك بشكل مفصل أنساب القبائل القاطنة في الجزيرة العربية . لذا كان هذا المؤلف خير عون لنا . وقد قامت حكومة قطر بترجمة هذا الكتاب إلى العربية .

- وهناك كذلك الوثائق التي نشرها ايتشيسون الذي عمل موظفًا في المنطقة وأصبح فيما بعد وكيل وزارة الخارجية في حكومة الهند ، وكتابه :

Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Nieghbouring Countries, 21 vols. Calcutta, 1892.

والذي يفيدنا منه هو الجزء العاشر :

Vol.X-Containing Treaties etc. Relating to Persia and the Persian Gulf.

وكذلك الجزء الحادي عشر:

Vol.XI-Containing Treaties etc. Relating to Turkish Arabia, Muscut, Aden and Adjacent Coast and Zanzibar.

هذا إلى جانب عدد من الكتب الأجنبية المعاصرة، والتي كانت على شكل رحلات داخل جزيرة العرب، وسنوضح ذلك فيما بعد.
أما بالنسبة للكتب الأجنبية الثانوية فقد أثبتناها في نهاية البحث تحت إسم الكتب الأجنبية.

ثالثاً - الرحلات:

في فترة بحثنا قام نفر من الأجانب بزيارة بلاد العرب، ومنهم من جاء لأمر سياسي، ومنهم من تستر بفائدة الكشف والمعرفة. . الخ. وأول هؤلاء الرحالة.
- الرحالة وليم جيفورد بولجريف. William Gifford Palgrave الذي زار المنطقة عام ١٨٦٢-١٨٦٣م، وقد أفردت لهذه الرحلة موضوعاً خاصاً في الفصل الثالث من هذا البحث ومؤلفه يسمى:

Narrative of A year's Journey Through Central and Eastern Arabia – 1862 – 1863.

ويقع هذا المؤلف في مجلدين، كتب فيهما عن حایل والرياض والإحساء وبعض الأجزاء الشرقية من جزيرة العرب. وكان ذلك نتيجة رحلته هذه وتجاربه واحتكاكه بالمسؤولين وذوي النفوذ في البلاد، وهذا المؤلف مفيد من الناحية الاقتصادية وطرق القوافل، وكذلك فهو مفيد من الناحية الاجتماعية.
والذي يؤخذ على هذا أنه تحامل على الموحدين وآل سعود نتيجة اتهامهم له بالجاسوسية.

وكذلك فقد استقى معظم رواياته عن أشخاص، فكان للعوامل النفسية أثر.
وكذلك فإن تاريخه كان غير دقيق وهذا ما اعترف به نفسه أثناء كلامه عن بعض الحوادث.

- زيارة لويس بلي للرياض، وقد كتب لنا تقريراً هاماً عن زيارته التي أشرنا إليها في

الفصل الثالث من هذا البحث وطبع التقرير الذي يسمى :

India, Pelly (Lewis) Report on a Journey to the Wahabee Capital of Riyadh in Central Arabia (Bombay printed for Government at the Education Society press, Byculla, 1866, iv 104) ARAMCO.

وقد ألقى بلي محاضرة في الجمعية الجغرافية بلندن وطبعت هذه تحت إسم :

Pelly's Visit to the Wahabee Capital Arabia proceeding of Royal Geographical Society, 2d Series Vol.14, 1892.

موجودة في آرامكو، على شكل فوتوغراف.

ومهما يكن فإن التقرير أو المحاضرة يعطينا وصفاً دقيقاً لحكم فيصل وامتداده ومقدار الزكاة بالريالات التي كان يأخذها من المشيخات الساحلية ومسقط.

فكان هذا خير معين لنا في بحثنا حول العلاقة مع مسقط والساحل والإنجليز، وهذا التقرير يبين وجهة نظر إنجليزية تجاه دولة قوية مجاورة.

- رحلة الليدي آن بلنت :

قامت الليدي آن بلنت برحلة مع زوجها إلى جبل شمر عن طريق العراق عام ١٨٧٩م، أي في وقت ضعف الدولة السعودية الثانية واتساع نفوذ آل رشيد، فكتبت

كتاباً من جزئين أسمته 'Pilgrimage to Nejd'

«حج إلى نجد» ترجم بعضاً منه محمد أنعم غالب تحت إشراف دار اليمامة بعنوان «رحلة إلى نجد» والمؤلف مفيد لدراسة الوضع السياسي، والاجتماعي والاقتصادي زمن آل رشيد حكام حائل، ولم تتعد رحلتها حدود حائل وجبل شمر.

لذا كانت معلوماتها مستقاة من الزيارة وعن الرواة.

وهناك رحلة شارلز دوتي الذي زار الجزيرة العربية كذلك، وكتب مجلدين بعنوان

'Travels in Arabia Deserta' وكذلك رحلة زويمر Zwemer وكتابه 'Arabia The Cra-

'dle of Islam' هذا إلى جانب الكتب الإنجليزية الثانوية التي أثبتناها في نهاية البحث.

- الروايات المحلية .

كان علينا أن نشير هنا إلى دور الروايات المحلية في الكتابة التاريخية، فالرواية

تكمّل الفائدة التي نكون قد جنيناها من المصادر الأصلية والثانوية إذ أن هناك عدة نقاط تسكت عنها المصادر الأصلية والثانوية، وهنا لا بدّ إذن من الاستعانة بروايات ومعلومات الأفراد الملمين بالحوادث التاريخية. إما لكبر سنهم وإما لكثرة إطلاعهم في الموضوع.

ولما لم تذكر لنا المصادر شيئاً عن النقود والمكايل والأوزان بالإضافة إلى المعلومات القليلة التي حصلنا عليها عن التعليم، فكان لا بدّ من استقاء بعض المعلومات من الرجال الملمين والمعروفين بثقتهم، كذلك فقد استطعنا بواسطة هذا الاتصال الحصول على بعض الوثائق التاريخية القديمة التي أفدنا منها، وأشرنا إلى أصحابها.

الفصل الأول

الإمام فيصل بن تركي وفترة حكمه الأولى

محتوياته

- تمهيد
- فيصل ودور المشاركة في الحكم
- بدء المرحلة الأولى من حكمه
- علاقة فيصل بمحمد علي ونهاية حكمه الأول
- موقف بريطانيا من امتداد نفوذ محمد علي في الخليج .

الفصل الأول

الإمام فيصل بن تركي وفترة حكمه الأولى

١٨٣٤ - ١٨٣٨ م

١٢٤٩ - ١٢٥٤ هـ

تمهيد:

ليست الدولة السعودية التي نحن بصدد البحث عنها في موضوعنا إلا امتداداً طبيعياً للدولة السعودية الأولى، التي تشكلت منذ اتفاق الدرعية عام ١٧٤٤م (١١٥٧هـ) المعقودي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب الزعيم الروحي للدعوة السلفية في نجد وبين محمد بن سعود بن مقرن، أمير الدرعية آنذاك^(١).

وفي العشرينيات الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) أو بوجه التحديد عام ١٨١٨م انتهت الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا، ونقل آخر أئمتها عبدالله بن سعود إلى مصر، ثم إلى الآستانة، وهناك تم تنفيذ حكم الإعدام فيه^(٢).

ومع أن الدولة السعودية الأولى انهارت من الوجهة والمفهوم السياسيين، إلا أنها تركت في البلاد النجدية مقومات الدولة السعودية الثانية، إذ ظلت أفكار دعوة ابن عبد الوهاب ماثلة في أذهان الناس، وظل المجتمع النجدي يكن ولاء للأسرة السعودية التي تبنت الدفاع ضد حكم الترك ومحمد علي، وعلى رأس هؤلاء المؤيدين جماعة الشيخ

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مجلد ١، ص ١٢.

(٢) De Vaulabelle, Histoire Moderne de l'Egypte' vol. 2, p. 167

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

محمد بن عبد الوهاب ذوي الرأي النافذ لما لهم من منزلة دينية محترمة بين أفراد المجتمع النجدي، وزاد من تقرب الناس لآل سعود ما وصلت إليه البلاد من أوضاع سيئة، ولما لمسوه من سوء المعاملة على يد الجند عندما دخلوا بلدة الدرعية ودكوا أبنيتهما، وأسروا حوالي ٤٠٠ فرد من آل سعود ومن آل الشيخ^(١).

وانطلاقاً من هذه المقومات ظلت تتوالى في نجد خلال الحكم التركي المصري انتفاضات هدفها إعادة حكم آل سعود. وكانت الدولتان العثمانية والمصرية تقابلان هذه الانتفاضات بإرسال حملات لإخمادها باعتبارها تحدياً سياسياً لوجودهما في شبه الجزيرة العربية.

ومن أولى الانتفاضات السعودية في نجد ما قام بها الأمير مشاري أخو عبدالله ابن سعود الكبير، الذي استطاع أن ينسل من قافلة الأسرى المرسلين إلى مصر، وتمكن من جمع الأنصار والتوجه إلى الدرعية، وكان يحكم فيها وقتذاك أحد أفراد أسرة آل معمر (أمراء بلدة العيينة سابقاً)^(٢). فتنازل محمد بن مشاري بن معمر عن السلطة للأمير مشاري بن سعود، ولكن هذا التنازل كان مجرد خدعة إذ استطاع ابن معمر أن يلقي القبض على مشاري، ويسلمه للأتراك في عينة تقريباً لهم، وما كان من الترك إلا أن أعدموه تخلصاً من بقايا آل سعود^(٣).

وأما الانتفاضة الثانية فقد قام بها الأمير السعودي تركي بن عبدالله بن محمد ابن سعود الذي كان قد لاذ بالهجرة جنوب الرياض لما انقلب ابن معمر على ابن عمه مشاري. فعاد منها لينازع ابن معمر على الإمارة، وتحقق له ذلك بعد أن تمكن من قتل

(١) أمين الريحاني، نجد وملحقاته، ص ٩١، ٩٢.

عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مجلد ٤، ص ٣١٨.

(٢) العيينة، بلدة من بلدان نجد تقع إلى الشمال من الدرعية والرياض. أنظر: إبراهيم الحيدري، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص ١٩٨.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ١، ص ٢٢١. يقول ابن بشر إنه مات في حبس الأتراك. وكذا أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٢.

خصمه جزاء له على ما اقترفه من ذنب تجاه ابن عمه مشاري بن سعود. وهكذا استطاع تركي أن يسيطر على الدرعية عام ١٨٢٠م (١٢٣٦هـ) ومن هنا تبدأ فترة حكم تركي الأولى^(١).

ومع هذا فإن تركي بن عبدالله فشل في إعادة نجد أسرته وذلك لوجود القوات التركية والمصرية المربطة في نجد، ولتصميم السلطان وواليه محمد علي على قمع أي حركة سعودية أو غيرها تخرج على الدولة العلية، زد على هذا كله ما انتاب الأهالي في نجد من قلق سياسي وضيق اقتصادي نتيجة ويلات الحروب القاسية التي خاضوها بجانب آل سعود ضد جيوش الترك ومحمد علي.

وقد تلاحقت الإمدادات العسكرية التركية للمنطقة فأرسل حسين بك حاكم دار نجد قوات بقيادة قائده عبوش آغا الذي وصل داخل نجد وفر من وجهه الأمير تركي، وتمركز هذا القائد في بلدة الرياض التي بدأت تنمو سياسياً لتخلف الدرعية، وتصبح فيما بعد مركز الثقل السعودي وما زال حتى الآن. وفرض على الأهالي غرامات باهظة كإجراء انتقامي ضدهم لأنهم كانوا يؤيدون الحركات الثورية في المنطقة^(٢).

وقامت حركة ثالثة كمحاولة جديدة لإعادة سيادة آل سعود، قام بها الأمير تركي الذي كان قد توارى من وجه عبوش آغا في بلدة الحلوة، حيث جمع قوة جديدة من أهالي الحلوة وعركة وسدير زحفت معه إلى الرياض لمحاصرة الجند التركي فيها، وبعد جهود طويلة تمكن من إخراج الجند بعد استسلام الحامية، واستولى بذلك على الرياض واتخذها مركزاً لقواته ومن هنا أصبحت الرياض عاصمة الدولة السعودية الجديدة^(٣).

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ١، ص ٢٢٢.
تقول رواية ابن بشر أن تركي اتجه من الحائر إلى ضرماء ومنها سار بأتباعه إلى الدرعية وانتصر على ابن معمر.

(٢) Philby, Saudi Arabia, pp. 153-154

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٢.

وحاول تركي أن يوازن بين القوى فاعترف بسيادة الأتراك الإسمية وتمكن بذلك من السيطرة على نجد، ثم مد نفوذه إلى الخليج فاستولى على الأحساء والقطيف. لكن المنية عاجلته قبل أن يحقق مشروعه الكبير، مع أنه قضى عشر سنين يعمل من أجل إعادة بناء الدولة من جديد^(١).

وكانت نهايته مفاجئة حقاً عندما تمكن ابن اخته مشاري بن عبدالرحمن من تدبير مؤامرة أدت إلى قتله عام ١٨٣٤م (١٢٤٩هـ). وعلى إثر ذلك تسلم مشاري الحكم بالقوة إلى أن استطاع فيصل بن تركي أن يحاصره في الرياض ويقتله ويتسلم الحكم منه في نفس السنة المذكورة، ومن هنا يبدأ حكم فيصل بن تركي للمرة الأولى وينتهي حكم أبيه تركي للمرة الثانية^(٢).

وللأعمال التي قام بها تركي بن عبدالله اعتبره كل من منير العجلاني ومحمد عبدالله ماضي وحافظ وهبة وبولس سلامة والمؤرخ الغربي تويتشل 'Twitchell'^(٣) المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية. إلا أن الواقع الزمني لا يوافقهم على هذا الإدعاء، لأن كل ما قام به أمراء آل سعود من محاولات لإعادة بناء دولة سعودية جديدة لم توفق، عندما كانت تقابل هذه المحاولات بعنف من قوات العثمانيين ومحمد علي. لذا يمكن القول إن كل هذه المحاولات كانت حركات ثورية غايتها التخلص ثم الاستقلال. ولم يتم هذا التخلص والاستقلال إلا في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي للمرة الثانية، أي بعد جلاء القوات المصرية عن جزيرة العرب عام ١٨٤٠م

(١) ابن بشر، نفسه مجلد ٢، ص ٥٣.

(٢) ضاري بن رشيد، نبذة تاريخية عن نجد، ص ٦.

(٣) منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، المجلد ١، ص ٢٤.

- محمد عبدالله ماضي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، ص ٦٤.

- حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين.

- بولس سلامة، ملحمة عيد الرياض، ص ٨٦.

- Twitchell, Saudi Arabia, P.90.

(١٢٥٦هـ) على إثر تطبيق معاهدة لندن. ومن هنا بدأت تتشكل الدولة السعودية الثانية التي أسسها فيصل بن تركي. وإننا نوافقهم لو أنهم اعتبروا أن الدور السعودي الثاني يبدأ بظهور تاريخ تركي بن عبدالله، لأن المفهوم الزمني للدور أوسع وأعم من مفهوم الدولة الزمني.

فيصل يساعد والده في الحكم*:

ينقسم حكم فيصل إلى ثلاثة أقسام، الأول وهو يساعد والده في الحكم، والثاني وهو في فترة حكمه الأولى، والثالث وهو في فترة حكمه الثانية التي دامت حوالي ٢٢ سنة، بدأت من عام ١٨٤٣م (١٢٥٩هـ). وفي هذه الفترة الأخيرة بالذات استتب الأمن وساد الاستقرار ربوع البلاد، وعم الرخاء فيها بعض الشيء، واستقر الوضع السياسي بشكل واضح، لذا استحق فيصل أن نطلق عليه لقب المؤسس الأول والحقيقي للدولة السعودية الثانية.

ولا بد لنا من التعرف على أخلاق فيصل بشكل عام. فقد كان متديناً، ملماً بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، ميالاً للبحث والدراسة، يجالس العلماء ويكرمهم، حفظ القرآن وهو صغير وكان يقضي وقتاً طويلاً من ليله في التهجد، وقيل أن المرضى في مصر كانوا يأتون لداره كي ينتفعوا ببركته^(١).

ومنذ طفولته شارك أبناء أسرته في الأحداث السياسية والعسكرية، فحارب مع جيش سعود الكبير عندما دخل مكة عام ١٨٠٣م (١٢١٨هـ) وكان عمره آنذاك لا يتجاوز سن الخامسة عشرة^(٢). كما دافع عن الدرعية عندما حاصرها إبراهيم باشا،

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧١، ٩٠.

(٢) Philby, op. cit., p. 71.

(*) المشاركة في الحكم هنا تعني مساعدة فيصل لوالده في تسيير أمور البلاد وقيادة الحملات العسكرية وما إلى ذلك.

وأُسِر^(١) مع من أسر من أفراد أسرته وأُرسل إلى مصر وظل فيها سجيناً للمرة الأولى حوالي عشر سنوات ، ويبدو أن نجاح أبيه تركي واسترداده - ولو مؤقتاً - زعامة نجد كان من أهم العوامل التي شجعت على الفرار من سجنه والقدوم إلى نجد ليساعد والده في إدارة زمام الحكم .

ويقتضي الإنصاف منا أن نعطي وصفين لفیصل ، الأول وهو في عنفوان الشباب والقوة والسيطرة ، والثاني وهو كهل عركته الحياة من كثرة مشكلاتها وصعوباتها . ويقول حافظ وهبة في وصف فیصل وهو في ريعان الشباب مايلي :

« كان الإمام فیصل قصير القامة ، يميل إلى السمن ، متوقد الذكاء ، كثير التواضع يميل إلى العدل ، شديداً على عماله ، إذا رأى منهم انحرافاً عن الخطة التي رسمها لهم »^(٢) وفي وصف لأمين سعيد يقول فيه : « إنه كان يتمتع بمجموعة من المزايا والفضائل قل أن اجتمعت لسواه ، مما أكسبه مقاماً محموداً في نظر قومه وجعلهم يندفعون في تأييده ، ويتسابقون إلى نصرته »^(٣) . وفي شيخوخته زاره ولیم بولجريف 'Palgrave' في أواخر أيام حياته فوجده شيخاً مقعداً ، ضريراً ، سريع الغضب والانفعال ، كثير الشكوك والتردد ، متقلب الأطوار ، لا يثبت على رأي ، وقع تحت تأثير حاشيته وعلى رأسهم ابنه عبدالله وكتبه محبوب بن جوهر . ويذكر عنه أنه انزوى في عقربيته ولم يكن يبارحه إلا عند صلاة الجمعة أو عند زيارة قبر أبيه »^(٤) .

والحق يقال إن فیصل عندما زاره بولجريف كان طاعناً في السن ، صهرته التجارب والأحداث والمصاعب ومع هذا فإننا نلمس لدع انتقادات بولجريف لفیصل وربما يعود ذلك لأن فیصل وابنه عبدالله اتهماه بالجناسوسية وأمرأه بالخروج من البلاد^(٥) .

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى ، تاريخ بعض الجوادث الواقعة في نجد ، ص ١٤٧ ، ١٥٦ .

(٢) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٣٨ .

(٣) أمين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، المجلد ١ ، ص ١٤٥ .

(٤) Palgrave, Narrative of A year's Journey, vol. 2 p. 73 .

(٥) Palgrave, op. cit., vol 2, pp.219-220 .

ولم يطلع تاريخ هذا الحاكم منذ اللحظة الأولى التي خرج فيها من سجنه في مصر فلما وصل نجداً أصبح الساعد الأيمن لأبيه تركي ، وقاد الجيوش في الغزو، وشارك في إعداد وتنظيم ورسم الخطط لتسيير القوات الغازية ، كما عاون والده في الأمور السياسية والإدارية ، وناب عنه في حالات غيابه عن العاصمة ، فيكون بذلك قد استفاد خبرة طويلة في الشؤون العسكرية والسياسية والإدارية .

وكانت بداية غزواته زمن حكم أبيه عندما سار في حملة ضد إقليم الوشم الذي تمرد ضد السلطة . وقاد حملة بنفسه ضد القصيم ، وغزا عنيزة وقمع حركات التمرد فيها . وانتقم من عربان الصقور في الدهناء بسبب عدم دفعهم الزكاة المستحقة^(١) . كما اعتمد عليه والده في توطيد دعائم الحكم في الإقليم الشرقي الأحساء والقطيف ، المنطقة الحيوية للدولة الجديدة^(٢) وبعد عودته إلى الرياض أمره والده بالتوجه لغزو قبائل عتيبة التي كانت تقطن في شمال نجد ، بسبب ما قامت به من تمرد ضد الحكم ولعدم دفعها للزكاة المستحقة ، وتمكن من إجبارها على دفع الزكاة بالقوة .

وفي القطيف قامت حركة تمرد تهدف إلى الانفصال عن جسم الدولة ، وتمردت البلدة ضد الإمام تركي ، وكانت تلقى مساندة قوية من شيوخ البحرين ، فانتدب تركي ابنه فيصل لإخمادها ، فسارت قواته وحاصرها مدة طويلة وكادت البلدة تستسلم لولا أنه اضطر لفك الحصار عنها بعد أن سمع قت أبيه تركي على يد ابن أخته مشاري بن عبدالرحمن بن مشاري بن سعود في مايو ١٨٣٤م (أواخر ذي الحجة ١٢٤٩هـ) ، وتسلم هذا الحكم في الرياض بقوة السيف . فاضطر فيصل أن يفك حصاره عن القطيف ويرحل إلى الأحساء ، وهناك اجتمع بمجلس أعوانه مثل عبدالله بن رشيد وعمر بن عفيصان وزويد العبد ، وقرر الجميع تسيير القوات الموجودة في الشرق إلى الرياض للقضاء على تمرد مشاري^(٣) .

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٣٦.

(٢) عبدالكريم غرايبة ، مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٦٦ .

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٤٣ ، ٥٢ .

وبهذا الحد ينتهي دور مساعدة فيصل لوالده في الحكم، بعد أن قضى وقته يتدرب ويساعد في الأعمال العسكرية والسياسية والإدارية. والحقيقة يمكن القول إن الفترة الأولى من حكمه ما هي إلا امتداداً طبيعياً لدور المساعدة زمن أبيه. وهنا خصصنا الجزء الأعظم من هذا الفصل للبحث في فترة حكمه الأولى لأنها كانت بداية الطريق لتأسيس الدولة السعودية الثانية وحلقة الوصل بين فترة الحكم التركي المصري السابقة وبين تأسيس الدولة السعودية الثانية.

ولنعد الآن لمعرفة ما حدث بين فيصل والمتمرد مشاري. فقد سبق أن ذكرنا أن فيصل جمع مجلس شورى وتدارسوا الوضع الناجم عن التمرد، وبالتالي قرروا محاربة مشاري وإعادة الحكم لولي العهد الشرعي الأمير فيصل بن تركي. واعتمد فيصل على رجال من رؤساء العشائر فكانوا قوة دعم لموقفه ومن هؤلاء الأمير عبدالله بن رشيد الذي سيصبح فيما بعد رئيس جبل شمر نتيجة مساعدته لفيصل، ومؤسساً لبيت آل رشيد الذي سيطر على معظم أجزاء شبه الجزيرة بعد ضياع الدولة السعودية التي نتناول بحثها، والأمير عبدالعزيز بن محمد رئيس بلدة بريدة في القصيم، والأمير تركي الهزاني رئيس بلدة الحريق في الجنوب من نجد والأمير حمد بن علي بن غيهب أمير إقليم الوشم، والأمير عمر بن عفيصان حاكم إقليم الأحساء^(١). فنلاحظ أن فيصل كان يعتمد على قوة كبيرة من الرؤساء المحليين في أقاليم كثيرة من الدولة، وكان لهؤلاء كلمة مسموعة عند عشائريهم.

ومشاري هذا من أبناء الأسرة السعودية، أسر مع من أسر على يد إبراهيم باشا بعد فتح الدرعية، وأرسل إلى مصر، لكنه تمكن من الفرار والخروج من منفاه عام ١٨٢٦م (١٢٤٢هـ) ودخل في خدمة خاله تركي بن عبدالله، ولاقى منه كل احترام، وعينه حاكماً على بلدة منفوحة من أعمال الرياض. وفي عام ١٨٢٩م (١٢٤٥هـ) كشفت مؤامرة ضد الإمام تركي بن عبدالله. كانت تهدف إلى قلب نظام الحكم وقتله وبالتالي السيطرة على زمام الأمور السياسية في نجد، وكانت المؤامرة قد حيكت بتدبير

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٥٢.

- ضاري بن رشيد، المرجع السابق، ص ٦٥.

مشاري الطامع في الحكم. فألقى القبض عليه وعلى من اشترك في المؤامرة، وعزل عن إمارة منفوحة، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في الرياض تحت مراقبة خاله^(١). ولكنه استطاع الفرار إلى مكة، والتجأ عند شريفها محمد بن عون، وأقام عنده بعض الأشهر إلى أن عفا عنه تركي وعاد بعد العفو إلى مدينة الرياض^(٢).

ويبدو أن عزل مشاري عن الحكم، وقتل ونفي وسجن مدبري المؤامرة الأولى، وفراره إلى مكة عله يلتبس المساعدة من شريفها ضد خاله، واعتقاده الجازم أنه أحق من تركي في الحكم، كل هذا كان له أثر عميق في نفس مشاري، كما كان له أثر كبير في استمراره في سياسته الرامية لقلب نظام الحكم في نجد، إذ ظل يتربص عن كשב الفرص المواتية لنجاح مخططه، فاستغل فرصة انشغال فيصل بن تركي في حروبه ضد المناطق المتمردة على أبيه في الشرق، واستغل كذلك اشتراك معظم جيش تركي في هذه الحروب، فرتب مؤامرة جديدة حاكها مع الناقمين على حكم خاله، وبخاصة بعد ما أجراه الأخير من تعديلات إدارية بعد المؤامرة الأولى. فنظم مؤامرة مع أحد خدامه، تهدف إلى قتل تركي بعد خروجه من المسجد عقب صلاة الجمعة مباشرة. وبذلك يكون منصب الحكم شاغراً، فيتولى الزعامة السياسية في نجد حسب مبدأ القوة. وقد تمكن إبراهيم بن حمزة من قتل تركي بعد خروجه من المسجد وهو مشغول في قراءة رسالة قدمت إليه من أحد رعاياه^(٣). واستلم مشاري الحكم بالقوة وسيطر على قصر الحكم في الرياض، لكن فترة حكمه كانت قصيرة جداً لم تتجاوز أكثر من أربعين يوماً^(٤). وعلى أثر ذلك تحركت قوات فيصل إلى الرياض بعد أن أحاطت تحركاتها بمنتهى السرية وساعد على تحقيق مشروعه أمير الأحساء عمر بن عفيصان الذي وضع ميزانية بين مال الأحساء تحت تصرفه^(٥)، مما ساعده في إعداد حملته العسكرية، حتى أنها كانت من أهم عوامل نجاحه في قهر مشاري.

(١) عبد الكريم غرايبة، المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ الدولة السعودية، مجلد ١، ص ٢٤٤.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٥٣، ٥٤.

(٤) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٥) Philby, op. cit., p.167.

ونظم فيصل جيشه عندما وصل إلى الرياض في يونيو ١٨٣٤م (١٢٤٨هـ)، ولح في إعداد الخطة للقضاء على قاتل أبيه، فأمر مقدمة جيشه باحتلال الأبراج والمباني المحيطة بسور الرياض، وأمر جماعة أخرى بالتسلق على السور والتزول داخل المدينة. وبفضل هذا التنظيم حوَّص مشاري داخل القصر، وتفرق عنه جماعته وخانه أكبر أعوانه سويد بن علي الذي اتفق مع عبدالله بن رشيد على أن يساعدهم ضد مشاري على شرط أن يمنح إمارة جلاجل وهي إحدى بلدان منطقة سدير شمال الرياض وأن يكون حكمه في المنطقة حكمًا وراثيًا^(١).

وأما جند مشاري فعرض عليهم الأمان فانفضوا عن سيدهم، وبهذا أصبح موقف مشاري موقفًا ضعيفًا بعد تخلي أكبر أعوانه، سويد بن علي، وبعد أن تفرق عنه حراسه.

ولجأ مشاري عندها إلى طلب الصلح عله يحصل على أمان موقع من فيصل يستطيع فيه أن يضمن سلامته، ودارت بينه وبين عبدالله بن رشيد مندوب فيصل عدة مراسلات رأينا أن نذكرها هنا لأنها تبين طبيعة الخلافات القبلية من جهة وتعطينا صورة دقيقة عن موقف عبدالله بن رشيد من جهة أخرى، ذلك الموقف الذي كان له أثر عظيم في تأسيس الحكم الرشيدي في حائل.

وإليك نص المراسلات والمفاوضات التي دارت بين عبدالله بن رشيد ممثل فيصل ابن تركي ومشاري بن عبدالرحمن المحاصر في القصر. لقد حاول الأخير أن يلجأ إلى المفاوضة عله يحصل على أمان من فيصل، فيقول مشاري لعبدالله بن رشيد، أنت ما يدخلك في مسألتنا، ونحن من عنزة وأنت من قحطان.

أجابه عبدالله، «إني لم أدخل فيها إلا بإجماع طاعة المسلمين للخروج عليك لأنك خائن وقاتل إمامهم وهو في المسجد، وأنا ما جئت لهذا المكان إلا في أوامر فيصل،

(١) ضاري بن رشيد، المرجع السابق، ص ٥٠.
أنظر أيضًا: رسالة الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف وهو معاصر للحادث ومن قضية فيصل المشهورين في كتاب ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مجلد ٢، ص ٥٧.

وأنت إن أردت تنزل على حكمه وفي ما يرى فيك ، فأنا أنصحك وأكون معك ، فإن أبيت فسيترك في يدك ونحن إليك من الواصلين»^(١).

ولكن المفاوضات لم تؤد إلى نتيجة حاسمة في الموضوع ، ولم يستسلم مشاري الذي رفض فيصل الموافقة على مطالبه ، ولما اشتدت المعركة بين أتباع فيصل ومشاري ، احتسب الأخير في المسجد ، فدخل عليه جند فيصل الذي أمرهم بإخراج مشاري من المسجد ، ونفذ فيه حكم الإعدام بالنار وكان ذلك في يوليو ١٨٣٤م (١١ صفر ١٢٥٠هـ)^(٢). ولم ينفذ حكم الإعدام في مشاري فقط بل نال كذلك هذا الجزاء ستة من أعوانه ، ونفذ الحكم في الجميع في قصر الرياض^(٣).

وهكذا انتهى حكم مشاري القصير دون أن تكون له أعمال تذكر ، استعمل فيه البطش والقوة حتى يستطيع القبض على الزعامة السياسية في نجد^(٤). وبالقضاء على حكم مشاري تبدأ فترة حكم الإمام فيصل بن تركي للمرة الأولى على أمل إعادة بناء الدولة السعودية الثانية .

بدء المرحلة الأولى من حكمه :

عندما تولى فيصل الحكم بعد مقتل مشاري بن عبدالرحمن ، وجه رسالة إلى الشعب النجدي ، يمكن أن نستخلص منها النقاط التالية :

أولاً : اهتمامه الكبير بالأمور الدينية ، وتعتبر الرسالة فقهية أكثر منها سياسية ، فقد ضمنها عددًا من آيات الذكر الحكيم التي تحض على التقوى وعمل الخير ، ودعا الشعب إلى التمسك بأهداب الدين الحنيف ، وخصص الجوائز للقبائل التي تثبت أعمالها أنها تتمشى مع أوامر الشريعة .

(١) ضاري بن رشيد ، المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) ضاري بن رشيد ، المرجع السابق ، ص ٦ .

- رسالة محمد بن إبراهيم بن سيف إلى عثمان بن بشر المذكور سابقاً .

(٣) إبراهيم بن عيسى ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٤) أمين الريحاني ، المرجع السابق ، ص ٩٣ .

ثانياً : أمر بتنظيم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «فلا بد في كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الأمر . معتمداً بذلك على الآية القرآنية القائلة : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .» كما أصدر أوامره إلى حكام الأقاليم في نجد بأن يساعدوا هذه الجماعة، واعتبار أفرادها عوناً يعتمد عليهم، فيقول : «وعلى كل أمير أن يكون عوناً لهم، وهم خاصته في الحقيقة عوناً له على ما حملة الله من الأمانة .» وقد حددت غاية هذه الهيئة، وهي مراقبة سير تنفيذ ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وما زالت هذه الهيئة تلقي تعصيماً قوياً من حكام المملكة العربية السعودية اليوم^(١).

ثالثاً : حض في رسالته الشعب على الوحدة والتماسك، منبهاً إلى مساوئ ما يحدث عن الانقسام والفرقة بين أبناء الشعب؛ مستفيداً بذلك من تجارب الماضي ومن كثرة المحن والصعوبات التي مرت بها الدولة السعودية الأولى. ويقول في ذلك : «وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما في التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا»^(٢).

إن ما نلمسه من هذه الرسالة، هو شدة تدين الإمام فيصل، فكانت هذه بمثابة مرآة انعكست عليها شخصية فيصل المتدينة، كذلك فهي توضح مدى تمسكه بالشريعة والعمل من أجلها. وهنا يتبادر لذهن الباحث أن فيصل كان يرى في تأسيس هيئة الأمر جماعة يعتمد عليها، فضرب على نغمة العاطفة الدينية حتى يلتف من حوله النجديون، أو على الأقل يكسب عطف أتباع الدعوة إلا أن هذا التعليل يدحضه فلبى 'Philby' في كتابه العربية السعودية فيقول «إن الدافع السياسي، لا الحماس الديني هو الذي أوجد الأمبراطورية السعودية، خلال حكم تركي وابنه فيصل، وإن كانت المؤسسات الدينية لم تنزل عن مستواها السابق كثيراً .»^(٣) فيرى فلبى «أن الحماس

(١) جريدة أم القرى في عدديها ١١١ في ٢٤ رجب ١٣٤٥هـ / ٨ يناير ١٩٢٧م.

والعدد ١١٣ في ٨ شعبان ١٣٤٥هـ / فبراير ١٩٢٧م وغيرها.

- سيد محمد إبراهيم، الحياة الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ص ٢٦.

(٢) ابن بشر، المرجع لسابق، مجلد ٢، ص ص ٦٠-٦١.

(٣) Philby, op. cit., p. 159.

الديني كان له أهم الأثر في نجاح الدولة السعودية الأولى، وساعد في بناء صرح الدولة السعودية الثالث، حيث أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود اعتمد كثيراً على فرق الإخوان في بداية تأسيس الدولة السعودية الحديثة. لذا كان دور الدين كبيراً. وفي العقد الثاني من القرن العشرين بدأ الحماس الديني يسيطر مرة أخرى على حياة العرب ويضع أسس الدولة السعودية الثالثة^(١).

إهتم فيصل بأمر القضاء، فدعا قضاة أبيه من الأقاليم، منهم الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب قاضي الحوطة وأخوه الشيخ عبدالرحمن قاضي الخرج، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين قاضي الوشم، والشيخ محمد مقرن قاضي بلدان الهزوم، والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالوهاب. فحضر جميعهم وتناقش معهم في أمور القضاء، ودام اجتماعهم حوالي شهر، بحثت فيه الأمور التي تكفل سير عدالة القضاء، وبالتالي أكرمهم وعادوا إلى وظائفهم ومناطقهم^(٢).

وافتح فيصل عهده الجديد بمؤتمر الرياض عام ١٨٣٤م (١٢٥٠هـ)، فدعا قضاة والده تركي بالحضور إلى العاصمة، وطلب كذلك من رؤساء القبائل وأمراء الأقاليم في أنحاء نجد بالحضور إلى الرياض. وعقد هذا المؤتمر الذي بحث فيه أحوال الأقاليم وشئون القضاء، وانفض بعد مضي حوالي شهر من اجتماعه، وانتهى بإعلان الجميع الطاعة للإمام الجديد^(٣).

وبعد انفضاض المؤتمر، أمر فيصل بإرسال جباته مع أمراء وزعماء المناطق إلى الأقاليم. إلا أن اختلافاً وقع بين أهل الدواسر فأمر الإمام فيصل على جميع البلدان النجدية، بالغزو فاجتمعوا عنده في الرياض فاستعمل فيهم أميراً حمد بن عياف فاجتازت الحملة منطقة الدواسر ومرت ببلدة اللدّام ثم اتجهت إلى بلاد الوداعين،

(١) Philby, op. cit., 159.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٠، ٧١.

(٣) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ص ٧١، ٧٢.

وأقامت هذه الحملة في إقليم الدواسر حوالي الشهر، ثم عادت بعدها إلى الرياض. فأقبل زعماء الأقاليم إلى الشعراء لإعلان الطاعة للإمام فيصل، وللإعتذار له عما حصل في الإقليم^(١). ومع هذا لم تقض الحملة على أعمال الفتن ومخالفة النظام بشكل تام. مما اضطر فيصل أن يعلن النفي العام لقواته، وسار بالجيوش إلى الجنوب، وكان برفقته قاضي عسكره ابراهيم بن سيف. فغزا منطقة العرمة، واتخذ من بلدة ثمير مركزاً لتجمع قواته، ولما تكاملت قواته في هذا المركز سار بها نحو بلدة الشعراء، ذات المناخ الطيب. وهناك أقام معسكره الربيعي^(٢). ولما علم برفض عربان قحطان برئاسة ابن الدجما دفع الزكاة لعماله، أرسل لهم قوات قتلت منهم ستين شخصاً، وغنمت إبلهم وعادت الحملة إلى مركزها في بلدة الشعراء بعد أن أدبت المعارضين^(٣).

ويعتبر وصول فيصل بقواته للإقليم الجنوبي إصراراً على قمح الفتن والاضطرابات فيه. وكان لهذا الإصرار أثر في طلب رؤساء الإقليم العفو منه. فقد حضر زعيم قبائل مطير، محمد بن فيصل الدويش، ورئيس قحطان، محمد بن قرملة، ومعهما بعض مشايخ عربان الدواسر، فقدم الجميع الولاء لفيصل وبعدها عاد بقواته إلى الرياض بعد أن غاب عنها مدة أربعين يوماً^(٤).

ويلاحظ أن عدم دفع الزكاة من قبل هذه القبائل إن كانت في الشمال أو في الجنوب لا تعني دوماً علامات السخط على الحكومة المركزية في نجد، بل كثيراً ما كانت تحدث مثل هذا الأعمال وبشكل عادي في حياة الصحراء^(٥). وربما يعود ذلك - إلى عدم التقيد بدفع الزكاة - إلى البيئة الطبيعية. فهم يرون أن طعامهم وطعام أغنامهم وإبلهم كلها من المراعي الطبيعية التي لا تساهم الحكومة في إنعاشها إلا ما ندر. ويرون أنهم

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٢.

(٢) Philby, op. cit., p. 173.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٢.

(٤) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ٧٢.

(٥) Philby, op. cit., p. 173.

هم أنفسهم الذين يتحملون قساوة الطقس، وأتعاب تحصيل الطعام، هذا إلى جانب بعدهم عن مركز السلطة مما يسهل نجاح تمردهم.

وفي أثناء عملية إخضاع حركات التمرد في الجنوب، كانت أقاليم الشمال في هدوء تام. إلا أنه في عام ١٨٣٥م (١٢٥١هـ) أصدر فيصل أوامره بتعيين صديقه الحميم عبدالله بن رشيد أميراً على إقليم الجبل (شمر) بدلاً من أميرها صالح بن عبدالمحسن بن علي رئيس العائلة الحاكمة في المنطقة. ويكون بذلك قد انتقل الحكم في إقليم الجبل من آل علي إلى آل رشيد، مكافأة لرئيسهم عبدالله بن رشيد الذي كان له اليد الطولى في قتل مشاري بن عبدالرحمن، وتدعيم حكم فيصل. وبذلك نشأت الإمارة الرشيدية في حائل^(١). إلا أن آل علي رفضوا مثل هذا الإجراء، وثاروا ضده. وحدثت مشادة في مسجد حائل بعد صلاة الجمعة انتهت بفرار آل علي إلى القصيم وأقاموا في بلدة بريدة. وكتب عبدالله بن رشيد إلى الإمام فيصل وأخبره بما حدث في إقليم الجبل، فما كان من فيصل إلا أن صدقه، فأدركهم ابن رشيد بعد ذلك في بلدان القصيم، فقتل رئيسهم صالح بن علي وعدداً من جماعته، مما اضطر أسره آل علي أن تهاجر من القصيم إلى مكة^(٢).

وهنا نتوقف قليلاً لنرى تزايد نشاط محمد علي والي مصر في جزيرة العرب، ثم نعود لمعرفة العلاقة القائمة بين هذا الوالي وبين الإمام فيصل حاكم الدولة السعودية الثانية.

نشاط محمد علي في جزيرة العرب:

تتميز الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بالعداء المسلح الذي وقع بينه وبين قوات والي مصر. وتعد هذه الاصطدامات العسكرية والتي أنهت حكم فيصل امتداداً للحروب الطويلة التي وقعت بين حكام آل سعود وبين قوات محمد علي عندما نفذ أوامر السلطان العثماني وقضى على الدرعية.

(١) ضاري بن رشيد، المرجع السابق، ص ص ٤-٥.

- أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٢.

إلا أن الوضع السياسي هنا يختلف تمامًا عن سابقه، ففي هذه المرة تزايدت أهداف والي مصر في جزيرة العرب، فهو الآن في الثلاثينات من القرن التاسع عشر (الثالث عشر الهجري) يزيد تدعيم نفوذه في جزيرة العرب وبشكل منفصل عن الدولة العثمانية. وقد شجعت انتصاراته في بلاد الشام وجعلته يطمع في إنشاء دولة عربية موحدة تنتظم البلاد التي ينطق أهلها بالضاد، لذا عاد إلى التدخل في شئون جزيرة العرب^(١).

ورأى الباشا أنه لمن الضروري وفي هذه الظروف بالذات أن يبحث جذور الثورة في أرض الجزيرة ليتمكن بعدها من تحقيق أهدافه الكبرى. وكان يرى في قيام الدولة السعودية ثورة تهدد سيادته في قلب نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة. ويؤيد هذا ما أشارت إليه الوثائق المصرية التي تقول «بما أن فيصل بن تركي شيخ نجد أظهر التمرد بامتناعه عن إعطاء بعض لوازم الجيش، فقد لزم أن نسير عليه رجالاً ومعه ألف خيال عربي وألف من عسكر البيادة (المشاة) المغاربة...»^(٢).

وعلى كل حال لم تكن الثورة في نجد فحسب، بل حدثت إضطرابات في جزيرة العرب بشكل عام. ويبدو أن قيام مثل هذه الثورات ضد الترك وواليهم محمد علي ما هي إلا انتهازاً لفرصة انشغال الطرفين بحروبهما في بلاد الشام. فقررت الحجاز وعسير واليمن ونجد الانفصال مطالبة بالحكم الاستقلالي.

ودليل ذلك قيام ثورة الشريف يحيى في الحجاز عام ١٨٢١م (١٢٣٧هـ). مما اضطر محمد علي أن يرسل إلى الحجاز خمس أورطات من الجند النظامي مع ألف من الفرسان، وأصدر مرسومًا بطرد الشريف يحيى وتعيين الشريف محمد بن عون، نزيل الباشا في القاهرة. وبالتالي كان مصير ثورة الحجاز هذه بالفشل^(٣).

(١) أمين السعيد، المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٤٦.

(٢) وثيقة دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٤٨٩، ص ٨٠، مؤرخة في ٢٩ صفر ١٢٥٢هـ، من الجناح العالي إلى حبيب أفندي - محافظ الحجاز - دار الوثائق القومية ببغداد.

(٣) عبدالرحمن الراجحي، عصر محمد علي، ص ٣٥٨.

ولم تحمد الثورة في الحجاز لأن جذورها متأصلة، ففي عام ١٨٣٢م (١٢٤٨هـ) شبت فتنة عسكرية في جدة، كانت من ثلة ضباط غير نظاميين من بقايا الجيوش القديمة، وترأس هذه الفتنة زنار آغا وتركي بيلمز. وطالبوا خورشيد باشا والي الحجاز برواتبهم المتأخرة، وبعد توسط شريف مكة تعهد لهم خورشيد بالحضور إلى جدة والاجتماع بهم لبحث مطالبهم، ولكنهم ألقوا القبض عليه واحتجزوه أسيراً عندهم، مما أدى إلى وقوع اشتباكات بين الحامية المصرية وبين الثوار^(١).

ومع أن الفتنة خمدت نتيجة سماعها بانتصار محمد علي في بلاد الشام، وفتح جيوشه مدينة عكا، إلا أن الباب العالي كان يهيمه أن تبقي الفتنة مشتعلة في الحجاز عله يربك سياسة وإلى مصر. لذا أصدر السلطان محمود الثاني فرماناً بتعيين تركي بيلمز والياً على الحجاز بدلاً من واليها السابق خورشيد باشا المؤيد لمحمد علي^(٢).

لكن نجاح الباشا في بلاد الشام جعله يتفرع لإخماد الثورات في جزيرة العرب. فأرسل الألاي السابع من الجنود النظاميين مع ١٥٠٠ فارس، ويكون بذلك قد وصل عدد الجيش المصري في الحجاز ٤٠٠٠ جندي مقاتل. وعقد لواءه لأحمد باشا يكن الذي كان قد شغل منصب وإلى الحجاز من قبل، ومنحه رتبة رئيس عسكر الأقطار الحجازية^(٣)، وكان هذا الإجراء من قبل محمد علي يعد دليلاً قاطعاً على اهتمامه بتوطيد نفوذه في جزيرة العرب لما لها من الأهمية الدينية والسياسية^(٤)، ولأهميتها بالنسبة لمشروع الدولة العربية الموحدة. وقد استطاعت هذه الحملة تحقيق غايتها، فدحرت بيلمز من جدة إلى القنفذة، ثم حاصرته مرة أخرى في المخا فانتصرت عليه بمساعدة قبائل عسير المؤيدة. وبالتالي اضطر بيلمز أن يفر ويحتمي بإحدى السفن البريطانية في المنطقة^(٥). وبذا تمكنت قوات والي مصر من السيطرة تماماً على منطقة الحجاز وبعض أقاليم منطقة عسير بعد أن تكلفت الشيء الكثير من الخسائر، أضف إلى هذا ما سببته الأمراض التي انتشرت بين صفوف الجند من دور كبير في خسائر الأرواح التي مني بها الجيش المصري^(٦).

(١) عبدالرحمن الراجعي، المرجع السابق، ص ٣٥٨.

(٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) عبدالرحمن الراجعي، المرجع السابق، ص ٣٥٩.

وإذا كانت الاضطرابات قد انتهت في الحجاز إلا أنها لم تنته في منطقة عسير اليمن، فظهرت حركات تمرد في المنطقة قادها آل عائض، الزعماء ذوو النفوذ فيها. فأنفذ لها الباشا حملة عسكرية من قواته المرابطة في الجزيرة بقيادة إبراهيم باشا، سر عسكر اليمن. إلا أن الحملة باءت بالفشل. ويعود سبب فشلها إلى الخلاف الذي وقع بين الشريف محمد بن عون وأحمد باشا سر عسكر الحجاز. والخلاف في حد ذاته يعود إلى أن الشريف يريد توسيع منطقة نفوذه في إقليم عسير، وهذا ما لم يوافق عليه أحمد باشا^(١). إلا أن عمر رفيع يرجع سبب هذا الفشل إلى ما ادعاه الشريف من ضعف عسكري واقتصادي في الجيش المصري^(٢).

ويبدو أن محمد علي اقتنع برأي أحمد باشا الذي علل فشل الحملة بتمرد الشريف، فأصدر أوامره بحضور الشريف وأحمد باشا إلى القاهرة للتباحث معهما في أمر الهزيمة، وبالتالي عزل الشريف محمد بن عون وأبقاه تحت مراقبته في القاهرة وأعاد أحمد باشا إلى منصبه^(٣).

والذي يهمنا هنا أن أهالي عسير أرسلوا بشائر النصر إلى الإمام فيصل مع بعض ما غنموه كدليل قوي على الروابط السياسية بين الرياض وعسير^(٤)، والتي هي امتداد للصلات السياسية القائمة بين نجد وعسير زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، ومن هنا كان قد لمع تاريخ عسير السياسي^(٥). وقد لعبت هذه المنطقة دوراً هاماً بقيادة الحسن الإدريسي الذي طلب حماية الدولة السعودية الثالث لبلاد عسير ضد الإمام يحيى حميد الدين الذي أراد أن يبتلع المنطقة، وبالتالي ضمت نهائياً إلى الدولة السعودية الحديثة عام ١٩٣٠م (١٣٤٩هـ)^(٦).

(١) Hogarth, Arabia, p. 314.

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٤.

(٢) عمر رفيع، في ربوع عسير، ١٧٨.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٣.

(٤) Philby, op. cit., p. 174.

(٥) محمد أحمد عيسى العقيلي، من تاريخ المخلاف السليماني - القسم الثاني من الجزء الأول، ص ٤٨١، ٤٨٣.

- هاشم بن سعيد النعيمي، تاريخ عسير، ص ٢٣١.

(٦) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٤٣-٤٤.

علاقة فيصل بمحمد علي ونهاية حكمه الأول :

لم يكن مصير ثورة أمير نجد فيصل بن تركي بأفضل من ثورات غرب الجزيرة التي قامت في أقاليم الحجاز وعسير واليمن ضد الوالي محمد علي . إذ بعد نجاحه في الاستيلاء على الشام وجه حملة إسماعيل بيك وخالد بن سعود إلى نجد . وتشير الوثائق المصرية إلى أن الحملة كانت قد أعدت جيوشها ومؤنّها وعتادها من الوجه القبلي القريب من ميناء القصير^(١) . وكانت ترسل إمدادات عسكرية أخرى عن طريق السويس - قنا - القصير - ينبع ، ثم تسلك طريق البر^(٢) . وتشير الوثائق كذلك إلى أن الحملات الموجهة إلى نجد كانت مجهزة بالأدلاء والأطباء وبأحدث أنواع الأسلحة . ورصدت أموال كثيرة من عملة الفرنسية (المتداولة وقتذاك) لهذه الحملات^(٣) وزيادة على ذلك فقد أصدر محمد علي أوامره لموظفي دولته كأحمد باشا وكيل ناظر الجهادية وإلى مدير خزانة مصر وإلى مأمور ديوانه حبيب أفندي ، ولمحافظي المدينة المنورة وجدة وينبج أن يسهلوا عملية نقل المعدات والإمدادات والمؤن إلى نجد ، وحذرهم من تأخير أي مدد يصل إلى البنادر المذكورة^(٤) .

(١) مضمون ما جاء في الوثيقة دفتر ٧٠، معينة تركي، رقم ٤٣٦، ص ٧٤ المرسلة، من جناب الخديوي إلى حسين بك مدير النصف الأول من الوجه القبلي، مؤرخة في ٢٨ محرم سنة ١٢٥٧هـ، دار الوثائق القومية ببغداد.

(٢) مضمون ما جاء في الوثيقة دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٨٧١، ص ١٥٢، مؤرخة في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢هـ. من الجناب العالي إلى باقي بك، دار الوثائق القومية ببغداد، والوثيقة دفتر ٧٠، معينة تركي، رقم ٤٠٧، ص ٦٧، مؤرخة في ١٩ محرم سنة ١٢٥٢هـ من الجناب العالي إلى عباس باشا، دار الوثائق القومية ببغداد، والوثيقة دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٨٠٩، ص ١٤٢، مؤرخة في ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢هـ من الجناب العالي إلى حبيب أفندي ببغداد.

(٣) مضمون الوثيقة دفتر ٧٧، معية تركي، رقم ١٠٣، ص ١٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجناب العالي إلى أحمد باشا. والوثيقة دفتر ٧٤، معية تركي رقم ٦١٧، ص ١٠٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ. من الجناب العالي إلى الخزينة، دار الوثائق ببغداد.

(٤) مضمون الوثائق دفتر ٧٧، معية تركي، رقم ١٠٤، ص ١٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجناب العالي إلى إسماعيل بك ببغداد، والوثيقة دفتر ٧٨، معية تركي، رقم ١٦٣، ص ٤٦، مؤرخة في ٢٠ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجناب العالي إلى سليم باشا ببغداد.

ونلاحظ من سير هذه الحملات ومن مدى ما وصلت إليه من تنظيم في إعدادها نشاطاً جديداً في سياسة محمد علي في جزيرة العرب لضم المقدسات من جهة، وإخضاع السعوديين من جهة أخرى، ولقد نفوذه إلى سواحل الخليج العربي من جهة ثالثة، وبذا يكون قد أخضع السودان وبر الشام والجزيرة العربية لدولته.

أما الإمام فيصل فقد كان مشغولاً في توطيد دعائم الأمن في الإقليم الشرقي من مملكته، كالقطيف وسيهات اللتين كانتا تلقيان مساعدة وتشجيعاً على الثورة من شيوخ البحرين ذوي المصالح الحيوية في الإقليم. ولكن قوات فيصل بقيادة زويد العبد استطاعت أن تعيد الأمن في الإقليم المذكور، وجاء وفد إلى الرياض برئاسة ابن أمير القطيف عبدالله بن غانم وأمير سيهات علي بن عبدالرحيم، وأعلن الجميع ولائهم للإمام فيصل الذي كان قد سار على رأس قواته لتأديب بعض القبائل البدوية التي كانت تقيم في الدهنا ورفضت دفع الزكاة للرياض عام ١٨٣٥ م (١٢٥١ هـ)^(١).

وهنا يبدأ الاحتكاك بين فيصل ومحمد علي، فيذكر المؤرخ النجدي المعاصر عثمان بن بشر أن محمد علي باشا أرسل إلى فيصل مندوباً عنه يدعى دوسري ابن عبدالوهاب، وكان هذا من بين الأسرى الذين نقلهم إبراهيم باشا بعد استيلائه على الدرعية إلى مصر. وكان غرض هذا الرسول كما يذكر ابن بشر أنه أي - باشا مصر - يريد، «مطالب وخراجاً»^(٢). ولم يحدد هذا المؤرخ ما هي المطالب التي طلبها رسول الباشا من فيصل، وأما الخراج فهو الجزية السنوية. ويبدو أن المطالب التي ذكرها ابن بشر تعني الخضوع السياسي والإداري لسلطة باشا مصر عن طريق ممثله حكمدار الدرعية أو ما يسمى أحياناً قائم مقام نجد.

والواضح أن ابن بشر بما أنه أشبه بكاتب ومؤرخ رسمي لآل سعود وبخاصة زمن الإمام فيصل، فهو لا يريد أن يفصح بشكل مباشر عن مطالب محمد علي باشا التي

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٣-٧٤.

(٢) ابن بشر، نفسه مجلد ٣، ص ٧٤.

حددت في الوثيقة المرسلة من جانب محمد علي إلى عباس باشا والتي جاء فيها ما يلي :
«بما أن فيصل شيخ نجد أظهر عدم الانقياد بترده في إعطاء ما يلزم للجيش المنصور، فقد لزم تجريد حملة عليه»^(١).

لجأ فيصل إلى المجاملة، فأرسل أخاه جلوي ومعه الهدايا إلى أحمد باشا والي الحجاز، وظل جلوي في الحجاز حتى أدى فريض الحج^(٢). والذي يمكن ملاحظته من هذه الزيارة هو أن فيصل كان يريد أن يوسط الوالي أحمد باشا في الأمر عله بدوره يقنع حكومة والي مصر بأن فيصل لم يظهر أي نوع من التمرد، فلا ضرورة لإرسال حملات عسكرية لإخضاعه، وبخاصة أن دولته لا تتعدى حدود نجد وبعض الأقاليم الشرقية. ولم تجد هذه الوساطة نفعا بعد أن عاد جلوي أدراجه إلى الرياض. والذي يؤكد فشل هذه الوساطة استمرار سير حملة إسماعيل آغا وخالد بن سعود في التقدم نحو القصيم. وحاول فيصل مرة ثانية أن يتفاهم مع قائد القوات الزاحفة، فأرسل محمد بن ناهض الحربي ومعه الهدايا إلى قائد الحملة إسماعيل بيك عله يقنعه بحل الأمور دون احتلال نجد، وكان محمد بن ناهض إلى جانب كونه مفاوضا إلا أنه كان بمثابة جاسوس لفيصل يدرس حركات القوات ومدى استعدادها، وبالفعل عاد وأخبر فيصل أن الحملة اتجهت من ينبع والمدينة إلى الحناكية في القصيم. وعندها أيقن فيصل أن الوساطة لن تجدي وأن باشا مصر مصمم على اكتساح نجد والقضاء على قوة آل سعود فيها، كان عليه أن يتخذ موقفاً حازماً فأصدر أوامره للنفير العام بالتجمع في العاصمة، فجاءته قوات الحضر والبدور من الدواسر والأحساء والأفلاج والخرج وسدير^(٣).

وفي مارس ١٨٣٦ م (أواخر شوال ١٢٥٢ هـ) اتجهت قوات فيصل إلى مكان يدعى الخفسية بالدهناء (والخفسية عبارة عن عين ماء بالقرب من أطراف الدهناء)، وانتظرت القوات هناك حتى تجمعت كل الإمدادات واللوازم، وبعدها رحلت إلى

(١) من الوثيقة، دفتر ٧٠، معية تركي، رقم ٤٠٧، ص ٦٧ مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٢ هـ من الجناح العالي إلى إسماعيل بك، محافظ الحجاز، دار الوثائق القومية بعبدين.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، ص ٧٥، ٧٦.

مكان يدعى الصريف (قرب بلدة التنومة في إقليم القصيم) وعسكرت هناك مدة شهر، ثم رحلت إلى عنيزة التي ساعدته وأيده أميرها يحيى بن سليمان، ثم سارت القوات إلى بريدة وهناك لقيت تأييداً من أميرها عبدالعزيز بن محمد، وبعدها انتقلت إلى الخبرا في القصيم ورابطت هناك مدة عشرين يوماً. وكانت قوات محمد علي وقتذاك قد وصلت إلى بلدة الرّس في القصيم، وأصبحت القوات النجدية والمصرية وجهاً لوجه^(١). إلا أن فيصل درس موقفه فوجده أضعف من حيث القوات والعدد والصمود من خصمه، وبخاصة أن بعض بلدان الشمال أطاعت القائد المصري خوفاً من نتائج الحروب لأن أراضيهما ستصبح ميداناً للقتال، فرأى فيصل أن خير وسيلة له أن يعود إلى الرياض ليحصن المدينة وينظم حركة المقاومة فيها، ويجمع ما يمكن جمعه من المؤن والعتاد والرجال للدفاع عنها. وتعتبر هذه المحاولة آخر ما يمكن أن يقوم به لإنقاذ الموقف. لكن الأمور في الرياض كانت عكس ما توقعه تماماً، لأنه وجد أن معظم السكان كانوا لا يميلون إلى مساعدته^(٢). ويرجع هذا إلى فشله في مقاومة عدوه في منطقة القصيم، ولما بثه أصدقاء خالد بن سعود من دعاية لسيدهم الجديد، فاستطاعوا تأليب الرأي العام في الرياض ضده^(٣). ولأن الحروب تعيد إلى أذهانهم قساوة جند إبراهيم باشا بعد فتحه الدرعية. وبدت علامات التذمر تسود الناس في الرياض حتى أن بعض عائلات المدينة قررت الرحيل عنها إذا استمر فيصل في المقاومة. كما أن بوادر الثورة والسخط ظهرت في العاصمة، وهذا ما دعا فيصل إلى ترك المدينة بعد أن حمل أمواله وسلاحه واتجه إلى الخرج عند أهلها المخلصين له^(٤). ويمكن القول إن رحيل فيصل من الرياض إلى الخرج، ثم انسحابه إلى الأحساء بعد عشرة أيام والتجائه عند حكامها من آل عفيصان، كان هذا معناه ضعف موقف فيصل وتراجع أمام قوات محمد علي. وهذا يدل على عدم اقتناع فيصل بجذوى المقاومة. ومع هذا لم يئأس فيصل بل استمر وهو في الأحساء ينظم القوات ويرسم الخطط ليعيد الكرة على عدوه، وبخاصة بعد أن لمس

(١)

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٨، ٧٩.

(٣) Philby, op. cit., p. 176.

(٤) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٦.

كره الأهالي بشكل عام للحكم الأجنبي ، فجمع جيشًا من قبائل مطير والعجمان وسبيع والسهول مع أهالي الأحساء وأخذ ينتظر الظروف المواتية^(١).

أما بالنسبة لجيوش محمد علي باشا فقد اجتازت القصيم بعد أن أطاعتها المنطقة . ثم أرسل إسماعيل بيك حملة من الجيش النظامي والمتطوع إلى جبل شمر لإخضاع أميره عبدالله بن رشيد المؤيد لفيصل بن تركي ، وكانت الحملة بقيادة القائد المصري إبراهيم المعاون ومعه عيسى بن علي حاكم جبل شمر الجديد ، ولم يتمكن ابن رشيد من المقاومة ففر بأمواله وأسلحته ، ودخلوا حائل دون مقاومة تذكر ، وعين عيسى بن علي أميراً على إقليم شمر^(٢).

ولما سمع أهالي الرياض باكتساح جيوش الباشا أقاليم الشمال ، قرر رؤساؤها الذهاب إلى القصيم وإعلان ولائهم للقوات المصرية ولأمير خالد بن سعود . وهذا تكون نجد قد خضعت برمتها للقوات الزاحفة ما عدا أقاليم الجنوب كالخرج والحلوة والحوطة التي رفضت إطاعة خالد بن سعود إلا إذا حكم البلاد باسمه كسعودي دون أن يكون تابعاً لمحمد علي ، وقد شجعهم على هذا الموقف ثلة من آل الشيخ ذوي السلطة الدينية في نجد^(٣).

قرر القائد إسماعيل بيك والأمير خالد بن سعود تأديب أهالي الجنوب على موقفهم هذا فتوجهت قوات من الجند النظامي والمتطوع بلغ عددها سبعة آلاف مقاتل اشتبكت مع عدوها فقاومهم البدو والفلاحون مقاومة عنيفة تزعمها رؤساء الجنوب كتركي الهزاني وإبراهيم بن عبدالله وفوزان بن محمد آل مرشد وغيرهم ، وأثبت الفلاحون والبدو أن

(١) Philby, op. cit., p176.

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢ ص ٧٧.

(٢) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ٧٧.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٨، ٧٩.

- Philby, op. cit. p.200.

بإمكانهم كسر القوات المنظمة التي اندحرت وخسرت الكثير من رجالها وعتاده وانسحب إسماعيل بيك وخالد بن سعود إلى الرياض^(١).

والذي دعانا لذكر هذه المعركة، أهميتها الكبيرة، فقد تشجع فيصل الذي في الأحساء وجمع قواته وسار بهم إلى الدلم أكبر مدن الخرج. وهناك اتحد بقواته مع أه الجنوب، وتناوشت هذه القوات مع قوات خالد بن سعود الذي خرج من الرياض لمواجهة قوات فيصل، وبالتالي اندحر خالد بن سعود وجنده. ويعلل فليبي س اندحار خالد بأنه يرجع إلى أن فيصل كان قد وضع كل ثقله في أتون المعركة. ونتج هذا الاندحار أن استطاعت قوات فيصل التقدم إلى الخرج واحتلت منفوحة القريبة الرياض^(٢). وبعد هذا النصر الذي حققه فيصل على خصمه خالد تقدمت جيوش وحاصرت الرياض في ٧ سبتمبر ١٨٣٧ م (جمادى الثاني ١٢٥٣ هـ)، وسبب الحصار ارتباكاً في قوات إسماعيل بيك وخالد بن سعود، وبخاصة لانقطاع الإمداد الناجمة عن الحصار^(٣). ولما لم تستسلم المدينة، أقامت قوات فيصل السلالم للتسلق السور والنزول إلى داخل المدينة، إلا أن الجند المحاصرين دافعوا دفاع الأبطال وظلوا يقاومون إلى أن وصلتهم الإمدادات من قبائل نجد المؤيدة لخالد بن سعود وكانت هذه الإمدادات برئاسة فهيد الصييفي رئيس قبائل سبيع وقاسي بن غصم رئيس قبائل قحطان، وقد خففت هذه النجادات من وطأة الحصار. وفي أكت (شعبان) من السنة نفسها قرر فيصل فك الحصار^(٤) للأسباب الآتية:

(١) Philby, ibid., p.176.

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٩، ٨٠.

(٢) Philby, op. cit., p.178.

- سعود بن هذلول، ملوك آل سعود، ص ١٣٩.

(٣) وثيقة محفوظة ٢٦٢ حراء، رقم ٩٠، مؤرخة في شوال ١٢٥٣ هـ، من خورشيد باشا إلى السنية، عابدين.

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٨١.

(٤) الوثيقة رقم ١٠٦ حراء، محفوظة ٢٦٢، ومؤرخة في ١٢ ربيع الأول ١٢٥٣ هـ، دار الو القومية بعابدين.

(٥) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٨١، ٨٢.

أولاً: لما وصل المدينة من نجدات أضعفت في أمل نجاحه .
ثانياً: صلابة موقف القوات المحاصرة .
ثالثاً: ملت قواته من طول الحصار ويدون فائدة .
رابعاً: وصلته أخبار تفيد أن والي مصر أرسل قوات جديدة بقيادة خورشيد باشا زحفت من المدينة المنورة إلى نجد .

دارت مفاوضات بين فيصل وخالد بن سعود أثناء الحصار، وقرر الطرفان الاجتماع على أرض محايدة بين الرياض ومنفوحة، ودام اجتماعهم حوالي ثلاث ساعات «من صلاة الظهر إلى ما بعد العصر»^(١). وصلت أخبار الاجتماع إلى القائد خورشيد باشا وهو في المدينة المنورة عن طريق يحيى بن سليمان، حاكم عنيزة والمؤيد للأمير خالد. وتفيد رسالة يحيى المذكورة أن مطالب فيصل تتلخص في انسحاب خالد بن سعود وإسماعيل بيك من نجد، وقد نقل خورشيد هذه المعلومات إلى محمد علي. فقال في إحدى رسائله إن الأخبار تفيد «عن وقوع إقامة صلح بين خالد وفيصل، وأن إسماعيل والعساكر المحصورة في الرياض على وشك القيام إلى مكة مع خالد المذكور»^(٢). ومع هذا فيذكر في رسالة أخرى أن ما وصله من بعض الهجاة، تفيد أن الصلح المذكور لم يقع، وذلك لأن خالدًا يريد إمارة نجد، وأن يكون فيصل أميراً على الأحساء والأقاليم الشرقية وهذا ما لا يوافق عليه الأخير^(٣).

قرر محمد علي تعزيز قواته المحاصرة في نجد فأرسل خورشيد باشا بقوات كثيفة عسكرت في بلدة الرس في القصيم، وهنا لجأ خورشيد إلى الملاينة في البداية قبل اتخاذ

(١) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ٨٢.

(٢) وثيقة رقم ١١٩، حمراء، محفظة ٢٦٢، عابدين، مؤرخة في ٢٠ رمضان ١٢٥٣هـ من خورشيد إلى صاحب الدولة.

أنظر: كذلك المرفق مع الوثيقة رقم ١٩٦، محفظة ٦٢ حمراء، المؤرخة في ٢٥ شعبان سنة ١٢٥٣هـ من يحيى بن سليمان إلى خورشيد باشا.

(٣) وثيقة رقم ١١٩ حمراء، محفظة ٢٦٢، مؤرخة في ٢٠ رمضان سنة ١٢٥٣هـ، عابدين من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة.

أي إجراء عسكري ضد فيصل وبخاصة بعد أن وصله مندوب فيصل بزيع بن شومر الذي عرض عليه موافقة فيصل على توقيع صلح بشرط أن يعطى كتاب أمان خطي^(١). ولكن يبدو لنا أن موقف فيصل كان مجرد حيلة حتى يوقف زحف القوات المصرية الجديدة إلى الرياض ويستطيع القضاء على قوة إسماعيل وخالد فيها.

أرسل خورشيد مبعوثاً عنه إلى فيصل في عام ١٨٣٨م (٢٢ شوال ١٢٥٣هـ) وكان هذا المبعوث هو الشريف عبدالله حاكم بندر ينبع ليختار أحد حلين، إما الانسحاب من نجد إلى الأحساء، كما كان قد تفاوض مع خالد بن سعود، وأن يرسل أخاه جلوي كرهينة عند خورشيد ليضمن تنفيذ الاتفاق، وإما الحرب. وتشير الوثائق المصرية «أن فيصل قرر الانسحاب إلى الأحساء، وأن يرسل إلى (خورشيد) أخاه جلوي بصحبة الشريف عبدالله رهينة عنده، وأعلن فيصل لجماعته أنه سيغادر منفوحة في مدة ثلاثة إلى أربعة أيام»^(٢). ومع هذا فإن خورشيد باشا يشير في نفس الرسالة المذكورة إلى أن فيصل ربما ينفذ هذا الاتفاق.

أما رواية ابن بشر فتذكر أن الشريف عبدالله جاء إلى منفوحة عند فيصل ومعه بعض الهدايا له، وأقنعه بالانسحاب من منفوحة بعد أن وعده بتبتيته على ملكه^(٣).

ولكن المدقق في رواية ابن بشر وما أورده خورشيد في رسالته إلى محمد علي يجد تبايناً واضحاً بينهما. فرسالة خورشيد تبين قبول فيصل الانسحاب إلى الأحساء. وتحدد موعداً لهذا الانسحاب من ثلاثة إلى أربعة أيام. بينما نرى أن رواية ابن بشر تذكر أن الانسحاب كان بناء على وعد من الشريف عبدالله، الذي يمثل خورشيد. وتفيد بأن يبقيه على إمارة نجد. وعلى رواية ابن بشر هذه عدة مآخذ:

(١) وثيقة محفوظة ٢٦٢، عابدين، حمراء رقم ٩٠، مؤرخة في غرة شوال سنة ١٢٥٣هـ، من خورشيد باشا إلى المعية السنية.

(٢) وثيقة محفوظة ٢٦٢، رقم ٢٦٥، مؤرخة في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٥٣هـ، من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، عابدين.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٨٣.

أولاً : ما هي الضمانات التي أخذها فيصل من خورشيد عندما وعده بإمارة نجد قبل انسحابه من منفوحة؟

ثانياً : إذا كان خورشيد قد وعد فيصل بتثيته على ملكه كما يقول ابن بشر فلماذا انسحب فيصل من منفوحة القريبة من الرياض؟

ثالثاً : وهل كان فيصل الرجل الذي عركته التجارب من السداجة بمكان حتى يقنع بالكلام المعسول كما يذكر فليبي في روايته التي نقلها عن ابن بشر^(١).

رابعاً : لماذا نقل فيصل جميع أمواله من الرياض قبل أن يغادر منفوحة ما دامت شروط الصلح تنص على تعيينه أميراً على نجد؟ ألم يكن هذا معناه أن شروط الصلح تذكر انسحابه إلى الأحساء يأخذ معه كل ما يريد من أمواله وعتاده؟

خامساً : ثم لماذا أمر قواته من القبائل التي كانت مستنفرة بالانصراف؟

سادساً : هل كان فيصل يرضى أن يحكم نجد باسم محمد علي كالأمر خالد بن سعود؟

لهذا فإن الإجابة على هذه الأسئلة جميعها تثبت بطلان إدعاء ابن بشر، وتؤكد أن رواية خورشيد أدق وأصح بخاصة أنها رسالة من تابع لسيده لا يكتب فيها إلا كل ما هو رسمي وصحيح . ومما يدعم صحة رواية خورشيد بقاء خالد والقوات في نجد وانسحاب فيصل بها معه من أموال وأسلحة من منفوحة إلى الدلم، بعد أن أرسل أخاه جلوي إلى خورشيد ليكون رهينة عنده كضمان لتنفيذ الاتفاق .

وبعد أن ارتحل فيصل من منفوحة اتجه إلى الدلم، ويبدو أنه تباحث مع أعوانه من أسرة آل عفيصان بأمر شروط الصلح ، إلا أن هذه الأسرة لم توافق فيصل على قبوله بمثل هذه الشروط ، وأقنعتة أن هذا الاتفاق ما هو إلا اتفاق مؤقت، إذ عندما تتركز قوات خورشيد في نجد فسوف تتجه إلى الأحساء، وتنتهي بذلك إمارة فيصل فيها . ولهذا بدأ فيصل يتحصن في الخرج دون أن ينسحب إلى الأحساء، وأرسل عمر بن عفيصان وهو من أكبر مستشاريه إلى الأحساء ليعد الغزو، وأرسل حمد بن يحيى بن

غيب إلى منطقة عمان، وأرسل الزهيري إلى الدواسر وعبدالله بن جلاجل إلى الأفلاج^(١)، ويكون بذلك قد سيطر على الأقاليم الجنوبية من نجد وعلى الأقاليم الشرقية، ومنها بدأ يعد الخطة من جديد لمحاربة القوات المصرية في الرياض.

زحف خورشيد بقواته إلى الخرج^(٢) للقضاء نهائياً على مقاومة فيصل قبل أن تتركز وتزداد قوته إذ بدأ يحصن الدلم مركز الخرج، ويعد العدة للقيام بهجوم على الرياض بعد أن فشلت المفاوضات السلمية أو على الأقل فهو لم يقنع بالحلول المتفق عليها. واشتبك الطرفان في عدة مواقع كانت أهمها موقعة قصر هيئة المكان الذي تتوفر فيه المياه التي يشرب منها الجند وأهالي بلدة الدلم، وكانت نهاية الأمر أن انكسرت قوات فيصل^(٣).

وهكذا تسرب الضعف في مقاومة فيصل، وكان ذلك بداية يأسه من نجاح المقاومة، ومع أن بصيصاً من الأمل بدأ يلوح عند مجيء قوات الأحساء لمساعدته بقيادة أميرها عمر بن عفيصان لكن هذه القوات هزمت في مكان يدعى السلمية، وبذلك فقد فيصل آخر سهم في المقاومة، بعد أن أصيبت قواته بالذعر وسيطرت عليها موجة من السخط، زد على هذا تدمير الأهالي في الخرج حتى أن بعض العائلات فرت إلى الصحراء من شدة آلام الغزو. وانسحبت قوات الجنوب من جيشه فكان هذا مقدمة لطلب الصلح. وعلى أثر ذلك قرر فيصل أن يطلب الصلح، فأرسل مندوباً عنه يدعى إبراهيم أبوظهير إلى خورشيد باشا فوافق هذا على النقاط الآتية:

أولاً: أن يستسلم فيصل بعد أن يلقي جميع أسلحته.

ثانياً: أن يذهب فيصل أسيراً إلى مصر ويقيم هناك مع الأسرى السعوديين.

ثالثاً: أن يعفو خورشيد عن جماعة فيصل، وأن يعطيهم أماناً على أموالهم وأرواحهم.

رابعاً: يحق لفيصل أن يأخذ ماله من الأموال في الخرج قبل سفره إلى مصر.

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٨٣، ٨٨، ٨٩. الأفلاج منطقة من نجد تقع إلى الغرب من الخرج.

(٢)، (٣) ابن بشر، المرجع السابق، ص ٩٥.

وهكذا استسلم فيصل بن تركي في ديسمبر ١٨٣٨م (رمضان ١٢٥٤هـ). وبعدها أرسل إلى المدينة المنورة وبرفقته أخوه جلوي وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم وولده عبدالله ومحمد، وسافر الجميع إلى القاهرة تحت حراسة مشددة كانت برئاسة حسن اليازجي^(١). وبهذا تنتهي الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي، وهي لا تتجاوز أربع سنوات قضاها في الحروب والغزو الداخلي والخارجي. أملًا في إعادة بناء الدولة السعودية. وعلى كل حال فقد كانت هذه الفترة فترة احتكاك مسلح بين فيصل وقوات محمد علي.

ومع أن فترة حكم فيصل هذه لم تكن طويلة ولم تتجاوز الأربع سنوات^(٢) إلا أن لها من النتائج ما تستحق الذكر، كتجدد الخصومات القبلية، وازدياد استياء الأهالي من الحكم الأجنبي، وتعطيل مرافق الحياة الاقتصادية نتيجة للنزاع المسلح الذي دام أكثر من سنتين. وكان للضغط الاقتصادي أثر على انخفاض المستوى المعيشي للفرد النجدي، كما وأدى إلى تفشي الأمراض بين أفراد المجتمع النجدي بخاصة.

وبهذا أصبحت الجزيرة العربية تحت سيادة محمد علي باشا بعد أن وصلت قوات خورشيد باشا إلى الأحساء وعينت على الإقليم الأمير أحمد السديري الذي كان محبوبًا عند الأهالي فعمل على تنظيم الأمور الإدارية في الإقليم^(٣). ثم استطاعت القوات المصرية دخول القطيف وسيهات بعد أن أعلن أمير القطيف سعد بن غانم وأمير سيهات علي بن عبدالرحيم ولاءهما للحكم المصري الجديد الذي تمثل بسيادة خالد بن سعود الاسمية.

(١) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٥.

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٩٠.

- Philby, op. cit., p. 181.

(٢) يذكر أمين الريحاني في كتابه نجد وملحقاته، ص ٩٥، وأخذ عنه فريد مصطفى أبو عز الدين في كتابه «آل سعود في التاريخ» ص ٣٨ أن فترة حكم فيصل الأولى كانت تسع سنوات، والواقع أنها كانت أربع سنوات من ١٨٣٤ إلى ١٨٣٨م.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٩٢.

وبما أن حكومة محمد علي أصبحت وريثة الحكم السعودي في منطقة الخليج لذا كان لا بد من ظهور نوع من العلاقات مع إمارات الخليج ، ولا بد من حدوث احتكاك سياسي ببريطانيا صاحبة النفوذ الواسع في المنطقة لهذا رأينا أن نفرد بحثاً لموقف بريطانيا من امتداد نفوذ محمد علي في الخليج .

موقف بريطانيا من امتداد نفوذ محمد علي في الخليج :

بعد أن سيطرت قوات محمد علي على الأحساء والقطيف وسيهات وتاروت تلك المراكز السعودية في الخليج ، بدأت تظهر علامات الاحتكاك بينها وبين مشيخات الساحل . ويشير ابن بش إلى أن خورشيد باشا كان قد أرسل محمد رفعت إلى شيخ البحرين عبدالله بن خليفة من أجل تنظيم العمليات التجارية وذلك ليسهل وصول المؤن للجيش المصرية المقاتلة في الخرج . ويذكر كذلك أن محمد رفعت وصل إلى إيران ؛ واشترى منها البر والشعير اللازمين للجيش ، وعاد بعدها إلى الإقليم الشرقي^(١) . وهكذا كانت بداية الاتصال بين خورشيد ومشيخات الساحل . ونتيجة ذلك جرى اتصال آخر بين الشيخ عبدالله آل خليفة وخورشيد باشا ، وتذكر الوثائق المصرية أن الشيخ عبدالله هو الذي بدأ بالاتصال مع خورشيد ، وطلب منه أن يساعده ضد أبناء أسرته الذين ثاروا عليه ، وفروا إلى فارس ، وطلبوا منها مساعدتها ضده . وعلى أثر ذلك أرسل خورشيد مندوبه محمد رفعت أفندي إلى البحرين حيث وقع مع عبدالله آل خليفة اتفاقاً في مايو ١٨٣٩ م (١٢٥٥ هـ) ينص على تعهد الحكومة المصرية بحماية شيخ البحرين مقابل أن يدفع زكاة تقدر بألفي كرونة سنوياً ، مع تقديم بعض السفن لمساعدة الحملات المصرية للانتقال إلى ساحل عمان إذا لزم الأمر^(٢) . ولم يعثر على نص هذه المعاهدة في الوثائق المصرية ، إلا أن الوثائق البريطانية تذكر أن هناك معاهدة حماية بين خورشيد نائباً عن الدولة المصرية وبين عبدالله آل خليفة شيخ البحرين ، نتيجة لقيام أسرة هذا الشيخ بثورة ضده . ويعلق الدكتور صلاح العقاد على الوثيقة بقوله «وهي تطبق بذلك مفهوماتها الاستعمارية (يعني بريطانيا) على العلاقات بين الدول

(١) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ٩٢ .

(٢) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١٤٤ .

الإسلامية في ذلك الحين»^(١). وهنا يستند العقاد على العبارة التي تنص على دفع الزكاة، فالزكاة عادة لا تؤخذ إلا من بلاد إسلامية وتصرف كذلك في شئون الدولة الإسلامية، والزكاة تختلف تمامًا في مفهومها عن الضريبة والجزية، لأن الضريبة يتمثل فيها المفهوم التقليدي للحماية والتبعية السياسية.

خشيت بريطانيا أن يتزعزع نفوذها في الخليج من امتداد القوة المصرية في المنطقة لذا احتلت عدن عام ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ)، وبذلت مساعي سياسية، ثم هددت باستخدام القوة لوقف نشاط باشا مصر في الخليج^(٢). وكان وزير خارجيتها بالمرستون المعروف بعذائه الشخصي لمحمد علي^(٣)، هو أول من احتج لدى حكومة بريطانيا في الهند على تصرفات الباشا في المنطقة، فأوعزت لقائد أسطولها في الشرق السير متلند "Metland" بالتوجه إلى الخليج لدراسة تحركات خورشيد وإيقاف النشاط المصري في الخليج^(٤). ولم تكتف بذلك بل طلبت من معتمدها هنل "Hennell" أن يرسل لها تقريراً مفصلاً عن قوة ومواقف الشيوخ العرب في الخليج. وجاء في التقرير الذي أرسله هنل أن هناك ثلاث قوى قوية في المنطقة وهي قوة خورشيد باشا، وقوة عبدالله آل خليفة شيخ البحرين، وقوة عيسى بن طريف شيخ قبائل آل علي التي تشمل جميع عرب الخليج من مصب الفرات إلى رأس الحد^(٥)، ويشير التقرير إلى أنه من الصعب تحديد قوة خورشيد، إلا أنه أبدى ملاحظة حول تركز قوته في مدفعيته وجنوده النظاميين البالغ عددهم حوالي ٣٥٠٠ جندي من مشاة وفرسان ومن ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ جندي متطوع من البدو الذين لا يعتمد على مساعدتهم بشكل قاطع. أما بالنسبة لقوة شيخ البحرين

(١) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٢) عبدالرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص ٣٦٠.

(٣) رسالة من بالمرستون إلى هودجز القنصل البريطاني في مصر بتاريخ ٢٤/١١/١٨٣٨م نقلا عن صلاح العقاد، التيارات السياسية، ص ١٤٤.

(٤) رأس الحد: هو أكثر أراضي الجزيرة العربية امتداداً نحو الشرق، ويقع إلى الجنوب من مدينة مسقط.

(٥) Captain S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to the Government of Bombay, (٥)

May 7, 1839 (Bahrain Archives, Book 100, pp. 290-301) ARAMCO, Dhahran.

فيشير التقرير أنها تكمن في استراتيجية الجزر المحصنة بواسطة الطبيعة، كما أن رعاياه شجعان يعتمد عليهم. أما عن عيسى بن طريف فيذكر التقرير أنه صاحب سفن بحرية إذا تعاون مع خورشيد فإنه يفيدته جداً - وربما يتعاون - ، وعيسى هذا كان يكره شيوخ البحرين لأنه لاقى تعذيباً منهم. ويذكر التقرير أيضاً أن مصالح الكويت تتأثر من قدوم قوات مصر للمنطقة. أما بالنسبة لشيخ أبوظبي وقبائل بني ياس فقد حافظوا على استقلالهم حتى أنهم رفضوا دفع الزكاة والأعشار للحكم السعودي وهو في أوج قوته ، وبين التقرير أن موقف مسقط معروف فهو بجانب بريطانيا^(١).

ويبدو أنه لم يكن في نية محمد علي قطع طريق المواصلات الامبراطورية كما تدعي بريطانيا، ولا إرسال حامية مصرية لاحتلال البحرين خاصة «لأن الشيخ عبدالله نفسه لم يكن مستعداً لذلك»^(٢). ولأن موقف الدول الأوروبية كإنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وكذلك الدولة العثمانية كان معادياً لمشروعه الرامي لإقامة دولة عربية واسعة تحت زعامته. ومع هذا قرر خورشيد باشا أن يضم مشيخات الخليج للنفوذ المصري وبدأ يعد القوات اللازمة لتحقيق هذا المشروع الكبير، لكن الأمر كان من الصعوبة بمكان لعدم توفر السفن الحربية لديه، ولأن الإنجليز كانوا قد احتلوا ميناء عدن. لذا اتصل بحكومته في مصر، وطلب منها تزويده بسفينتين حربييتين، لتكونا نواة الأسطول المصري في الخليج، ولتدعم مركزه الحربي في المنطقة. لكن محمد علي كان لا يريد أن يقع مع بريطانيا في اشتباك مسلح في منطقة الخليج، فأرسل إلى قائده خورشيد بالتريث لأن هناك «محظورات» تحول دون الاستجابة لطلبه في إرسال السفن المطلوبة. ومع هذا كرر خورشيد الاتصال مرة أخرى بحكومته لتوضح له معنى «المحظورات» المذكورة في رد عباس الأول نائب محمد علي في مصر. ويقول خورشيد في رسالته الخطية: «لكوننا من خمسة أشهر لا علم لنا بأحوال تلك الجهات، فإننا لا نعلم ما هي المحظورات. . . وبما أننا مربطون بكل شيء بذلك الطرف كما هو معلوم للجميع، فإننا نرجوكم أن تفضلوا وتوضحوا لنا تلك المحظورات حتى نأخذ حذرنا منها»^(٣). فكان رد عباس

(١) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٢) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٣) نقلاً عن كتاب، أحمد عسه معجزة فوق الرمال، ص ٣٤.

الأول عليه بأن المحظورات، تعني موقف بريطانيا المعادي لنزول السفن الحربية المصرية إلى خليج البصرة والخليج العربي، ومع هذا فقد تصرف خورشيد تصرفاً شخصياً في المنطقة، فأرسل رسله إلى بعض مشيخات وإمارات الخليج، فلاقت ترحيباً من الكويت التي أصبح شيخها واسطة بين القائد خورشيد وبين العناصر الراغبة في التعاون مع هذا القائد سواء في جنوب العراق أم في إمارات الخليج، وكذلك فقد أمدّه الشيخ ببعض الأموال اللازمة لأن مدد مصر كان قد تأخر مدة ستة أشهر^(١).

ولما حاول خورشيد دخول البحرين، خرجت بريطانيا عن سياستها التقليدية في المناورات السياسية وكشّرت عن أنيابها، وأرادت أن تستخدم القوة إذا ما قررت قوات خورشيد دخول البحرين. لذا كتب خورشيد رسالة إلى حكومته في مصر جاء فيها: «إن الإنجليز يرمون من خمسين أو ستين سنة إلى الاستيلاء على مقدار من سواحل بحر العجم حتى يأمنوا شر الدولة الروسية، ولذلك حولوا أغراضهم إلى الاستيلاء على سواحل عمان والبحرين والأحساء والقطيف والكويت والبصرة، لتكون عقبة أمام الدولتين الروسية والإيرانية. هذا ما يضمرون، وإذا تحقق لهم ذلك، فلا يبقى من جزيرة العرب، ولا بغداد أي خبر. أما البحرين فهي بمثابة مفتاح خليج العجم فإذا استولى عليها الإنجليز، فإنها في ١٥ سنة تصبح عاصمة ومعمورة مثل جزيرة مالطة. وإذا كان من غير الممكن بقاؤها في حوزتنا فلا أقل من أن تبقى لا لنا ولا للإنجليز، والأولى أن تترك مستقلة لآل خليفة... وإن قلعة الدمام هي جانب الأحساء، ولم يزل ابن خليفة مقيماً فيها، فوجوده أيضاً عقبة في مسألة البحرين... فإن تمكن الإنجليز من احتلالها تكون تلك الجهات أيضاً لهم، كما لا يخفى^(٢). ونلمس في هذه الرسالة تقريراً ممتازاً عن أطماع بريطانيا في المنطقة، لذا طلب من حكومته أن تبين موقفها، فجاء الرد مختصراً وهو أن «ليس الوقت وقت المصلحة التي تصورها... لذلك عليك أن تأتي إلى هذا الطرف، وتغلق باب المصروفات الذي فتح لنجد...^(٣). وهكذا وقفت بريطانيا

(١) أحمد عسه، المرجع السابق ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) هذه الوثيقة منقولة عن كتاب، أحمد عسه معجزة فوق الرمال، ص ٤١.

(٣) عبدالعزيز نوار، مصر والخليج العربي في القرن التاسع عشر، العدد الحادي عشر من السنة ٧٢ من مجلة الهلال المصري، تاريخ أول نوفمبر ١٩٦٤م ص ١٥٦.

ضد تقدم نفوذ مصر إلى مصب دجلة والفرات ومياه الخليج العربي . وهذا الموقف العدائي لباشا مصر جعله يضطر إلى مجاملة انجلترا اتقاء لشرها ، فأصدر أمره إلى خورشيد باشا بالكف عن التدخل في البحرين^(١).

وامتد النفوذ المصري في عمان - كما ذكرت سابقاً - عندما عين خورشيد باشا نائباً عنه سعد بن مطلق ليعمل في المنطقة باسم الأمير السعودي خالد بن سعود أمير نجد الجديد بعد القضاء على دولة فيصل الأولى . ورحبت مشيخات القواسم كالشارقة ورأس الخيمة بسعد بن مطلق كنائب لمحمد علي باشا ، لأنها كانت تميل منذ عهد الدولة السعودية الأولى إلى الدعوة الإصلاحية النجدية . كما أن شيخ أبوظبي ، خليفة بن شخبوط أيد سعد مع أن هذا الشيخ كان دائماً في عداوة مع السعوديين في المنطقة^(٢) . ولم يخرج عن دائرة التعاون مع هذا المندوب سوى بعض قبائل نعيم من سكان البريمي والظاهرة ، ويعود هذا للعداء الشخصي بينهم وبين سعد بن مطلق الذي أساء معاملتهم بعدمقتل أبيه لأنهم اتهموا في مؤامرة القتل^(٣) . ولم تكتف بريطانيا بهذا التدخل فعهدت إلى استغلال بعض قبائل النعيم والظاهرة لمبعوث محمد علي ، فزار هنل الساحل واجتمع بقبائل مشيخة العجمان وزودهم بالمال والأسلحة ، ووعدهم بحماية بريطانيا لهم على شرط أن يقفوا ضد مبعوث والي مصر . كما أنها عمدت إلى تخويف الشيخ خليفة بن شخبوط الذي تقرب من مبعوث محمد علي^(٤) . وعمدت إلى تشجيع الروح الاستقلالية في المشيخات والإمارات الساحلية خوفاً من وقوعها في قبضة مبعوث والي مصر ، وكذلك وزعت الأسلحة وشجعت تقوية المنطقة عسكرياً لتستطيع الوقوف ضد النفوذ المصري^(٥) . وقد أثبتت الوثائق المصرية أن بريطانيا اتخذت أسلوب التهديد ضد

(١) عبدالرحمن الرافي ، المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

(٢) Lorimer, op. cit., P. 703.

(٣) رسالة من الشيخ خليفة بن شخبوط إلى دار المعتمد البريطاني في الخليج ، والرسالة بدون تاريخ - من محفوظات البحرين - كتاب رقم ١١٧ - ص ٢٦ - ٢٧ - مترجمة إلى الإنجليزية - محفوظة عند شركة الزيت ، أرامكو بالظهران .

(٤) Lorimer, op. cit., p. 703.

(٥) Lorimer, ibid. p. 704

الشيخ صقر بن سلطان حاكم الشارقة وجاء فيها: «فليكن معلوم أننا قد أنذرنا العامة أن كل واحد من المشايخ الداخلين في سلك الصالح من جانب حضرة السركاد بهادور (المقيم العام البريطاني في الخليج) يعطي لسعد بن مطلق مكاناً عنده يقع الخلل في صداقته مع حضرة السركاد ذي الاقتدار ولا يلومن إلا نفسه^(١)».

وكان موقف حاكم مسقط من سلطة محمد علي في المنطقة يدل على التقدير لحاكم مسلم أخذ بأساليب الحضارة الحديثة، ويدل على هذا أن حاكم مسقط، سعد بن سلطان كان قد طلب بعض المدافع والمدفعيين للضرب على هذه المدافع من أحمد باشا سر عسكر الحجاز التابع لسلطة محمد علي باشا^(٢). ولم تكن مسألة البريمي تعني كثيراً حاكم مسقط لأنه كان دائماً يكتفي بتدعيم سلطته في الساحل. ولم يحاول أن يتورط في مشكلة مع القوة المحاذية، لولا أن بريطانيا كانت تحاول إثارة مثل هذه المشكلة. ويبدو أن سعيد بن سلطان فكر في التقرب من محمد علي عليه يطلق له العنان في جزر البحرين، ولكن هذا الأمر كان مجرد فكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ. وهذا ما دعا «هنل» المقيم العام البريطاني في الخليج أن يرضي سعيد في البحرين، وبخاصة بعد عقد اتفاقية عام ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ) وذلك حتى لا يتقرب هذا من والي مصر^(٣) والحقيقة أن الظروف السياسية لم تساعد محمد علي في موقفه في منطقة الخليج. فاتخذ موقفاً ملائماً لبريطانيا في هذا الساحل، ويعود ذلك لتأليب الرأي الدولي الأوروبي ضده، ولوقوف الدولة العثمانية موقفاً معادياً له، ولأنه يريد تثبيت دعائم حكمه في المناطق الأكثر حيوية في الشام، ولصعوبة تيسير الإمدادات البحرية للمنطقة بعد أن احتلت بريطانيا ميناء

(١) وثائق عابدين، محفظة رقم ٢٧٠ - حجاز ١٢٥٥هـ، صورة المرفق العربي رقم ٣ للوثيقة العربية رقم ١٩٤، حمراء بتاريخ ٢١ ربيع الآخرة ١٢٥٥هـ (٥ يونيو ١٨٤٠م)، رسالة من هنل إلى سلطان بن صقر حاكم الشارقة.

(٢) أنظر: محفظة رقم ٢٧٩ عابدين، وصورة المرفق العربي للوثيقة التركية ٨٧/٢٨ أصلية حمراء، مؤرخة في ١١ ذي القعدة سنة ١٢٥٥هـ من سعيد بن سلطان إلى أحمد باشا. وكذلك: محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، الوثيقة التركية رقم ٨٧/٢٨ أصلية حمراء بتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ، من أحمد باشا إلى باشمعاون جناب الخديوي.

(٣) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٤٧.

عدن بالقوة عام ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ)، ولوقوف بريطانيا هذا الموقف الصلب ولو استدعى ذلك لاستعمال القوة ضد مشروعاته الساحلية في الخليج، ولمعارضة بعض المشيخات والإمارات والقبائل العربية في هذه المنطقة. ولكثرة المصروفات المفتوحة لجزيرة العرب وإلى ما احتاج إليه من العساكر^(١). وربما للحد من نشاط قائده خورشيد الذي تصرف في المنطقة بشكل فردي أحياناً دون الرجوع إلى حكومته. هذه الأمور مجتمعة كانت هي التي جعلت والي مصر، محمد علي يجامل بريطانيا، ويتخذ موقفاً مائلاً في هذه المشكلة.

وأخيراً صدرت الأوامر من محمد علي إلى قائده خورشيد باشا بالتوجه إلى مصر مع جميع قواته عدا بعض الجند الاحتياطي فيبقى تحت إشراف الأمير خالد بن سعود أمير نجد الجديد^(٢). وبانسحاب الجند المصري من الأحساء ونجد وذلك تنفيذاً لمعاهدة لندن عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ) انتهى الحكم المصري في جزيرة العرب، وتسلم الأمر في نجد الأمير خالد بن سعود، وبقي معه حوالي ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جندي احتياطي من جند خورشيد.

(١) هناك عدة وثائق تبين مدى الصعوبات المالية والعسكرية التي كانت تجابه العسكر في الجزيرة العربية، ونذكر بعضاً منها:

الوثيقة، دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٦١٧، ص ١٠٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ في الجنب العالي إلى الخزينة دار، عابدين.

الوثيقة، فترة ٧٤، معية تركي، رقم ٧١٨، ص ١٢٥، مؤرخة في ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٥٣هـ من الجنب العالي إلى الخزينة دار عابدين.

الوثيقة، دفتر ٧٧، معية تركي، رقم ١٠٤، ص ١٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجنب العالي إلى أمير اللواء إسماعيل بك، عابدين.

الوثيقة، دفتر ٧٨، معية تركي، ص ٤٦، رقم ١٦٣، مؤرخة في ٢٠ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجنب العالي إلى سليم باشا، عابدين.

الوثيقة، محفظة ٢٦٩، عابدين حجاز، مؤرخة في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ غرة ٣٢ أصلية من بلاد غامد، غرة ١٢٦ همراء من أحمد شكري سر عسكر الحجاز إلى صاحب العطفة زكي بك وكيل شورى المعاونة.

(٢) محفظة، ٢٦٩، عابدين، غرة همراء ٢٨، ورقة عدد ٢ مؤرخة في «محرم سنة ١٢٥٦هـ». وهي رسالة من أحمد شكري، سر عسكر الحجاز إلى خورشيد باشا، سر عسكر نجد، بناء، على الأمر الموجه له في ١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ.

الفصل الثاني

إقليم نجد في أعقاب الحكم المصري
١٨٤٠ - ١٨٤٣ م
١٢٥٦ - ١٢٥٩ هـ

محتوياته

- الحالة السياسية في نجد .
- علاقة نجد بالخارج .
- نهاية حكم عبدالله بن ثنيان وتسلم فيصل للإمامة .

الفصل الثاني

إقليم نجد في أعقاب الحكم المصري

١٨٤٠ - ١٨٤٣ م

١٢٥٦ - ١٢٥٩ هـ

الحالة السياسية في نجد :

تمخضت الأوضاع السياسية في نجد في أعقاب الحكم المصري في شبه جزيرة العرب عام ١٨٤٠ م (١٢٥٦ هـ) عن صراع سياسي بين الأميرين السعوديين، خالد بن سعود وعبدالله بن ثنيان، وتطور هذا النزاع حتى غدا حرباً أهلية شملت معظم قبائل نجد.

وكان لابد من أن نتطرق للبحث عن شخصية كل منهما. فخالد بن سعود هو أصغر أخوة عبدالله بن سعود، وهو من أم حبشية كانت من جواري القصر فتزوجها أبوه سعود بن عبدالعزيز (سعود الكبير). اتصف هذا الأمير بحدة ذكائه، ورقة شعوره^(١). كما أنه أسر على يد إبراهيم باشا عندما فتح الدرعية عاصمة الموحدين^(٢) عام ١٨١٨ م. ونقل إلى مصر ليعيش فيها مدة ١٨ عاماً.

وفي أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر جدد محمد علي باشا نشاطه في بلاد العرب، وعمد إلى أسلوب الدهاء السياسي الذي يستند على أساس تعيين الحكام المحليين وخاصة من آل سعود كأداة لبسط نفوذه على بلاد العرب^(٣) «فاستعمل لهذه

(١) أمين الريحاني، نجد وملحقاته، ص ٩٥.

(٢) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، المجلد الثاني، ص ٧٥.

(٣) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١٤٣-١٤٤.

الغاية خالد بن سعود الذي عاش مدة طويلة في مصر، وجعل له راتباً قدره «٢٥٠٠» قرش عثماني، وأنعم عليه «بمرتبة قائممقامية الشق الثاني من ديوانه، ومنحه وسام القائمقامية تقديراً لكفاءته»^(١). والحقيقة أن سلطة خالد في نجد لم تكن سوى سلطة إسمية اختاره محمد علي باشا ليعمل باسمه^(٢). بل كانت السلطة الفعلية بيد حكامدار الدرعية. وهذا ما يؤكداه التقرير البريطاني الذي أصدرته دار المعتمد البريطاني في الخليج فيقول «فأرسل خورشيد باشا سعد بن مطلق إلى رأس الخيمة لإقناع شيوخ الساحل في عمان بالاعتراف بسلطة محمد علي في الحقيقة، ولكن في الظاهر بسلطة الآلة التي في يده (أي خالد رئيس الوهابيين في الوقت الحاضر)»^(٣). بيد أن الأمر انقلب على العكس تماماً بعد انسحاب الجند المصري من الأحساء ونجد، فقد تسلم خالد مقاليد السلطة الفعلية في البلاد النجدية بعد أن ودع القائد المصري. خورشيد باشا في مقر قيادته بقرية الشنانة (إحدى قرى منطقة القصيم) قبل سفره إلى مصر على أن يخضع لإشراف المحافظ الذي نصبه محمد علي في المدينة المنورة^(٤).

أما عبدالله بن ثنيان، فهو من أبناء عمومة الأمير خالد بن سعود، وجده البعيد ثنيان أخ لمحمد بن سعود الجد البعيد لخالد بن سعود، والمؤسس الأول للدولة السعودية الأولى^(٥). لذا فإن ثنيان مطالب شرعي في الحكم، أضف إلى ذلك التأييد الشعبي له من قبائل نجد الجنوبية، ومن آل الشيخ (لقب نجدي لأسرة ابن عبدالوهاب). فيبدو أن لهذين السببين أثراً كبيراً في قيام ثورة ابن ثنيان. وبالتالي تفوقه على منافسه خالد بن

(١) ما جاء في ملحق الوثيقة، رقم ٧٥١، دفتر ٧٤، صفحة ١٣٠، مؤرخة في ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٥٢هـ، من الجناح العالي إلى حبيب أفندي، محافظ الحجاز، دار الوثائق القومية بعبدين.

(٢) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٢٢٦.

— Selections From Records of the Barmay Government No.24, p.156.

(٣) Captain S. Hennell Political Resident, Persian Gulf to The Government of Barmay,

May 7, 1839 (Bahrain Archives, Book 110, pp. 290-301) Aramco Dharan.

(٤) أنظر الوثيقة، محفظة رقم ٢٧٠ - عابدين، رسالة من خورشيد إلى باشمعاون الجناح العالي في

٣ شعبان سنة ١٢٥٦هـ، وردت في ٢٥ شعبان ١٢٥٦هـ، نمرة ١٤٩ حمراء.

(٥) أنظر شجرة النسب في الملحق المرفق بالرسالة.

سعود أمير نجد وقتذاك . وأول ظهوره على مسرح السياسة في نجد، كان بعد غزوة البياض التي رافق فيها الأمير خالد بن سعود، لتأديب ثورة آل شامر عام ١٨٤٠م/١٢٥٧هـ^(١)، «وتنحصر أهمية هذه الحملة في أن قائدها خالد ابن سعود صحب معه عبدالله بن ثنيان الذي يذكر لأول مرة في تاريخ نجد»^(٢) ومما يذكر عنه أنه كان متدينا ورجل عقيدة وفي الوقت نفسه اتصف بالثبات^(٣). كما أنه كان شجاعاً وذو مراس في الغزو «ويبدو أن عبدالله بن ثنيان كان يتمتع ببعض مزايا تركي بن عبدالله العسكرية»^(٤). وكان لهذه صفات أثر بعيد في تأييد أهالي نجد له، وانفضاضهم من حول منافسة خالد ابن سعود.

وأما عن أسباب الفتنة، فمع أن المصادر لم تشر إليها، إلا أن المتبع لدراسة تاريخ نجد في هذه الحقبة، يستشف من حوادثه عدة أسباب تعتبر من أهم دوافعها. فيبدو أن السبب الأول للفتنة القائمة بين خالد بن سعود وعبدالله بن ثنيان يعود إلى الخلاف بينهما حول أسلوب الحكم وفلسفته. فخالد بن سعود يأخذ بمبدأ التبعية السياسية في الحكم^(٥)، ويرى الخروج عن الأسلوب التقليدي الذي سارت عليه الدولة السعودية الأولى في حكمها للبلاد. بينما يرى منافسه ابن ثنيان عكس ذلك فهو يمثل القوى النجدية التي تدعو للتخلص من التبعية السياسية في الحكم، وتطالب بالاستقلال تحت زعامة آل سعود^(٦). ويشير المستر فرينل «Frinell» (ألوكيل القنصلي

(١) البياض: منطقة سحراوية تقع جنوب منطقة الخرج، وقريبة من اليمامة، وبدوا أن ثورة سكانها من آل شامر كانت بعد سماعهم بقرب انسحاب القائد المصري خورشيد باشا، فانتدب خورشيد خالد بن سعود يرافقه ابن ثنيان للقضاء على الثورة، إلا أن الحملة فشلت، أنظر: ابن بشر، عنوان المجد، مجلد ٢، ص ٩٥.

(٢) Philby, Saudi Arabia, p.186.

(٣) صلاح الدين المختار، المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص ٣١٣.

(٤) Philby, op. cit., p.187.

(٥) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٣٧.

(٦) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

- ابن بشر، المرجع السابق مجلد ٢، ص ٧٨.

في جدة آنذاك) إلى مدى تمسك القبائل العربية بالاستقلال بقوله «إن سلطة محمد علي برمتها ما كانت لتستطيع إخضاع القبائل العربية، وعلى الوالي أن يهنيء نفسه لأنه استطاع أن يجد ذريعة ملائمة لسحب قواته من داخل البلاد التي كانت شديدة التمسك بالاستقلال ولا تتحمل أية قوات إحتلال في أرجائها»^(١).

والسبب الثاني، مستوحى من البيئة، فخالد بن سعود عاش ١٨ سنة في مصر، وقضى بعضها في كنف محمد علي باشا^(٢)، فكان لهذا أثره على تفكيره ونمط معاشه وبالتالي على نفسيته «وجاء يحكم نجدا حكما مصرياً، فنفر النجديون منه وعدّوه أجنبياً»^(٣) «بينما كان ابن ثنيان يعيش في بيئة بدوية، تسودها تعاليم الدعوة السلفية (دعوة ابن عبد الوهاب)، التي تعد في حد ذاتها تحدياً دينياً للمبادئ الصوفية المنتشرة في ربوع البلاد العثمانية ودويلاتها، كالبكتاشية، والآخية»^(٤)، وغيرهما، وعلى هذا يمكن القول

(١) ذكر هذا كوشليه (القنصل الفرنسي العام في مصر) في رسالة الى تيير بتاريخ ١٠ يوليو عام ١٨٤٠. أنظر: كتاب ادوارد ريو: مصر وأوروبا: الأزمة في عام ١٨٣٩ إلى عام ١٨٤١. المجلد الثاني، ص ٣٠٧.

ملاحظة: أخذ هذا النص من كتاب (عرض حكومة المملكة العربية السعودية أمام هيئة التحكيم الدولية في قضية البريمي) مجلد ١، ص ١٧٩.

(٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٥.

عبد الحميد الخطيب، الإمام العادل، ص ١٢.

(٣) الريحاني المرجع السابق، ص ٩٥.

(٤) البكتاشية: نسبة لمؤسسها بكتاش، ويقال أن بكتاش ولد في مدينة نيسابور عام ٧٣٨ هـ ١٣٣٧ م، لكن المؤرخ «جاكوب Jacob» يذكر في مؤلفه «Bektaschii» ص ٢٤. أن بكتاش رجل اسطوري، وأن المؤسس الحقيقي للبكتاشية هو بالم بابا Balmbaba المتوفي عام ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م، وأن شدة الصلة بين البكتاشية والانكشارية تعود للرواية القائلة أن الانكشارية اعتنقوا الإسلام على يد بكتاش في عهد السلطان العثماني أورخان. للأمير شكيب أرسلان، في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) للوثروب ستودارد ص ٣٦٨. الآخية: هي منظمات لكل حرفة، كانت منتشرة في البلاد التركمانية الرومية، وكانت تقتصر على الشباب الأعزب، ولها إسم آخر هو الفتوة (أنظر رحلة ابن بطوطة، ص ٢٨٥-٢٨٦. والفتوة في أصلها تعود للدولة الإسلامية الأولى، وأن مبدأها العلمي أخذ من سيرة علي بن أبي طالب. وبدأت تأخذ شكل مذهب من مذاهب التصوف. وتنقسم إلى فتوة زاهدة وأخرى لاهية، وكانت الأخيرة خطراً على الدولة العباسية ودولة بني بويه، ويقال أن الخليفة العباسي الناصر دخل الفتوة على يد عبد الجبار بن يوسف بن صالح (أنظر كتاب الفتوة، مقدمة الدكتور مصطفى جواد. من ص ١٣-٣٥).

إن للبيئة أثراً هاماً في حدوث الفتنة، والسبب الأخير وهو سيكولوجي «Psychology» يعود لحب خالد ومنافسة ابن ثنيان في تسلم مقاليد الزعامة السياسية في بلاد نجد، فادعى كل منهما حق الأولوية في الحكم، فخالد يطالب بالحكم لأنه الوريث الشرعي لأخيه عبدالله بن سعود. وادعى ابن ثنيان أنه أولى بالعرش. من خالد بن سعود لأنه أنقى نسباً منه، فهو من أب وأم من آل سعود، بعكس خالد، فأمه جارية حبشية. وكانت قاعدة النسب هذه تلقى استجابة قوية عند النجديين المتزمطين في الحفاظ على نقاوة أنسابهم، أضف إلى ذلك أن ابن ثنيان أخذ يضرب على نغمة العاطفة الوطنية، فوعد الأهالي بتخليصهم من حكم محمد علي^(١)، وادعى أنه ينوب في الحكم عن فيصل بن تركي^(٢)، الذي أسره خورشيد باشا عام ١٨٣٨م / ١٢٥٤هـ^(٣).

ومرت الفتنة في مرحلتين، أولاهما مرحلة المفاوضات السلمية، والثانية مرحلة الاشتباك المسلح. فعندما شك خالد بن سعود في نية ابن ثنيان في الثورة عليه، بدأ يراقبه عن كثب^(٤). وكان كلما ذهب إلى غزوة طلب منه مرافقته، فرافقه في حملة البياض ضد آل شامر - كما ذكرنا سابقاً -، ودعاه للسفر معه إلى الشنانة لوداع القائد المصري خورشيد باشا^(٥)، الذي عزم على السفر إلى مصر بعد أن صدرت إليه الأوامر من الحكومة المصرية في أواخر ١٨٤٠م / ١٢٥٧هـ. ومع أن ابن ثنيان اعتذر متعللاً بالمرض، إلا أن خالد بن سعود أصر عليه، فرافقه ابن ثنيان مكرهاً، ولكنه أثناء الطريق انسحب من القافلة، هارباً إلى البصرة. وكانت تسكن البصرة عشائر المتفق، وهناك طلب ابن ثنيان حق الحماية من رئيسها عيسى بن محمد السعدون في صيف عام

(١) Philby, op. cit., p. 185.

(٢) قال ابن ثنيان لعبيد بن رشيد «إني أخاف من فيصل أنه يقتلنا وأنا ما أطلب شيء، إنما نجد خلعت وكنت أنا أحق بها من غيري والآن جاء صاحب المكان. أنا حفاظ وديعة وأرد الأمانة إلى أصحابها» ضاري ص ٤٥.

(٣) ضاري بن رشيد، نبذة تاريخية عن نجد، ص ٨.
- محمد بن عبدالقادر الأحساني «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء»، ص ١٥٥.

(٤) Philby, op. cit., p. 186.

(٥) Philby, ibid., p. 186.

١٨٤٠م / ١٢٥٦هـ^(١).

وهنا نتساءل، ما العلاقة التي تربط بين ابن ثنيان وعشائر المنتفق حتى التجأ ابن ثنيان عندها؟

يبدو أن وحدة الهدف، وهو مناوأة الدولة العثمانية للحصول على الإستقلال، كانت من أهم دواعي التقارب بين الطرفين^(٢). هذا وأن عشائر المنتفق وقبائل نجد كانت بينهما صلة قرابة، لأن نسبة عالية من عشائر المنتفق تعود في أصولها إلى قبائل عربية كانت تقطن بنجد وأماكن أخرى من شبه جزيرة العرب^(٣). أضف إلى هذا حق قانون اللجوء السياسي (الدخالة)، المتعارف عليه عند قبائل العرب، ومدى تمسك هذه القبائل في الحفاظ عليه. وبعد عودة خالد بن سعود من بلدة الشنانة إلى الرياض دارت بينه وبين ابن ثنيان عدة مراسلات حول إعطاء الأمان للأخير، الذي كان لا يزال في البصرة، وأسفرت المفاوضات عن موافقة ابن ثنيان على العودة إلى الرياض، بعد أن حصل على وعود من خالد تؤكد له المودة والصداقة^(٤)، «وعاد عبدالله بن ثنيان إلى نجد

(١) سعود بن هذلول، ملوك آل سعود، ص ٢٤٠.

- عثمان بن بشر، المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٩٥.

- يذكر الدكتور عبدالكريم غرايبة في كتابه، مقدمة تاريخ العرب الحديث ص ٣٧٨، ان يطلب ابن ثنيان للحماية كان في صيف عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م. ولكن ابن بشر وابن هذلول يشيران إلى أن الطلب كان في عام ١٢٥٧هـ. والحقيقة أن التاريخ الذي وضعه الدكتور غرايبة أكثر صحة وذلك لأن خورشيد غادر البلاد في (أوائل عام ١٢٥٧هـ / بداية ١٨٤١م) وكان ابن ثنيان آنذاك هارباً. كما أن وصول خورشيد إلى الشنانة كان في جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ وهذا ما تؤيده الوثيقة التركية، محفوظة غرة ٢٧٠ مؤرخة في ٢٥ محرم سنة ١٢٥٦هـ رسالة من خورشيد إلى صاحب الدولة الخديوية، عابدين.

(٢) عباس العزاوي، عشائر العراق، ص ٢٧.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، قبائل المنتفق ص ٤٨، ومجلة لغة العرب، العدد العاشر من عام ١٩١٢م، ص ٤٣٦ - مقال لسليمان الدخيل وعنوانه: الخميسية أو لؤلؤة البرية، مجلة لغة العرب، العدد السادس، كانون الأول عام ١٩١٢، ص ٢٩٥، ومقال لسليمان الدخيل، وعنوانه، مشاهير بيوت وقبائل سوق السيوفي.

(٤) Philby, op. cit., p. 186.

بعد أن مكث عند قبائل المنتفق عدة أسابيع^(١). وقبل وصوله إلى مدينة الرياض، وفي مكان يدعى البنية (إحدى حلل الرياض آنذاك)، شك عبدالله بن ثنيان في صدق وعد خالد بن سعود، ورأى من الأفضل، وحفظاً لسلامته، أن يرسل أحد أعوانه ليستطلع له بأسلوب سري عن مدى صدق خالد في وعده، «وعاد الرسول من الرياض إلى مقر ابن ثنيان وأخبره بما في الأمر من دهاء^(٢)، فاتجه إلى بلدة قريبة من الرياض تقع إلى الجنوب الشرقي منها وهي بلدة حائر سبيع، وهناك التجأ عند راشد بن جفران رئيس قبائل سبيع، وكانت بينهما مصاهرة^(٣)، ويبدو أن راشد بن جفران هو الذي عرض مساعدته على عبدالله بن ثنيان^(٤)، وهكذا تشكلت ثورة ابن ثنيان الحقيقية وظهرت بشكلها الواضح، وغدت بلدة حائر سبيع مركزاً لانطلاق الثورة المذكورة، أضف إلى هذا أن رئيس البلدة كان من أقوى أعوان ابن ثنيان. وبوصول ابن ثنيان إلى بلدة حائر سبيع، تبدأ المرحلة الثانية من الفتنة، وهي مرحلة التصادم المسلح. بدأ عبدالله بن ثنيان يدعو الناس لتأييده، وكتب بذلك إلى أهالي الخوطة والحريق والحلوة (أهالي جنوب نجد)، وبين لهم سياسته الرامية إلى تخليص البلاد من سلطان الأتراك وحامياتهم. واستخدم نفوذ الشيوخ الذين كانوا لاجئين هناك، كرها في البقاء تحت سلطة حاميتها التركية^(٥)، كأداة لدعم ثورته لأنهم كانوا أصحاب السلطة الدينية المطاعة في البلاد. ومما شجع النجديين على تأييد عبدالله بن ثنيان إعلانه لهم أنه سيحكم البلاد نائباً عن الإمام فيصل بن تركي^(٦)، الذي كان محبوباً عند أهالي نجد لأنه لم يستعن بأي سلطة أجنبية من خارج البلاد^(٧).

(١) سعود هذلول، المرجع السابق، ص ١٦.

(٢) Philby, op. cit., p. 186.

(٣) عثمان بن بشر، المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٩٩.

(٤) Philby, op. cit., p. 186.

(٥) Philby, op. cit., p. 186.

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٩٩.

(٦) ضاري بن رشيد، المرجع السابق، ص ٨.

(٧) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

ويبدو أن خالد عمد للمرة الثانية لاستعمال الحيلة والدهاء، ولجأ لحل الخلاف بالطرق الدبلوماسية السلمية حتى يتمكن من خصمه، وهذه الغاية وسط بعض رؤساء قبيلة سبيع الموالين له^(١)، ولكن الوساطة لم تنجح لأن عبدالله بن ثنيان صمم على الحرب. وهكذا فقد تكون في بلاد نجد حلفان من القوى الاجتماعية المتنازعة، الأول من قبيلة سبيع وقبائل الجنوب وأهالي الخوطة والحلوة والحريق والفرعة، وكان هذا الحلف بزعامة عبدالله بن ثنيان، والثاني من أهالي الرياض والخرج وسدير والمحمل، وكان هذا الحلف بزعامة خالد بن سعود^(٢)، تسانده حاميات من الجنود غير النظاميين الذين تركهم خورشيد باشا في نجد بعد سفره إلى مصر. ويبدو أن حلف خالد بن سعود كان في البداية أقوى من حلف ابن ثنيان، لأن خالد أصبح الحاكم الفعلي في البلاد بعد انسحاب جند محمد علي من الحسا ونجد^(٣). وكان لديه بعض الأسلحة الحديثة نسبياً مع بعض المدافع، أضيف إلى ذلك أن جماعته كانت أكثر تنظيمياً، بخاصة أنه كان يعتمد على قوة من الجنود النظاميين الذين تمركزوا في أنحاء البلاد، ومن قوة خارجية مرابطة في الحجاز تحت إشراف محافظ المدينة. ويبدو أن بقاء الحاميات في نجد كان يهدف إلى أشياء كثيرة منها دعم مركز نائبهم خالد بن سعود، وضمان ولائه لدولة محمد علي، وتكون في المستقبل طلائع جيشه إذا ما استطاع إعادة سلطته في بلاد العرب.

ولما تمكن ابن ثنيان من جمع أنصاره تقدم من بلدة حائر سبيع إلى بلدة المزاحميات^(٤). يرافقه حوالي ٦٠ رجلاً بعضهم من بدو آل شامر^(٥) الناقمين على خالد بن سعود، وبعضهم الآخر من أهالي بلدة سبيع، ودخلوا البلدة دون مقاومة تذكر. ومنها اتجهت قوات ابن ثنيان التي تجمعت فيما بعد إلى بلدة ضرماء. (تقع غرب

(١) Philby, op. cit., p.187.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٣) عرض الحكومة السعودية أمام هيئة التحكيم الدولية في قضية اليريمي، مجلد ١، ص ١٧٩.

(٤) المزاحميات: بلدة صغيرة تدعى اليوم المزاحمية، وتقع في جنوب غرب الرياض وإلى القرب من بلدة حائر سبيع المذكور أعلاه (أنظر الخريطة في الملحق).

(٥) صلاح الدين المختار، المرجع السابق، مجلد ١، ص ٣١٣.

الرياض)، وكانت فيها حامية من بقايا جند محمد علي باشا الذين أبقاهم خورشيد تحت زعامة خالد بن سعود، وطلب عبدالله بن ثنيان من أميرها علي بن عبدالله بن عبدالرحمن الطاعة، لكن الأهالي رفضوا ذلك، وربما يعود ذلك إلى خوفهم من الحامية الموجودة في البلدة، أو ربما يعود إلى شدة ولائهم إلى خالد بن سعود، واشتبكت قوات ابن ثنيان مع الأهالي والحامية، وانتهى الأمر باستسلام الحامية والأهالي على شروط منها، أن تنسحب الحامية إلى ثرمدا لتلحق ببقايا الجند هناك، وأن تفتح البلدة أبوابها لابن ثنيان مقابل أن يحصل الأهالي على أمان منه على أرواحهم وأموالهم. ودخل بذلك ابن ثنيان البلدة بعد أن انسحبت الحامية منها، إلا أن ابن ثنيان لم ينفذ وعوده بل أمر باعدام أحد زعماء البلدة الذي يدعى «الصائغ». وصادر أمواله^(١)، «كمقدمة لتطبيق أساليبه الجديدة في الحكم»^(٢). ويبدو أن سانت جون فليبي كان يقصد من ذكر الأساليب الجديدة، يعني أسلوب الشدة في الحكم ليركز دعائم حكمه. لذا قام بعملية إرهاب كبيرة غايته تطهير صفوف الأهالي من المقاومين لثورته والمؤيدين لخصمه خالد بن سعود.

ونتج عن فتح ابن ثنيان لبلدة ضرماء عدة نتائج هامة، فقد تقوت جبهته الداخلية، بعد أن فتح البلدة، وأنهى عملية المقاومة فيها، ويكون كذلك قد أوجد حزاماً من الجنوب والغرب يطوق مدينة الرياض مركز المقاومة، كما أن نجاحه زاد معنويته، وكان حافزاً له لمواصلة الثورة ضد خالد من جهة وضد الحاميات الباقية من جهة أخرى، تنفيذاً لسياسته الرامية إلى تخليص البلاد من سلطان الأتراك وحامياتهم^(٣). وأهم نتيجة هي فرار خالد بن سعود من الرياض إلى الأحساء في عام ١٨٤١م (١٢٥٧هـ)^(٤)، كدليل قوي على عدم جدوى المقاومة، وبخاصة بعد أن عرف ضعف استجابة جماعته لحرب ابن ثنيان عندما طلب منهم ذلك إذ «تثاقلوا عليه،

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٠.

(٢) Philby, op. cit., p. 187.

(٣) Philby, ibid. p. 186.

(٤) Philby ibid., p. 187.

ولم يأت به إلا أهل الخرج وأهل سدير وقليل من أهل المحمل وغيرهم^(١). وقبل فرار خالد من الرياض أجرى تنظيمات داخلية، فعين عمر بن عفيصان قائداً لحامية الرياض، وحمد بن عياف أميراً عليها. وهكذا انتهت المقاومة الصلبة ضد ثورة ابن ثنيان.

وعند وصول الأمير خالد بن سعود إلى الأحساء، ظن المعتمد البريطاني في الخليج أن قدومه إلى الأحساء بداية تدخل سعودي جديد في مناطق ساحل الخليج، وبخاصة أن المعتمد البريطاني كان يعلم تماماً أن حكم خالد بن سعود، هو امتداد لحكم محمد علي باشا في بلاد العرب، لذا أوفد اللفتنان (جوب Goop) إلى الأحساء، كمبعوث عنه ليوضح للأمير السعودي وجهة نظره المعارضة لأطماعه في المنطقة^(٢). ويبدو أن ما قام به المعتمد البريطاني كان تصرفاً فردياً دون الرجوع إلى حكومته، لأن حكومة بريطانيا في الهند لم توافق «على تتبع الأمير السعودي بالدقة التي تنعت بها نفوذ محمد علي باشا»^(٣)، ولما علمت بما تصرف معتمدها أبدت عدم رضاها، وشكت في لياقته^(٤). والحقيقة لم يكن خالد بن سعود يحلم بما ظنه المعتمد البريطاني لأنه أصبح ضعيفاً بعد قيام ثورة ابن ثنيان ونجاحها الجزئي^(٥).

وبعد فرار خالد حاصر ابن ثنيان أعداءه من جهة الشمال، فاتصل بالأمير حمد ابن مبارك في بلدة حريملا، وبالأمر سعد بن محمد بن يحيى في المحمل، وطلب منهما تأييد ثورته، لكنهما أعلنوا الحياد، بعكس موقف بلدي العمارية وأبا الكباش، فقد أرسلتا قوات من المتطوعين لمساعدته. وبهذا يكون ابن ثنيان قد كسب تأييد الشمال وحياده، وبعدها اتجه بقواته إلى بلدة عرقة (إحدى قرى الرياض)، التي حصنها حمد بن عياف أمير الرياض آنذاك، مما جعل عبدالله بن ثنيان ينتظر النجدة القادمة من بلدة الحريق التي كانت بقيادة سعد بن تركي الهزاني، ولما وصلت النجدة حاصر ابن ثنيان عرقة وفتحها عنوة، وأمر جنوده بنهبها، ولم ينبج من النهب سوى محل يدعى بالصنع، بسبب

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٠.

(٢) عرض الحكومة السعودية، مجلد ١، ص ١٨٠.

(٣)، (٤) Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, vol. 1, pp. 1106-1107.

(٥) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٩٥.

تأييدهم له سراً. ثم طلب من عبدالرحمن ابن يوسف بن سعيد أمير بلدة منفوحة (أحدى قرى الرياض) الولاء، فوافقه هذا في الحال لأنه يعلم تماماً بعدم جدوى المقاومة^(١).

وقد انتدب ابن ثنيان ٣٠ فارساً من فرسانه، وأمرهم بالتوجه إلى بلدة منفوحة، وكانوا بقيادة راشد بن جفران أمير بلدة حائر سبيع، ويرافقه أمير ضرماء ودخلت السرية منفوحة سلباً. ولما علم ابن ثنيان باستسلام منفوحة، توجه بجميع قواته ودخلها^(٢). وأخذ عبدالله بن ثنيان يعد العدة لفتح مدينة الرياض مركز المقاومة الأخير، وكان أهلها قد ذعروا من دخول ابن ثنيان منفوحة، فاتصلوا بخالد بن سعود في الإحساء وطلبوا منه النجدة، ولكن دون جدوى، فاضطر بعض زعماء الرياض إلى السفر إلى الأحساء لمقابلة خالد بن سعود، وعرضوا عليه مطلبين، إما أن يرسل نجدة عسكرية من أهالي الأحساء للدفاع عن مدينة الرياض، وإما أن يقبل بالتنازل لابن ثنيان فوافق على الطلب الأول، وأرسل ٣٠٠ هجان و ٥٠٠ راجل^(٣)، بقيادة العبد زويد أحد معاوين خالد، واشتركت النجدة مع قوات الرياض في الدفاع عن المدينة ضد هجوم قوات ابن ثنيان عليها. وكان النصر في بداية المعركة لقوات خالد بن سعود. ويعود هذا لكثرة قوات الدفاع عن المدينة التي تزيد كثيراً على قوات ابن ثنيان، ولديها من الأسلحة والعتاد والمؤن ما يفوق في كميته ما عند القوات المهاجمة، خاصة وأنها تملك بعض المدافع التركية التي لم تكن متوفرة عند قوات ابن ثنيان. لكن دراية ابن ثنيان ومراسه العسكري قلبا الهزيمة إلى نصر، ففي الليل أمر قواته بالتظاهر بالانسحاب من المعركة والتسلل إلى أحياء الدخنة المجاورة للرياض، ويبدو أن ابن ثنيان استمال أهلها بدهائه وشدته. وفي هذا المكان كمنت قواته، واغتنمت فرصة عودة قوات الرياض الظافرة^(٤).

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٠. Phibly, op. cit., p.187.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠١.

(٣) يذكر فليبي في كتابه العربية السعودية، ص ١٨٨ أن النجدة كانت تتألف من ٣٠٠ هجان و ٥٠٠ فارس، بينما يذكر ابن بشر في كتابه عنوان المجد، المجلد الثاني، ص ١٠١ أن النجدة كانت تتألف من ٣٠٠ مطية (هجان) فقط.

(٤) وقع الاشتباك بين الطرفين في مكان قريب من منفوحة، أي خارج أسوار مدينة الرياض. أنظر: ابن بشر، عنوان المجد، مجلد ٢، ص ١٠٢.

وهي مستسلمة لنشوة النصر، ولم تكن من الحيلة ما يمكنها من الدفاع ضد القوات المستترة تحت جناح الظلام، ونشب القتال من جديد وانتصرت قوات ابن ثنيان، وانقلبت الهزيمة الى نصر ساحق. والجدير بالذكر أن أسباب النصر تعود لمزايا عبدالله بن ثنيان العسكرية، وقدرته على التخطيط، فقد ذرع قواته في أحياء الرياض بشكل سري في الليل، ووضع حامية في العمارية، وأخرى في أبا الكباش، وثالثة في منفوحة ورابعة في المربع^(١). وإلى عامل آخر هو عامل المفاجأة وتحين الظرف المناسب. أضف إلى ذلك وجود ابن ثنيان على رأس جنده في المعركة، يقاتل بينهم حتى انه أصيب في رأسه أثناء المعركة. لكنه استطاع قتل الأبعد قائد حامية الرياض^(٢)، فكان لهذا أثر كبير في ارتباك صفوف أعدائه، بعكس خالد بن سعود الذي كان بعيداً عن ميدان المعركة في الأحساء، مما حدا بالمؤرخين المعاصرين للحوادث أن يأخذوا عليه مأخذ الجبن^(٣).

وبعد فتح مدينة الرياض استولت قوات ابن ثنيان على مراكز المقاومة في المدينة، واستسلمت الحامية المصرية فيها على «شروط سخية»^(٤)، منها مغادرة المدينة في الحال ومعهم كل ما يملكون من أسلحة وعتاد وأموال وأمتعة. فانهارت بذلك المقاومة الصلبة ضد ثورة عبدالله بن ثنيان. فغدا يسيطر على مركز ثقل البلاد. وكانت المعركة هذه نهاية حكم خالد بن سعود الى الأبد وبداية حكم سعودي جديد بزعامة عبدالله بن ثنيان، وكانت بداية لتوسع سعودي في المناطق الشرقية من شبه جزيرة العرب، وبخاصة أن هذه المناطق كانت تتبع الدولة السعودية الأولى، وظهرت أساليب جديدة في الحكم، وتنظيمات جديدة في إدارة الأقاليم النجدية تخالف تماماً أساليب الحكم السابقة، سنذكر ذلك في فصل التنظيمات الادارية للدولة، وساد بلاد نجد فترة من الاستقرار النسبي كانت عاملاً من عوامل التوازن الإقتصادي في البلاد. وهكذا أصبح عبدالله بن ثنيان، «سيد نجد بلا

(١) العمارية وأبالكباش ومنفوحة والمربع، هي من القرى القريبة من الرياض آنذاك أنظر: الخريطة في الملحق.

(٢) صلاح الدين المختار، المرجع السابق، مجلد ١ ص ٣١٦.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٠. Philby, op. cit., p.17.

(٤) Philby, ibid, p.18.

منازع»^(١)، وبدت الوفود تتقاطر على مدينة الرياض تؤكد ولاءها له، وأعلن للجميع أنه لن يتغاضى عن أي اضطراب يحدث في الأقاليم^(٢). وبدأ ينفذ سياسة الشدة ليركز دعائم حكمه، فأمر باعدام عدد من الشخصيات البارزة في البلاد، لا شيء سوى أن لها دوراً كبيراً في معارضة ثورته. فأعدم سعد بن دغثير وهو من زعماء البلاد المعروفين، وكان وكيلاً لـ خالد بن سعود في مدينة الرياض بعد فراره إلى الأحساء^(٣)، وأعدم العبد زويد قائد النجدة العسكرية التي أرسلها خالد ابن سعود لمساعدة قواته في الرياض، والإثنان من أقوى أعوان خالد بن سعود^(٤). ووجه ضرباته الانتقامية ضد المعارضين الباقين، فاختر من سبدير خمسة من زعمائها وأمر باعدامهم، ونفذ الحكم في ثلاثة وفر اثنان منهم، عقاباً لهم بسبب الدور الذي لعبوه بجانب خالد، ومساعدتهم له في تنظيم صفوف المعارضة، وتنظيم الإدارة في الأقاليم^(٥)، وطلب من أهالي بلدة المجمعة أن يعيدوا بناء قلعتهم التي هدمها خالد بن سعود، ولكي يضمن سير العمل أمر بأخذ خمسة من زعمائهم كرهائن عنده حتى يتموا بناء القلعة، فنفذ الأهالي أوامره في الحال، وعين على المنطقة عبدالعزيز بن مشاري بن عياف حاكماً. وأصدر أوامره بعزل الزعماء المحليين لاقليم الدواسر واعتبرهم مسئولين عن أعمال الشغب والفوضى في الأقليم أثناء فترة النزاع، ووجه لهم تهمة الضعف في تدبير شئون الاقليم. وعزل الحاكم الإداري في الاقليم، محمد بن جلاجل، وعين بدلا عنه عبدالرحمن بن عبيقان حاكماً مطلق الصلاحية في الوادي^(٦). فكانت عمليات القمع هذه قد حدت بالمؤرخين إلى القول عنه «سفاكا للدماء»^(٧).

نلاحظ مما تقدم ان طرق الغزوا تختلف كثيراً عن التكتيك الحربي الحديث،

(١)، (٢) Philby, op. cit., p.188.

(٣) سعود بن هذلول، المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

(٤) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٢.

- سعود بن هذلول، المرجع السابق، ص ٧٥.

(٥) Philby, op. cit., p.188.

(٦) Philby, ibid., p.188.

(٧) ابراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٦٥.

فكلاهما يعتمد على التخطيط، وعامل المباغته، واستدراج العدو، وكسب الحلفاء والمؤيدين.

وأما عن نتائج الفتنة بشكل عام فكانت نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية. أما عن النتائج السياسية، فقد ظهر حكم جديد في نجد بزعامة عبدالله بن ثنيان وكان هذا الحكم يعتبر مقدمة لتأسيس الدولة السعودية الثانية. كما أن عبدالله بن ثنيان نشط لاسترداد السيادة السعودية في مناطق الخليج العربي (الفارسي)^(١)، «ومهما بلغ أمير السعوديين (ابن ثنيان) من الضعف فإن كرامته كانت تقضي في هذه الفترة أن يثبت على مطالبه في السيادة على عمان»^(٢). وهذا ما حدا ببريطانيا أن تراقب عن كثب محاولات عبدالله بن ثنيان الرامية الى اعادة السلطة السعودية في الخليج^(٣). كما أن الفتنة أفسحت المجال أمام ابن ثنيان ليطبق أساليب جديدة في الحكم والإدارة سيرد ذكرها في الفصل الخاص بتنظيمات الدولة الإدارية والسياسية.

وأما عن النتائج الاقتصادية للفتنة، فبالإضافة إلى فقر البلاد الطبيعي وجفافها على الرغم مما يتخللها من واحات، كواحات القصيم وسدير والعارض والحريق، والافلاج ووادي الدواسر^(٤)، فإن المرافق الاقتصادية في نجد قد تعطلت لأن الغزو زاد نسبة الضرائب، وامتص عدداً كبيراً من الأيدي العاملة، وما الحياة الاقتصادية الا مرآة

(١) أول تسمية لهذا الخليج كان قد أطلقها عليه أحد قواد الإسكندر المقدوني، تياركوس وهي الخليج الفارسي، لأن هذا القائد زار الجزء الشرقي منه فقط إلا أن كلا من الرحالة بليني الروماني، ونيبور الدنماركي ورودريك أوين الإنجليزي، أطلقوا عليه إسم الخليج العربي لأن أكثر الدول المقيمة عليه دول عربية. (أنظر: قدرى قلعجي، الخليج العربي، من ص ٧ إلى ١٦). وكذلك فإن الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب ص ٤٧ يطلق عليه الخليج العربي لأن اللسان الشائع في المنطقة عربي.

(٢) Lorimer, op. cit., vol.1, p.1108.

(٣) Bombay Selections, No.24, pp.452-453.

(٤) الريحاني، المرجع السابق، ص ٢٠.

- حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٤٥، ٤٨.

- فؤاد حمزة، جزيرة العرب، ص ٩.

ينعكس عليها الاستقرار السياسي .

وأما الآثار الاجتماعية للفتنة ، فإن النجديين عانوا كثيراً من ويلات الغزو، نتيجة لما جره الغزو على البلاد من ضعف اقتصادي ، وزيادة نسبة الضرائب وذلك لسد عجز الميزانية التي استنزفها المجهود الحربي . زد على ذلك ما كان يصحب جمع الضرائب من قسوة، كانت مأخذاً على حكم ابن ثنيان فيما بعد^(١)، هذا بجانب ما ساد البلاد من فوضى وسلب ونهب، وخير مثال على هذا ما حدث في إقليم الدواسر أثناء الفتنة من فوضى نتيجة لضعف السلطة المركزية في الرياض . كما أن الفتنة مكنت لروح العداوة بين أفراد المجتمع النجدي وأعادت إلى الأذهان ويلات الغزوات التي قامت بها الدولة السعودية للقضاء على البدع والخرافات التي سادت المجتمع النجدي قبل ظهور حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٢) . وكان لروح العداوة هذا أثر كبير في إنقسام أهالي نجد فيها بعد .

أما عن عوامل نجاح ثورة ابن ثنيان فهي تتلخص بالتالي :-

أولاً : انسحاب قوات محمد علي باشا المؤيدة للأمير خالد بن سعود من جزيرة العرب، ثم فرار خالد بن سعود من الرياض مركز المقاومة الى الأحساء في أواخر عام ١٨٤٠م (شعبان ١٢٥٧هـ) وبذلك أصبح منصب إمارة نجد شاغراً أمام ابن ثنيان، أضف إلى ذلك عدم تماسك جبهة خالد بن سعود، وبخاصة أن مؤيديه تناقلوا عليه لما دعاهم لحرب خصمه .

ثانياً : تأييد أهالي جنوب نجد لثورة ابن ثنيان، وحماية راشد بن جفران رئيس بلدة سبيع له . زد على ذلك ما اتصف به ابن ثنيان من شجاعة ومراس حربي، تجلّى ذلك في مخططاته العسكرية لفتح مدينة الرياض، وقتله الأبعد قائد حاميتها، هذا بالإضافة إلى معاملة ابن ثنيان الحسنة لقواته، فقد كان يوزع عليها العطايا لاستمالتها .

(١) الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٥ .

- إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٢٠ .

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار، مجلد ١، ص ٢٠ .

وهكذا انتهى حكم الأمير خالد بن سعود بعد فتح مدينة الرياض، وكان حكمه قد دام أكثر من ثلاث سنوات. فاتجه من الأحساء إلى ميناء الدمام^(١)، ومنها اتجه إلى الكويت حيث غادرها سراً إلى القصيم ثم إلى مكة المكرمة^(٢). وفي مكة أخذ يتعاون مع الشريف ابن عون ضد الإمام السعودي فيصل بن تركي المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية^(٣)، وظل كذلك الى أن مات فيها عام ١٨٦٠م (١٢٧٦هـ)^(٤).

علاقة نجد بالخارج في هذه الحقبة :

لابد من بحث علاقة نجد بالخارج في الفترة الزمنية الواقعة بين ١٨٤٠ - ١٨٤٣م (١٢٥٦ - ١٢٥٩هـ). فبالرغم مما انتاب البلاد النجدية من فوضى سياسية في اعقاب الحكم المصري في البلاد، فقد كانت لها علاقات مع الوحدات السياسية المجاورة، ومع الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية في شبه الجزيرة العربية، ومع بريطانيا ذات النفوذ في السواحل الشرقية من شبه الجزيرة العربية.

ولاقى الحكم السعودي في نجد مشكلات وعقبات كثيرة من البلدان المجاورة، الشرقية والغربية. وأكثر هذه الصعوبات كانت تأتي من القبائل العربية القاطنة شرقي نجد، مثل قبائل آل مرة وبني خالد وبني هاجر وبني ياس والعوازم والنعيم^(٥).

(١) يذكر ابن بشر في كتابه عنوان المجد، المجلد الثاني، ص ١٠٣. أن ميناء الدمام آنذاك كما يدعى بالقطيف، ولكن اليوم فإن القطيف بلد يختلف عن ميناء الدمام في المملكة العربية السعودية، والمسافة بين البلدين قرية جداً. أنظر: الخريطة في الملحق.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٠٣.

(٣) Major S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of

Bambay, September 9, 1842 (Bahrain Archives, Book, 154, p. 469, office No.387 of 1847,

Cons. No.92 of 1847. (ARANCO).

(٤) Philby, op. cit., p. 187.

(٥) Philby, op. Cit., p.187.

- سعود بن هذلول، المرجع السابق، ص ٢٥.

وزاد في متاعب السعوديين انتشار المذهب الشيعي بين السكان ووجود تقليد استقلالي قوي بزعامة آل عريعر من بني خالد^(١).

وبنو خالد هم أصحاب السلطة القوية في الاحساء قبل قيام الحكم السعودي وأثناء تطوره، وظلوا طويلاً من ألد وأقوى خصوم السعوديين في المنطقة الشرقية. وأخيراً خضعوا لآل سعود في عهدهم الأول، زمن الإمام الثاني من أئمة الدولة السعودية الأولى، عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وبذلك فقد بنو خالد سيادتهم في المنطقة بخاصة بعد مجيء الحكم المصري وسقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا^(٢).

وفي فترة الحكم المصري التي دامت في الجزيرة أكثر من عشرين سنة، ظلت تقوم في الاحساء انتفاضات بزعامة آل عريعر - فخذ الحميد من بني خالد - ضد حكم محمد علي تارة، وضد الحكم السعودي المتقطع تارة أخرى. واستمرت قوة بني خالد في مد وجزر الا أن استقرت الأمور لخالد بن سعود في الرياض، بعد انسحاب قوات محمد علي من المناطق الشرقية ونجد. فعين على الاحساء حمد بن مبارك - من بلدة حريملا في نجد - أميراً في ابريل ١٨٤٠م (صفر ١٢٥٦هـ). وبعد عام تقريباً أجرى تغيرات إدارية فيها، فجامل بني خالد وعين موسى الحملي حاكماً على الاحساء بعد أن نقل حاكمها حمد بن مبارك الى الرياض وجعله من مستشاريه، وعين عبدالرحمن بن مانع مديراً لبيت المال فيها^(٣).

ولما ثار عبدالله بن ثنيان على خالد بن سعود، وأخرجه من الرياض عام ١٨٤١م (١٢٥٧هـ) وجه انظاره للمناطق الشرقية من نجد، فأرسل قائده عبدالله بن بتال المطيري للاستيلاء على الأحساء، وكان ذلك في عام ١٨٤٢م (١٢٥٨هـ)، وكان هذا

(١) أنظر بحث السكان في الفصل السابع الخاص بالحياة الاجتماعية.

(٢) عبدالكريم غرايبة، المرجع السابق، ص ٣٦٨.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، ص ٩٧، ٩٨.

Phibly, op. cit., pp.181-183. -

القائد من عائلة مشهورة في الحرب^(١)، فاستطاع تنفيذ ما اسند اليه، وبعدها أرسل ابن ثنيان عمر بن عفيصان^(٢) ومعه ١٠٠ جندي، ليتولى الإمارة فيها، فأقام هذا الأمير الجديد وحاميته في قصر الكوت^(٣). وتوافد عليه زعماء البلد، ليقدموا فروض الطاعة. وشكل عمر بن عفيصان وفداً من زعماء الأحساء، وأرسلهم الى الرياض ليقدموا بدورهم الطاعة لابن ثنيان الحاكم الجديد، الذي احتجز منهم أربعة كرهائن عنده ليضن استقرار المنطقة^(٤).

استعصت المناطق الساحلية على ابن ثنيان، لأن شيوخ البحرين من آل خليفة كان لهم حصون كثيرة في هذه البلدان، وكانوا يشجعون حركة المقاومة ضد آل سعود في المنطقة^(٥).

وقرر ابن ثنيان فتح القطيف والدمام وسيهات والعقير، لايجاد منفذ لدولته على ساحل الخليج العربي. فأعد جيشاً واتجه عام ١٨٤٢م (جمادى الأولى ١٢٥٨هـ) من

(١) Philby, ibid. p. 189.

(٢) عمر بن عفيصان: من زعماء الأحساء ومن أقوى مؤيدي فيصل بن تركي في حكمه الأول وشاركه في أكثر حروبه ضد القائد خورشيد باشا. ولما استسلم فيصل عام ١٨٣٨م (١٢٥٤هـ). عفا عنه خورشيد، إلا أن عمر لم يثق بعفوه، بل فر إلى البحرين ثم الكويت، وبعد سنتين عاد إلى الرياض ودخل في خدمة أميرها السعودي خالد بن سعود، ولكنه أيد أخيراً ثورة ابن ثنيان، فكافأه هذا بإعادته واليا على الأحساء. أنظر: ابن بشر، المرجع السابق: مجلد ٢، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٣) الكوت معناها حصن صغير يقع بقرب الماء، ولما دخلت الدولة السعودية الأحساء زمن سعود الكبير بنت فيها كوتا، وما زال هذا الكوت قائماً إلى الآن في مدينة الأحساء. أنظر: Philby, Arabia Jubilee, p.272.

أنظر كذلك: مقال في مجلة الشرق بعنوان «تسمية الكويت» للأب انستاس مار الكرملي، عدد ١٠٤، سنة ١٩٠٤ من ص ٤٤٩-٤٥٨.

(٤) Philby, Saudi Arabia, p.189.

(٥) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٣-١٠٤.

Philby, op. cit., p.120, 160, 240. -

الرياض الى مكان يدعى بنبان (احدى قرى منطقة العارض). وأقام فيها منتظراً وصول جميع جيشه ثم غادرها الى مكان آخر يدعى الرمحية - وهي عين ماء في منطقة العرمة التي تقع شرقي منطقة العارض بين الرياض والدهناء، - وفيها اتخذ مركز قيادته. إلا ان الماء قل في هذا المكان، فوزع جنده الى مناطق أخرى، فأمر جنوده الذين كانوا في الوشم والمحمل والخرج بالتوجه الى مكان يدعى رماح - ماء معروف يقع في أطراف صحراء الدهناء الشمالية -. وأمر قائده بلال بن سالم الحرق بالسير الى القطيف لاحتلالها. وأصدر أوامره كذلك إلى أمير الأحساء عمر بن عفيصان ومعه فلاج بن حثلين رئيس قبائل العجمان، وكان معها جند من آل مرة وبني هاجر والعمائر بالتوجه الى القطيف لمساعدة القائد بلال. وأرسل فهد بن عبدالله بن عفيصان الى الأحساء ليتولى الإمارة هناك نائباً عن ابن عمه عمر بن عفيصان. وأطبقت هذه القوات على مدينة القطيف الساحلية وحاصرتها حتى اضطرتها الى الاستسلام. وتولى عمر بن عفيصان منصب الإمارة فيها، وأرسل حاكمها السابق علي بن عبدالله بن غانم الشيعي الى الرمحية. ليقابل ابن ثنيان ويعلن تأييده له. لكن ابن ثنيان حاكمه محاكمة صورية وأمر بسجنه بعد أن اسند اليه تهمة التجسس لحساب شيوخ البحرين ومساندتهم ضد آل سعود، واتهمه كذلك باختلاس بيت مال القطيف^(١). زد على هذا فإن الرجل كان شيعي المذهب.

ومن القطيف توجهت قوات عبدالله بن ثنيان لفتح بلدة سيهات، البلدة الواقعة الى الجنوب الشرقي من القطيف، ولا تبعد عنها سوى بضعة أميال، وبخاصة أن لموقع هذه البلدة أهمية كبيرة لأنها ميناء على ساحل الخليج. وكانت البلدة ذات علاقة قوية مع شيوخ البحرين، ولهم فيها أراضي واملاك كثيرة. لقد حاصرت القوات السعودية هذه البلدة، وهدمت بمدفعتها القليلة أسراها، واضطرتها إلى الاستسلام، فأشرف على إدارتها بعد ذلك الأمير عمر بن عفيصان. فحاكم على بن عبدالرحيم الحاكم السابق للبلدة، والذي كان مدعماً بسلطة شيوخ البحرين من آل خليفة. لكن هذا لم يمكث

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٣-١٠٤.

Philby, Saudi Arabia, p.190. -

طويلاً في السجن، فقد استطاع الفرار والا لتجاء عند مؤيديه شيوخ البحرين^(١).

وأصدر عبدالله بن ثنيان أوامره للجيش السعودي في القطيف وسيهات باحتلال ميناء العقير^(٢). وكان هذا الميناء يتبع سلطة البحرين، واستطاعت القوات السعودية فتح الميناء المذكور، وبهذا يكون ابن ثنيان قد فتح أجزاء هامة من ساحل الخليج العربي. ويكون بذلك قد أعاد إلى الأذهان فتوحات الدولة السعودية الأولى في هذه المنطقة، وبهذا أوجد لدولته منفذاً للخارج، بعد أن سيطرت قواته على هذه الأجزاء الاستراتيجية من المناطق الشرقية. وعين أحمد السديري على القطيف، وأعاد عمر بن عفيصان إلى حكم الأحساء.

أما عن علاقة نجد بالبحرين فقد كانت في معظم الأحيان علاقة سيئة، لأن نسبة كبيرة من سكان البحرين أصحاب مذهب شيعي، بينما سكان نجد سنيين على مذهب إمام أحمد، بالإضافة إلى أن شيوخ البحرين كان لهم أملاك كثيرة في الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب في سيهات والدمام والدوحة والقطيف والزبارة والعمائر، وأحياناً كانوا يدعون حق السيادة على شبه جزيرة قطر^(٣).

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٣.

(٢) العقير: ميناء على ساحل الخليج العربي، المقابل لجزر البحرين، وكان هذا يتبع سنجق الأحساء في التقسيمات الإدارية العثمانية للسواحل الشرقية من الجزيرة العربية، وفي هذا الميناء كانت تتجمع بضائع القسم الجنوبي من بلاد العرب وبعدها تنقل بواسطة السفن إلى بلاد الرافدين وغيرها. ولهذا الميناء دور هام في دولة الملك عبدالعزيز آل سعود، لأنه كان الميناء السعودي الوحيد للدولة قبل أخذ الحجاز من الأشراف، وقبل اكتشاف البترول في المنطقة الشرقية في السعودية. أنظر:

- ابراهيم الحيدري في كتابه، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص ٢٠٠.

- Lorimer, op. cit., vol.2, p.130.

- De Gaury (Gerald), Arabia Phoenix, pp.37-27.

- Al Rayhani (Ameen), Ibn Saod of Arabia, pp.26-27.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٧، ١١٨.

وبدأ الاحتكاك المسلح بين نجد والبحرين في زمن الامام السعودي عبدالعزيز ابن محمد بن سعود عام ١٧٩٥م (١٢١١هـ)، حينما احتل منطقة الأحساء وجزيرة العمائر التي هي من أملاك البحرين^(١)

وتدخل السعوديون مراراً في شئون البحرين الداخلية. ففي زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد تدخل في النزاع القائم بين البحرين وإمارة مسقط، بعد أن استنجد سلمان بن خليفة حاكم البحرين بالحاكم السعودي ضد حاكم مسقط، سلطان بن أحمد الذي احتل البحرين من آل خليفة وأجلاهم عنها وعين أخاه سعيداً حاكماً على البحرين عام ١٨٠٠م (١٢١٥هـ)^(٢). فانجدهم الإمام السعودي بقوة عسكرية بقيادة إبراهيم بن عفيصان واستطاع بمساعدة آل خليفة أن يخرج سعيد من البحرين، مما أدى بآل خليفة إلى الانتقال إلى الزبارة في قطر، بعد الاحتلال السعودي للبحرين^(٣).

وفي عام ١٨٤٢م (١٢٥٨هـ) حدث نزاع في البحرين بين أسرة آل خليفة، عندما ثار محمد بن خليفة بن سلمان على عبدالله بن أحمد بن محمد آل خليفة. والأول هو حفيد لسلمان أخو عبدالله بن أحمد. وكانت ثورة محمد هذه تطالب بانتزاع الحكم من عبدالله. وحاصر محمد عبدالله في جزيرة المحرق ثم في سوق الخميس، وكانت الدائرة على جيش عبدالله وسميت هذه الموقعة «بالناصفة». ولم يحافظ محمد على انتصاره بل انهزم أخيراً تحت ضغط قوة جيش عبدالله الذي استنجد بقبائل بني مرة وبني هاجر، واضطر محمد أن يستنجد بالإمام السعودي عبدالله بن ثيان الموجود في معسكره في الرحمة. لكن عبدالله لم ينجده لانشغاله في تثبيت حكمه^(٤). ومن هنا بدأ التدخل السعودي الجديد في البحرين، ولولا حماية بريطانيا لمشيخة البحرين، لسقطت هذه في أحضان الموحدين^(٥)

(١) ابن بشر، نفسه مجلد ٢، ص ١١٧، ١١٨.

(٢) محمد بن خليفة النبهاني، المرجع السابق، ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.

(٣) محمد النبهاني، نفسه ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.

(٤) محمد بهجت سنان، البحرين دورة الخليج، ص ١٣٣.

- محمد النبهاني، المرجع السابق، ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.

(٥) Lorimer, op. cit., Vol.7, p.229.

أما عن علاقة الرياض بقطر، فالحقيقة أن ظهور قطر كوحدة سياسية جاء متأخراً عن بقية مشيخات الساحل الجنوبي، فكان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً. فقد كانت قطر تعيش في نظام سياسي واجتماعي واقتصادي قبلي ومعظم هذه القبائل كانت قد هاجرت من منطقة الوشم في بلاد نجد، وكانت قد سكنت واحة يبرين في الصحراء الشرقية أولاً ثم انتقلت إلى قطر^(١). ولما قامت الدعوة الإصلاحية النجدية انتشر المذهب الحنبلي في شبه الجزيرة القطرية. وظلت قطر موضوع نزاع سعودي بحرافي، وانقسمت القبائل إلى قسمين منها ما يؤيد حكم آل سعود ومنها ما يطالب بحكام البحرين. ولم يتمكن كل من الأميرين خالد وابن ثنيان من انتزاع قطر من شيوخ البحرين الذين ضموها إلى أملاكهم، وظلت شبه الجزيرة على هذه الصورة إلى أن تولى الإمام فيصل بن تركي الحكم للمرة الثانية عام ١٨٤٣م (١٢٥٨هـ)، فاستطاعت قواته أن تنتزعها من حكام البحرين في عام ١٨٥١م (١٢٦٧هـ). ولهذا التغير أثر في الوضع العسكري والسياسي في شبه الجزيرة على قيام حكم آل ثاني فيها. فحكم قاسم بن ثاني الذي عمر حتى عام ١٩١٣م (١٣٣١هـ)، وظل هذا الحكم مورالياً لآل سعود^(٢).

أما عن دور الكويت في العلاقة مع نجد، فلم تقم بدور هام كدور البحرين وقطر مثلاً، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى أن الكويت لم يكتمل نموها السياسي لتصبح وحدة سياسية تتبوأ مركزاً هاماً في منطقة الخليج، كما أن حكامها لم يدعموا القبائل المعادية للدعوة السلفية، ولم يمنحوها الحماية الكافية حتى القليل منها^(٣).

ولم تكن الكويت بمنجى من هجوم الحكام السعوديين الأقوياء، فقد أرسل الشيخ جابر بن عبدالله الصباح ١٨١٤ - ١٨٥٩م (١٢٢٩ - ١٢٧٦هـ) الهدايا للإمام

(١) Bombay Selections, No.24, p.488.

- عبدالكريم غرايبة، المرجع السابق، ص ٢٥٩.

- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق مجلد ٢، ص ١٣٩، ١٤٠، ١٤١.

- أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٣) عبدالكريم غرايبة، المرجع السابق، ص ٣٧٤.

السعودي تركي بن عبدالله^(١)، دليلاً على طاعة الكويت لآل سعود هذه المرة. وتمثل العلاقات بين السعوديين وسلطنة عمان، أقوى أنواع التزاحم في المنطقة، بخاصة أن بريطانيا كانت تساند سلطنة عمان بشكل صريح، لذا فالعلاقات هذه تمثل دور الاحتكاك بين السعوديين وبريطانيا عن طريق معتمدها في الخليج في الحقبة ما بين ١٨٤٠ - ١٨٤٣ م (١٢٥٦ - ١٢٤٩ هـ). وقامت البريمي بدور هام كمركز كبير من مراكز النفوذ السعودي في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب. والبريمي واحة شهيرة، تقع بين سلطنة مسقط والساحل، وتعرف قديماً بطوان. وتمتد على الخط الواقع بين مدينة صحار على ساحل خليج عمان، ومدينة أبو ظبي على ساحل الخليج، ومعظم سكانها من قبائل النعيم والظواهر وقليل من بني ياس^(٢). وفيها قصر إقامة السعوديون أثناء فترة حكمهم للواحة في زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وظلت البريمي بيد السعوديين إلى أن تلاشت دولتهم على يد إبراهيم باشا عام ١٨١٨ م (١٢٣٣ هـ)^(٣). والبريمي مؤلفة من عدة واحات زراعية، كواحة عين الظواهر، وهيلي، وجاهلي، وجيمي، ومعترض، ومسعودي، ومريجب، وقطارة، وصعرة، والمويقعي، وحامساً. وفيها تسع قرى صغيرة، وهي تعتبر مفتاح الطريق إلى سلطنة مسقط^(٤).

(١) ابن بشر، المرجع السابق، ص ٤١.

Philby, Saudi, p.89, 63. -

(٢) Lorimer, op. cit., vol.2, p.260.

Bombay Selections, No.24, pp.583,584. -

United Kingdom Memorial, Vol.7, p.8. -

(٣) Bombay Selections, No.24, pp.119-118.

- جاء في مختبرات بومباي فيما بين ص ١١٦-١١٨، كتابة وافية عن البريمي، وقد كتب هذا التقرير الكاتب «هامرتون» الذي زار البريمي عام ١٨٤٩ م كمبعوث لحكومة بريطانيا، ليكتب لحكومته تقريراً مفصلاً عن الإقليم وسكانه.

(٤) Lorimer, op. cit., p.264.

Bombay Selections, No.24, pp.583-584. -

- أنظر خريطة البريمي في الملحق.

والذي يهمننا هنا أن ندرس العلاقة بين الدولة السعودية وسلطنة عمان في الحقبة الزمنية المذكورة والتي حددناها بعام ١٨٤٠ - ١٨٤٣ م (١٢٥٦ - ١٢٥٩ هـ). فلما انسحبت قوات مصر بقيادة قائدها خورشيد باشا من شرقي الجزيرة استقلت قبيلة نعيم في البريمي، وأصبحت السلطة بيد حمود بن سرور ومحمد بن عبدالله من زعماء قبيلة النعيم. وأكدت هذه القبيلة أن واحة البريمي هي بلادها الأصلية وقالوا «إذا لم يحكمنا آل سعود فنحن نفضل أن نحكم أنفسنا بأنفسنا»^(١). إلا أن هذا القول لا يعني أن جميع فروع قبيلة النعيم وأهالي البريمي يدينون بالولاء للسعوديين، فمنهم من يقول «الموت تحت أنقاض البريمي على أن نسلمها للوهابيين»^(٢).

وكانت بريطانيا تشجع فيهم روح الإستقلال، واستطاعت أن تحصل من شيوخ المنطقة على تعهد كي لا يكون بينهم وبين ابن مطلق مثل محمد علي أي علاقات أو صلات ودية، وشجعتهم على مناوآته^(٣)، ومع هذال فقد رحب خليفة بن شخبوط حاكم أبوظبي بسعد بن مطلق، فعمدت بريطانيا إلى تخويله، فأرسلت السفينة التجارية «هيولندزي» المزودة بقوة دفاعية، حتى تقوم بمناورات على ساحل أبو ظبي^(٤). كما أن هنل المقيم البريطاني زار العجمان في يناير ١٨٤٠ م (١٢٥٦ هـ)، ووزع المال والسلاح على رؤساء القبيلة ووعدهم بحماية بريطانيا، ومع أنها لم تضعهم تحت حمايتها المباشرة، إلا أنها كانت تنظر بارتياح لجهودهم من أجل صيانة استقلالهم^(٥). هذا وكانت بريطانيا قد هددت صقر بن سلطان حاكم الشارقة إذا هو تعاون مع مندوب محمد علي^(٦). وهذا يوضح لنا سياسة بريطانيا في المنطقة.

(١) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص ١٧٣.

(٢) Captain S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay.

May 7, 1839, (Bahrain Archives, Book 110, pp.290-301) ARAMCO.

(٣) Lorimer, op. cit., 1, p.703.

(٤) Lorimer, ibid, p.703.

(٥) Bombay Selections, No.24, p.337

(٦) وثائق عابدين، محفظة رقم ٢٧٠، حجاز ١٢٥٥ هـ، صورة المرفق العربي رقم ٣ الوثيقة العربية رقم ١٩٤، حمراء بتاريخ ٢١ ربيع الآخرة ١٢٥٥ هـ - ٥ يونيو ١٨٤٠ م، رسالة من هنل إلى صقر بن سلطان حاكم الشارقة.

وفي أعقاب الحكم المصري ، اتجهت نية خالد بن سعود ثم عبدالله بن ثنيان لاعادة سلطة أجدادهما في عمان والبريمي . وكان هذا يحتاج إلى قوة عسكرية لم تتوافر للامير خالد بن سعود ، الذي انشغل بثورة عبدالله بن ثنيان ضده ، والتي أدت إلى سقوطه عن الحكم في نجد . وكان بإمكانه تحقيق ذلك لولا أن اعترضت سبيله بريطانيا المعادية لامتداد النفوذ السعودي الجديد في منطقة الخليج ، ولخروج فيصل بن تركي من سجنه في مصر ، وهو الوريث الشرعي لحكم نجد . ومع أن ابن ثنيان كان ضعيفاً إلا أن كرامته كانت تقتضي أن يثبت على مطالبه في السيادة على عمان في هذه الفترة^(١) . وكان ينوي إرسال سعد ابن مطلق لاحتلال البريمي وعمان ويعيدها للنفوذ السعودي^(٢) . ولتحقيق هذا المشروع بدأ ابن ثنيان يكاتب مشايخ المنطقة موضحاً لهم نيته في السيطرة على البريمي وعمان . وأخبرهم أنه يريد إرسال سعد بن مطلق ممثلاً عنه «ودعاهم بشكل ودي أن يقدموا كل مساعدة له»^(٣) . وكان لادعاء ابن ثنيان هذا رد فعل عند شيخ قبيلة النعيم ، مما دعاهم الى الإعلان بأنهم تحت حماية بريطانيا^(٤) . وذلك خوفاً من تدخله في مصالحهم وشئونهم الداخلية^(٥) . واستطاع المقيم العام البريطاني في الخليج ، روبرتسون «Robertson» أن يكشف عن المراسلات السرية التي دارت بين عبدالله بن ثنيان ورؤساء المنطقة ، وحصل روبرستون هذا على أصول هذه الكتب^(٦) . فكتب إلى عبدالله بن ثنيان مبيناً له موقف بريطانيا من أطماعه وشرح له الأثر السيء الذي نجم عن نشر تعاليم الوهابية بين رؤساء القراصنة ، والذي أدى بحكومة بريطانيا إلى انزال القصاص بهم^(٧) . ويبدو من هذه الرسالة أنها كانت بمثابة إنذار للأمير السعودي عبدالله بن ثنيان ، إلا أنه إنذار في صورة حجة تذرعت بها بريطانيا لمقاومة أعمال القرصنة في الخليج . وذلك لأننا نلاحظ أن بريطانيا في هذه الرسالة تحمل

(١) Lorimer, op. cit., p.1108

(٢) Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p.67.

(٣) Bombay Selections, No.24. p.452.

(٤) Kelly, op. cit., p.61.

(٥) Bombay Selections, No.24, p.453.

(٦) عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٤٥٢ .

(٧) Bombay Selections, No.24, pp.452-453.

السعوديين مسئولية القرصنة في المنطقة وتشير إلى أن بريطانيا «تستنكر محاولات ابن ثنيان لإدخال القرصنة من جديد تحت سلطة الوهابيين ونفوذهم»^(١). وهذا يوضح الموقف العدائي الذي تقفه بريطانيا من نفوذ السعوديين في الخليج مدعية أن «نشر نفوذ ابن ثنيان في المنطقة يعيد إلى أذهان القراصنة أعمالهم الماضية في ذلك المجال»^(٢). كما أن الرسالة تحمل مسئولية القرصنة ليس لابن ثنيان فحسب بل لأسلافه من قبله حين تقول ولقد «أستثيروا بشكل مماثل من قبل أسلافه»^(٣). وبين روبرتسون أن عمله هذا يعيد إلى أذهانهم الميول الوحشية، بعد أن جعلت بريطانيا منهم مواطنين صالحين، وهذا العمل بدوره يعرضهم مرة أخرى لأعمال العنف البريطانية^(٤).

ونستنتج مما تقدم أن بريطانيا تدعي أنها حضرت سكان الخليج ومنعتهم من القيام بأعمال القرصنة، متناسية أن القرصنة الأولى كان يمارسها سكان أوروبا كالإنجليز والبرتغال والأسبان والشماليين من قبل^(٥). ويقول جان جاك بيربي Berrebie في هذا المجال:

«والقرصنة هي، في الوقت ذاته، عملية حربية عالمية وليست مجرد سطو أو نهب محلي، يؤكد هذا القول أن سكان الخليج العربي ليسوا وحدهم المغامرين الذين استهواهم ركوب البحر. بل على العكس إن أخطر قراصنة عرفهم البحر جاءوا من الجهة المقابلة، من وراء مصب نهر الهندوس»^(٦). وبما يؤكد صحة هذا ما أشار إليه سانجر «Sanger» من أن سفن الغرب كانت تأتي من أبعد من نيويورك لتمارس تجارة القرصنة^(٧).

وقد رد عبدالله بن ثنيان على ادعاء روبرتسون: بأنه يجبذ التعاون مع الحكومة البريطانية للقضاء على أعمال القرصنة، وبين للمعتمد أنه كان قد أذاع نيته هذه على

(١)، (٢)، (٣)، (٤) Bombay Selections No.24. pp.433-452

(٥) سيد نوفل، الأوضاع السياسية، مجلد ٢، ص ٤٨.

(٦) جان جاك بيربي، الخليج العربي، مترجم، ص ٣٤-٣٧.

(٧) Sanger-The Arabia Peninsula, p.170.

رعاياه في عمان، وكذلك على الأهالي في بلاد أخرى يناشدهم الكف عن أعمال الأذى بالآخرين، وإن يسلكوا فيما يتعلق بالبحر الطريق السليم^(١).

ويتضح من رد عبدالله بن ثنيان، إصراره على دخول المنطقة، ولكن بشكل لا يغضب بريطانيا صاحبة النفوذ في منطقة الخليج. ويفهم من هذا الرد أيضاً أن ابن ثنيان كان لا يزال يعتبر أهالي عمان من رعاياه لأنه وريث لحكم اجداده السعوديين، ويبدو من هذا أنه يقصد تثبيت شرعية المطالبة بهذه المنطقة.

ونشط ابن ثنيان في تنفيذ مخططة التوسعي، وطلب من رؤساء البريمي الاعتراف بحكمه ونفوذه عليهم فأجابه الكثيرون ومنهم من «خطب ود الحاكم الوهابي الجديد وصدافته ورغبوا في تقديم خضوعهم له»^(٢). وقيل إن الإقليم بشكل عام كان يجذب عودة الحكم السعودي^(٣). ومهما يكن فإن انشغال عبدالله بن ثنيان بثورة ابن عمه الأمير فيصل بن تركي بعد خروجه من السجن قد صرفه عن تحقيق مشروعه الكبير الذي يحتاج الى قوة لا تتوافر عند عبدالله بن ثنيان، وبخاصة أنه تخلى عن الحكم بعد نجاح ثورة فيصل.

ولم تكن علاقة الرياض بالبلدان المجاورة الغربية بأفضل من علاقاتها بالبلدان المجاورة في الشرق. ففي الغرب كانت بلاد الحجاز، وهي محور السلطة العثمانية في جزيرة العرب، ومنها كانت تنطلق الحركات الحربية العثمانية والمصرية ضد بلاد نجد وثوراتها، وضد عسير في الجنوب الغربي من شبه جزيرة العرب^(٤).

ومع أن السعوديين لم يبق لهم سلطة في الحجاز منذ أن أخرجهم منها جيش محمد علي باشا الى أن تمكن عبدالعزيز آل سعود من إخراج العائلة الهاشمية من جدة، لكن

(١) Bambay Selections No.24, p.433.

(٢) Bombay Selections, No.24, p.453.

(٣) Bombay Selections, No.24, p.458.

(٤) عبدالكريم غرايبة، المرجع السابق، ص ٣٧٩.

ذلك لم يمنع سلطات مكة والرياض من خلق الازعاجات المختلفة كل للجانب الآخر . فقد اتبع الاشراف سياسة عدائية ضد آل سعود إما تأييداً للقوات العثمانية تارة وأما لقوات مصر تارة أخرى . كما أن كلا من قبائل حرب وقبائل عتيبة كانت تؤيد الاشراف ضد آل سعود .

ولما تغلب عبدالله بن ثنيان على خالد بن سعود، الذي يؤيده باشا مصر محمد علي، غدت مكة مركزاً للأمرء الطامحين والفارين من حكم الرياض . والواضح أن الدولة العثمانية وكذلك محمد علي كان موقفهما ضعيفاً تجاه ثورة عبدالله بن ثنيان، وذلك لضعف مركز محمد علي بعد معاهدة لندن عام ١٨٤٠م (١٢٤٩هـ)، وانسحاب جيوشه من جزيرة العرب . وأما الدولة العثمانية فرأت أن تقبل بأهون الشرين، وهو السكوت المؤقت عن هذا الثائر، لأن القضاء على ثورته سيكلفها الكثير من الأرواح والأموال والنتيجة غير مضمونة، وبخاصة أن الدولة اعتبرت ثورته إقليمية لا تتعدى قلب جزيرة العرب (بلاد نجد) وبعض الأطراف الشرقية، وكانت الدولة تنظر إلى نجد على أنها بلاد صحراوية نائية أشبه ما تكون بمنطقة مغلقة . والذي يثبت هذا أن الدولة لم تحاول احتلال هذه المنطقة إلا بعد أن تأكدت أن الدعوة الإصلاحية في نجد هي تحد سياسي لها بعد أن تعاونت الدعوة المذكورة مع أسرة آل سعود، حكام الدرعية عام ١٧٤٤م (١١٥٧هـ)، ومن هذا التعاون انبثق اتفاق الدرعية . وتأكدت الدولة من صدق هذا التحدي بعد أن وصلت فتوحات السعوديين إلى الحجاز والعراق والأردن وفلسطين وإلى الأطراف الشرقية من شبه جزيرة العرب كبلاد عمان وقطر والبحرين، فرأت الدولة أن هذه الدعوة تحد ديني سياسي في منطقة عربية كانت مهد الإسلام الأول، غايتها بعث الدولة الإسلامية الأولى^(١) وإرجاعه زمام المبادرة إلى العرب .

ولم يكن موقف الدولة من ثورة ابن ثنيان كموقفها من الدعوة الإصلاحية النجدية، لاختلاف في الظروف والإمكانات ومدى النتائج . فرأت أن ثورة ابن ثنيان لن يكتب لها البقاء في المستقبل، لأنها ستعمل ضدها بشكل سري وعلمي كلما سنحت الفرصة . والحق لقد استغلت كل من حكومة محمد علي والدولة العثمانية عدة مناسبات

(١) محمد عبدالله ماضي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، مجلد ١، ص ٢٧ .

للقضاء على حكم ابن ثنيان. وندلل على ذلك، بأن أطلق محمد علي باشا سراح الأمير فيصل ابن تركي من سجنه في مصر عام ١٨٤٣م (١٢٥٩هـ) وذلك ليعود إلى الرياض ويستولي على الحكم فيها من ابن ثنيان^(١)، وبخاصة أن فيصل أحق في الحكم منه وأكثر شعبية، وهذا يفسر أن محمد علي باشا لم ينس ما حل بخالد بن سعود، وبالحاميات المصرية على يد عبدالله ابن ثنيان. ويبدو أن ابن ثنيان كان يعرف موقف الدولة العثمانية والمصرية وأشرف مكة من ثورته، فعمد إلى ملاينة شريف مكة وكذلك واليها العثماني. ويبدو أن هذه المجاملة كانت تهدف إلى توسط الأشراف له عند الدولة، فأرسل الهدايا الثمينة إلى كل من الشريف ابن عون والوالي عثمان باشا مع مبعوثه محمد بن جلاجل، حاكم إقليم الدواسر سابقاً^(٢).

ونستنتج من هذه الملاينة التي أبداهما ابن ثنيان تجاه المسؤولين في الحجاز، أنه كان يريد أن يكسب بعض التأييد أو ربما سكوت الدولة العثمانية والأشراف والدولة المصرية، ومعنى هذا أنه يعلن التبعية الاسمية للدولة.

أما عن علاقة نجد بتهامة عسير، فعسير هي البلاد الجبلية والساحلية التي تقع جنوب الحجاز وتعرف المنطقة الساحلية منها بتهامة عسير لشدة الحرارة وركود الرياح، وتسمى أحياناً بأرض الغوص أو العمق^(٣).

لقد خضعت عسير للحكم السعودي في وقت مبكر، بعد أن أعلن أميرها عبدالوهاب أبو نقطة ولاءه لحكومة الدرعية ومن هنا كانت بداية علاقة عسير بنجد. ويبدو أن أمراء عسير حافظوا على علاقاتهم الودية مع أمراء الرياض الذين حكموا نجد في فترات متقطعة بعد سقوط الدرعية بيد الجيوش المصرية. لذا شددت حكومة الباشا محمد علي قبضتها على المنطقة فأرسلت عدة حملات عسكرية لقمع حركات التمرد

(١) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٥.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٤.

Philby Saudi Arabia, p.190. -

(٣) عبدالمعين بشناق، الدليل العام للمملكة العربية السعودية، ص ١٦.

فيها. ولا نجد أي علاقة سياسية بين عسير والرياض في فترتنا هذه، لأن نجد كانت تغوص في حروب دامية بعد قيام ثورة عبدالله بن ثنيان فيها، وفي الطرف الآخر تعاقبت على عسير عدة حملات مصرية لضمان ولائها الفعلي^(١).

نهاية حكم عبدالله بن ثنيان وتسلم فيصل الإمامة :

خرج الأمير فيصل بن تركي من السجن في مصر عام ١٨٤٣م (١٢٥٩هـ)، وقد اختلفت الروايات التاريخية في كيفية خروجه :

فهناك رواية ابن بشر والذين نقلوا عنه، كضاري بن رشيد في مخطوطة «نبذة تاريخية عن نجد» وقلبي في كتابه «العربية السعودية» وصلاح الدين المختار في كتابه «تاريخ المملكة العربية السعودية»، فرواية هؤلاء توضح أن فيصل ومن معه ابنه عبدالله وأخيه جلوي بن تركي وابن عمه عبدالله بن إبراهيم، نزلوا بوساطة الحبال من أعلى سور السجن البالغ ارتفاعه حوالي ٧٠ ذراعاً، ثم ركبوا مطايا كانت تنتظرهم، ورائحلوا إلى بلاد شمر، ويقول ابن بشر:

«ولما أراد الذي بيده الحركات والسكون، القادر الذي يقول للشيء كن فيكون، اخراج الامام فيصل من حبس اليأس، . . . نزل من حبسه بحبال، لما أكثر التذلل والتضرع عند ربه والابتهاال، ونزل من رأس القاهرة. . . وكانت العساكر رصداً عليهم في مدخلهم ومخرجهم والفرجة التي نزلوا منها عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً. . . وكانوا قد أعدوا ركائب تحتهم فركبوها وذلك في الليل الى جبل شمر^(٢)».

ويتضح لنا من هذه الرواية أن ابن بشر يعلل سبب خروج فيصل من سجنه للإدارة العلوية، وهذا حق لأن الله تعالى هو المسير الوحيد لهذا الكون، لكن هذا التفسير علوي، ولا ينتظر منا كمؤرخين أن نكتفي بهذا التعليل المسلم به لدى الجميع، ولا بد من أن نتساءل كيف يمكن أن يهرب فيصل ومن معه من أهله من سجن القلعة في القاهرة ثم

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، أنظر: ص ١٣٩، ١٤٣ وكذلك ص ١٧٩ إلى ١٨٢.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٥-١٠٦.

يمتطي ومن معه الجمال التي كانت تنتظرهم خارج السور دون أن يراهم حرس السجن! . . . وإذا ما سلمنا أن فيصل كان قد اتفق مع الحرس، فهل بإمكانه أن يتفق مع جميع من في الطريق حتى يقطع مسافة طويلة من القاهرة الى شمر دون أن تعلم به السلطات المصرية آنذاك؟! فيبدو لنا بشكل جازم أن هذه الرواية لا تخلو من غموض لأنها لم تعطنا تفسيراً علمياً شافياً للسبب الذي من أجله أخرج فيصل ومن معه من سجنهم.

أما رواية سعود بن هذلول الذي شغل أحياناً أمير منطقة القصيم، فتذكر الرواية أن الخديوي عباس الأول، هو الذي أمر باطلاق سراحه. ولكن الرواية لا تعطينا سبباً لإخراجه^(١).

أما رواية حافظ وهبة، فهي تتشابه تماماً مع رواية سعود بن هذلول، ولكنها توضح الأمر أكثر، فقد اعطينا تعليلاً للسبب الذي أخرج عباس من أجله الأمير فيصل من السجن ويعود إلى أن عباس كان معجباً بذكائه وعقليته^(٢).

والذي نلاحظه من الروايتين المتشابهتين أن احدهما مأخوذة عن الأخرى. وعلى كل يبدو أن التعليق قريب من الصحة، لأن عباس باشا كان من مساعدي محمد علي. ولكن الرواية التي تشفي أكثر فهي رواية أمين الريحاني التي تذكر أن خروج فيصل من السجن كان بإيعاز من محمد علي نفسه، وتفسر ذلك بسبب مقنع تماماً وهو أن اطلاق سراحه كان ليعيده أميراً على نجد^(٣).

فرواية الريحاني أقرب الروايات المذكورة الى الصحة للأسباب الآتية :-
أولاً : لأن خروج فيصل من السجن يتوافق زمنياً وحكم محمد علي باشا الذي ظل في الحكم حتى عام ١٨٤٧م (١٢٦٤هـ)، وبعد هذا التاريخ اعتلت صحته

(١) ابن هذلول، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٣) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٥.

وأصيب بضعف في قواه العقلية^(١)، فعزل عن الحكم وتولى بدلاً منه إبراهيم باشا.

ثانياً : قرر محمد علي باشا إخراج فيصل من سجنه، وإعادته إلى الحكم في نجد لينتقم من ابن ثنيان، الذي ثار على خالد بن سعود أمير محمد علي على نجد، زد على هذا أن ابن ثنيان كان قد أخرج جميع الحاميات المصرية الباقية من نجد أثناء ثورته المذكورة، ومازال والي مصر تحز في قلبه هزائم حامياته في نجد على يد هذا الثائر.

ثالثاً : كان محمد علي باشا يعلم أن عودة فيصل إلى الحكم مكسب له، لأن هذا سيحافظ على العلاقات الودية مع مصر، وبالفعل فقد ظل هذا الأمير طوال حكمه محافظاً على علاقاته الودية مع ولاية مصر^(٢). زد على هذا فإن فيصل حافظ على ولائه الاسمي للدولة العثمانية، كما أنه كان يدفع جزية سنوية إلى الأشراف في الحجاز، وصلت أحياناً إلى ٢٠,٠٠٠ ريال^(٣).

ومهما يكن، فقد خرج فيصل من السجن واتجه إلى جبل شمر، وفيه طلب العون من صديقه القديم عبدالله بن رشيد رئيس الجبل، فوعده بتقديم العون المادي والمعنوي حتى يستطيع استرداد حكمه من عبدالله بن ثنيان^(٤).

بدأ فيصل وعبدالله بن رشيد ساعده الأيمن^(٥)، يخططان للقضاء على حكم

(١) عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص ٦٧٢.

(٢) وثيقة، دفتر رقم ١٩١٠، أوامر عربي، صورة الأمر الكريم رقم ٤، ص ٢٩، بتاريخ ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٠هـ من الجناح العالي إلى الشيخ فيصل بن تركي، محافظ الحجاز بعابدين.

(٣) Major S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf, to the Government of Bombay, September 9, 1847, (Bahrain Archives, Book 154, p.469, Office No.387 of 1847, Cons., No.92 of 1847) Aramco.

(٤) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٦.

(٥) أنظر الفصل الأول من الكتاب.

عبدالله بن ثنيان، وبدأ يحيم على بلاد نجد شيخ الحرب الأهلية من جديد. بعد أن استنفر عبدالله بن رشيد قواته في جبل شمر، ودارت بين فيصل وأهالي أقاليم نجد عدة مراسلات سرية، كان يهدف منها كسب العون العسكري والتأييد المعنوي لموقفه، واستطاع ابن ثنيان أن يمسك باحدى هذه المراسلات^(١). فتأكد أن الحرب واقعة، فجمع مجلس شوره، وتداول معهم الأمر، فقرر المجلس إعلان الحرب ضد فيصل وجماسته إلا أن ابن ثنيان لجأ إلى الحيلة والدهاء السياسي قبل أن يلجأ إلى استعمال العنف. فأرسل وساطة برئاسة علي بن عبدالله أمير ضرمى ومعه بعض الهدايا ليقنع فيصل بالحضور إلى الرياض للتفاوض مع ابن ثنيان، ولم تكن أهداف الوساطة مقصورة على عملية الإقناع، بل كانت لدراسة أوضاع فيصل، ومدى استعداداته للحرب^(٢).

إلا أن فيصل كان صاحب حنكة سياسية، عرّكه الزمن، وعصرته التجربة والحروب، زد على هذا فإنه كان الساعد الأيمن لوالده تركي، وقاد عدة معارك حربية في نجد وخارجها، بالإضافة إلى ما كسبه من صبر وجلد أثناء إقامته في المنفى في مصر. لذا كانت احتمالة نجاح تهديده أو التغرير به احتمالاً ضعيفاً. وبالتالي فشلت خطة ابن ثنيان السلمية، فعمد إلى استعمال القوة، فاستنفر قواته في الرياض وسار بها إلى مكان يدعى بنبان إلى الشمال من الرياض ومنها اتجه نحو بلدة الخفس إحدى بلدان منطقة سدير، وهناك وصله نبأ تأييد عبدالعزيز بن محمد، رئيس بريدة وهي من أكبر بلدان منطقة القصيم، وكان هذا في خلاف مع عبدالله بن رشيد المؤيد لفيصل، فانتقل ابن ثنيان. بجيوشه من الخفس إلى القصيم، ورابطت قواته خارج أسوار بريدة تنتظر تحركات جيش عدوها^(٣).

أحدث وصول عبدالله بن ثنيان وجيشه إلى منطقة القصيم إضطراباً فيها،

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٦.

Philby, Saudi Arabia, p.217. -

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٦-١٠٧.

بخاصة في بلدة عنيزة المجاورة لبلدة بريدة. فاجتمع رئيسها عبدالله بن زامل بمجلس الشورى في البلدة ليقرر موقف بلده من القوى المتنازعة، ولاقى قرار تأييد فيصل الأكثرية في المجلس المذكور، وبخاصة تحت ضغط أسرة أبا بطين ورئيسها عبدالرحمن أبا بطين، وهي أسرة ذات نفوذ في عنيزة، وقرروا إرسال عبدالعزيز بن عبدالرحمن أبا بطين ليقدم الولاء لفيصل بن تركي المعسكر آنذاك في بلدة الكهفة الواقعة بين حائل وبريدة^(١).

وقد كان لهذا التأييد أثر كبير على قوة فيصل، فاتجهت جيوشه من الكهفة الى عنيزة في القصيم، وهناك بدأ يوزع جيشه إلى عدة اتجاهات مختلفة لإخضاع نقاط المقاومة المؤيدة لابن ثنيان. فأرسل أخاه جلوي وعبيد بن رشيد، أخا عبدالله بن رشيد رئيس حائل وجبل شمر، ومعهما حامية من الجند الى بلدة حمادة التي تقيم فيها قبائل مطير^(٢)، وطلب من رئيسها محمد بن فيصل الدويش تأييد فيصل، فأعلن الدويش ذلك في الحال لأنه من أعداء عبدالله بن ثنيان القدماء. وهذا تكون قوة فيصل قد ازدادات بعد أن ضمت إلى جانب جبل شمر أهالي عنيزة، وقبائل مطير، وقبائل عتيبة^(٣)، بينما كانت قوة عبدالله بن ثنيان تتكون من أهالي الرياض والوشم وبريدة وأهالي الجنوب.

حاول ابن ثنيان أن يقضي على قوات عدوه الزاحفة من الكهفة إلى عنيزة، بعد كمن لها في الطريق، إلا أن فيصل كان يعرف غدره، فسار بقواته طريقاً منحرفاً، وبذلك ضيع الفرصة على ابن ثنيان الذي استشاط غضباً من فوات فرصة النجاح، واضطر أن يعود بجيوشه إلى الرياض خوفاً من وصول جيش فيصل إليها، وتقطع بذلك خط الرجعة على قواته وفي العودة مر ببلدة المذنب (جنوب شرقي بلدة بريدة)، لينعطف

(١) ابن بشر، نفسه مجلد ٢، ص ١٠٧.

Philby, Saudi Arabia, p. 190. -

(٢) أنظر الفصل السابع، الحياة الاجتماعية في الدولة.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٧.

Philby, op. cit., p. 190. -

منها إلى الجنوب حتى الرياض، وكانت قوات فيصل، التي يرأسها أخوه جلوي وحلفاؤه، قد اشتبكت مع مؤخرة جيشه في منطقة الوشم، وكبدتها خسائر كثيرة. وأخيراً استطاعت قوات عبدالله بن ثنيان الوصول إلى الرياض لتدافع عنها ضد زحف قوات فيصل التي وصلت منطقة الوشم، واتخذت بلدة ثادق مركزاً لتجمعها^(١).

وفي بلدة ثادق أجرى فيصل تنظيماً عسكرية، فأرسل عبدالله بن إبراهيم إلى منطقة سدير ليستميل أهلها إلى جانبه. واجتمع بزعماء المنطقة، واستطاع كسب صداقتهم وولائهم، وساعده بالرجال والأموال، ثم عاد بعدها إلى مدينة ثادق^(٢).

اتجهت قوات فيصل من ثادق إلى بلدة حريملاء في إبريل ١٨٤٣م (ربيع الثاني ١٢٥٩هـ) وبدأ فيصل ينظم قواته لاحتلال الرياض، وقد فضل فيصل أن يحل الخلاف بالطرق السلمية، وطلب من عبدالله بن ثنيان الاستسلام على شرط أن يخرج من الرياض، ويأخذ معه كل ماله من مال وسلاح، وأن يختار البلد الذي يفضل العيش فيه في نجد أو خارجها، وأن يعين له راتباً سنوياً يكفيه وأهله، ومع هذا فقد رفض عبدالله بن ثنيان الاستسلام، وفضل الحرب^(٣).

بعد ذلك اتجهت قوات فيصل من حريملاء إلى بلدة سدوس (شمال غرب الرياض). وهناك أخذ يرأسل أمير بلدة منفوحة، سليمان بن إبراهيم بن سعد، واقترح عليه أن تكون منفوحة مركزاً لقيادته يمكن أن تتم منها عملياته الحربية ضد الرياض، وبخاصة أن هذه البلدة كانت المركز الحربي لفيصل أثناء إمارته الأولى عندما حاصر مدينة الرياض التي يتمركز فيها خالد بن سعود وإسماعيل بيك قبل خمس سنوات،

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٨.

Philby, Saudi Arabia, p.191. -

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٨.

(٣) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ١٠٩.

Philby, op cit., p.192. -

فوافق أمير منفوحة، واستقبلت المدينة فيصل المطالب بالعرش من جديد^(١). وبدأ فيصل يتصل سراً بزعماء مدينة الرياض التي حصنها عبدالله بن ثنيان لتصمد أمام المقاومة الشديدة المتوقعة من قوات فيصل^(٢).

وأفلح فيصل باستمالته لبعض زعماء المدينة سراً، وأرسل أخاه جلوي ومعه حامية من الجند فدخلت المدينة من باب دخنة (أحد أبواب المدينة)، الذي فتحه حلفاؤهم في الداخل. ولما عرف ابن ثنيان ذلك، احتفى وجماعته في القصر^(٣).

وعلى إثر ذلك دخل فيصل المدينة بجنده وحاصروا القلعة التي انحصر فيها ابن ثنيان، ودارت معركة بين جنود فيصل والمؤيدين لابن ثنيان دامت متقطعة حوالي ثلاثة أسابيع، حتى أن فيصل اكتشف مؤامرة لاغتياله دبّرتها العناصر المناهضة لحكمه والمؤيدة لعدوه، وكان أعضاؤها من قبيلة سبيع، فأحبطها. وفي مايو ١٨٤٢م (ربيع الثاني ١٢٥٩هـ) طلب ابن ثنيان من عبيد بن رشيد التوسط له بالصلح مع فيصل وإنهاء الحالة المتأزمة، إلا أن عبيداً وابن ثنيان لم يتوصلا إلى حل يرضي فيصل. وبعدها قرر ابن ثنيان الفرار، فغادر القلعة لكن حرس فيصل عرفوه وألقوا القبض عليه وأمر فيصل بحبسه. ولم يدم طويلاً في الحبس بل توفي في يونيو ١٨٤٣م (منتصف جمادي الثاني ١٢٥٩هـ) وكان موته مفاجئاً^(٤). وهكذا انتهى حكم عبدالله بن ثنيان، الذي دام أكثر من سنتين، قضاهما في الحروب المنهكة. ويتسلم فيصل الحكم يبدأ تاريخ الدولة السعودية الثانية، وينتهي عصر الفوضى السياسية في بلاد نجد لأن استقراراً بدأ يعم البلاد دام أكثر من ٢٢ سنة في ظل حكمه الثاني.

(١) Philby, op. cit., p. 192.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢ ص ١٠٩.

Philby, op. cit., p. 192. -

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٩٢.

Philby, Saudi Arabia, p. 192. -

(٤) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٠.

Philby, op. cit., p. 193. -

الفصل الثالث

حكم فيصل بن تركي للمرة الثانية

١٨٤٣ - ١٨٦٥ م

١٢٥٩ - ١٢٨٢ هـ

محتوياته

- تمهيد .
- فترة توطيد الحكم في الداخل .
- زيارة بولجريف « Palgrave » للرياض .
- زيارة لويس بلي للرياض .

الفصل الثالث

حكم فيصل بن تركي للمرة الثانية

١٨٤٣ - ١٨٦٥ م

١٢٥٩ - ١٢٨٢ هـ

تمهيد :

بعد أن قضى فيصل خمس سنوات في مصر، وأخيراً أطلق سراحه كما رجحنا بأمر من محمد علي باشا وبمساعدة عباس الأول عام ١٨٤٣ م (١٢٥٩ هـ)، عاد إلى نجد وقضى على مقاومة خصمه عبدالله بن ثنيان، ودخل الرياض في ٢٢ مايو (أواخر ربيع الثاني) من السنة نفسها^(١). وفي الفصل الثاني من هذا البحث فصلنا رواية خروجه من السجن ومدى ما قام حولها من غموض وبيننا كذلك العلاقة الحربية التي حدثت بين فيصل وعبدالله بن ثنيان وبالتالي تغلب الأول.

تعتبر الفترة الثانية من حكم فيصل فترة تكوين الدولة السعودية الثانية التي ظهرت بعد انسحاب قوات محمد علي من جزيرة العرب، إذ خمدت الحركات العسكرية، واستقر الوضع السياسي في نجد واستأنفت البلاد مجرى حياتها العادية. ومع أن هذه الفترة لا تخلو من حركات التمرد التي قامت في الداخل ومن الهجمات التي جاءت من الخارج، إلا أنها بحق تعتبر فترة سلام نسبي، ولكن هذا «لم يكن ليعني الحياة السلمية الهادئة أو الانتعاش والإسجام بين الناس، فقد كانت هذه من البركات النادرة في الصحراء»^(٢)، وربما يعود هذا إلى طبيعة الحياة القبلية والحياة اليومية العادية في بلاد نجد آنذاك. فكانت البلاد تعيش على الرعي والزراعة تارة وعلى الغزو تارة

(١) عبدالرحمن، عنوان المجد والسعد، ص ١٦.

(٢) Philby, Saudi Arabia, pp.193-194.

أخرى . وفي أشهر الشتاء والربيع من كل سنة تبدأ عندهم الحياة العملية ، حياة كسب الطعام ، وفي أشهر الصيف يمنح الأهالي إلى الراحة في القيلولة ، وأحياناً كانوا يقومون بنشاطهم العسكري ضد الحاميات التركية أو المصرية في المنطقة ، لأن هذه الحاميات يتعذر عليها القيام بأي عمل عسكري في مثل هذا الطقس الشديد الحرارة ، حيث أن متوسط معدل درجات الحرارة العظمى في نجد تصل إلى حوالي ٤٥ م^(١) . ويمكن القول إن هذه الفترة كانت فترة توطيد وبناء وتنظيم إداري وإقتصادي للبلاد ، لذا قيل عنها أنها «مدخل تاريخ الجزيرة العربية الحديث»^(٢) .

استهل فيصل بن تركي حكمه بتوجيه رسالة^(٣) إلى رعيته في أنحاء مملكته ، كانت بمثابة خطاب العرش كعادة رؤساء الدول في وقتنا الحاضر عند تسلمهم سلطتهم الجديدة ، ويتلخص ما جاء في الرسالة بالنقاط التالية :

أولاً : حث فيصل شعبه على التمسك بالتوحيد وحثهم على تقوى الله وطاعته فيقول : « . . . وتقوى الله أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله ومعظم التقوى والمصالح لأعمالها توحيد الله بالعبادة وهي دين الرسل . . . » وربما كان فيصل في هذه الرسالة قد جنى ثمرة تأملاته ودراسته للقرآن وكتب التفسير والكتب الدينية أثناء إقامته منفياً في مصر . ويدل هذا على مدى تمسك هذه الإمام بتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي دعت إلى التوحيد ودحض البدع والخرافات^(٤) .

ثانياً : شدد فيصل في رسالته هذه على رفع الزكاة للسلطة المركزية ، فيقول : «والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله كما سبق في الآية ونحوها جعلها الله

(١) محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص ٦٧ .

(٢) Philby, op. cit., p. 196.

(٣) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، مجلد ٢ ، ص ١١٠ .

(٤) عباس محمود العقاد ، الإسلام في القرن العشرين ، ص ٥٧ .

طهرة للأنفس والأموال وزيادة وبركة وحجاباً من النار» .

ثالثاً : اهتم الإمام بأمر هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بتكوين هذه الجماعة كما كان قد أمر بتكوينها في الفترة الأولى من حكمه، فيقول : «واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين وأركانه» ولم يكن في هذا ليفكر في استغلال الحماس الديني لصالح النشاط الدنيوي في دولته .

رابعاً : دعا في رسالته المذكورة الى ضرورة نظام الشورى في الحكم، مستمداً ذلك من وحي الدستور الإسلامي الذي ينص على أن دعائم الإسلام عشر : الشهادتان والصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والجماعة والسمع والطاعة فيقول : «وهذه الدعائم العشر لا يقوم الإسلام حق القيام إلا بجميعها والقرآن يرشد الى ذلك جملة وتفصيلاً» .

خامساً : حث الناس على التمسك بطاعة أولى الأمر، لتكون دولته متجددة قوية تحت قيادته .

سادساً : طالب الشعب بدفع الصدقات والمساعدات النقدية والعينية للفقراء والمساكين من أجل تحسين مستوى حياتهم المعيشية .

سابعاً : أصدر أوامره لحكام المناطق في نجد والأقاليم الشرقية لدولته كالأحساء والقطيف والبريمي ، أن يقرأوا رسالته هذه في المساجد مع صلاة الجمعة وأن تعاد قراءتها مرة أخرى بعد انقضاء شهرين من القراءة الأولى، وذلك لعدم توافر المذيع وقتذاك .

وإننا إذا قارنا ما جاء في هذه الرسالة وما جاء في الرسالة الأولى التي وجهها لشعبة

أثناء تسلمه الحكم في المرة الأولى، فإننا لا نلمس أي تغيير جوهري فيها، كما أننا أن الرسائل ذواتا محتوى فقهي أكثر من كونها سياستين. والذي يمكن استنتاجه المسائل الدينية كانت آنذاك كل شيء في سياسة دولة نجد، لأن العقلية القبلية النجد ما كانت لتستوعب النظم والمسائل العصرية الحديثة، لأنهم اهتموا بالناحية الدين والخلقية كما أمرها الدين دون أن يمسوا الحياة العقلية أو يعملوا على ترقيتها إلا في دائرة التعليم الديني^(١). وهذا ما جعل حكومة عبدالعزيز ابن سعود الحاضرة تواجه صعوبة جدية عندما بدأت تأخذ بأساليب الحضارة الحديثة من بعض علماء الدين في نجد المتمسكين بتعاليم ابن عبد الوهاب، والمتشددون أمام كل جديد^(٢). فشدة التمسك بتعاليم ابن عبد الوهاب هي التي أملت هذه الرسالة. لكن هذا الواقع كان له ما يبر في تلك الحقبة، فنجد كانت أشبه ما تكون بدائرة مغلقة، بعيدة عن التيارات الفكر والاقتصادية التي اجتاحت البلاد العربية الأخرى ذات الاحتكاك الخارجي ويعود ذلك إلى سياسة «العزلة» أيام الحكم العثماني لبلاد العرب وإلى طبيعة البلاد الصحراوية ويمكن القول إن الحوادث التي وقعت في هذه الحقبة من تاريخ فيصل، والأعمال التي تمت في الحقول الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ماهي إلا مجموعات اللوحات التي تعطينا صورة عامة عن الوضع السياسي والاقتصادي والإدار والاجتماعي في نجد والأقاليم التابعة للدولة السعودية الجديدة.

استهل فيصل حكمه الجديد بإجراء سلسلة من التغييرات والتعيينات الإدارية في مناطق دولته. فعزل عدداً من موظفي دولة عبدالله بن ثنيان السابقة، وعين خا لهم إداريين وقضاة وموظفين ممن أيدوا الوضع الجديد. ومع هذا فإن هذه التعيينات الجديدة لم تثبت وتستقر طويلاً، بل سرعان ما كان يعزل حاكم من منصبه ويعين آخ بدلاً منه، وذلك لأسباب كثيرة منها: كثرة ما قام في الأقاليم من حركات تمرد ضد السلطة المركزية كانت تدعم من قبل حكام الأقاليم. أو لاتصال حكام المناطق بالخارج

(١) أحمد أمين، زعماء الإصلاح، ص ١٧، ١٨.

(٢) محمد رفعت، التوجيه السياسي للفكرة العربية، ص ٩.

أحمد أمين، المرجع السابق، ص ١٨.

والعمل ضد سلامة الدولة أو نتيجة طبيعية لما كان يحدث من وشايات وحسد وتنافس بين الزعماء المحليين وحكام الأقاليم . فكان من الطبيعي ألا يثبت حاكم الإقليم في مثل هذا الجو غير الطبيعي .

وإذا ألقينا نظرة على لائحة التعيينات الإدارية أو القضائية في الفصل السابع من هذا البحث، نرى من خلال قوائم التعيينات أن ذوي النفوذ في المناطق هم الذين يعينون حكاماً، وفي أغلب الأحيان في أقاليمهم نفسها، وبطبيعة الحال يعود ذلك إلى خدمة الرئيس الأعلى، يعينهم ليضمن خضوعهم للسلطة المركزية ثم كونهم أكثر خبرة بإدارة مناطقهم ويفهمون احتياجاتها، ويعرفون البيئة الاجتماعية وأحوالها الاقتصادية، وهذا بالتالي يخدم السلطة العليا أكثر مما يضرها وللزعماء المحليين دائماً لهم كلمة مسموعة في أقاليمهم . كما أن البدوي والمتحضر في جزيرة العرب يجنحان دائماً للحكم الاستقلالي في مناطقهم، فتعين رئيس العشيرة أو القبيلة كان يلقي استجابة في الأقاليم .

لذا يمكن اعتبار مثل هذا الحكم حكماً لا مركزياً أكثر من كونه مركزياً مباشراً . وربما أن هذا النظام الإداري مأخوذ عن الأنظمة الإدارية في الدولة العثمانية التي كانت تحكم ولاياتها حكماً لا مركزياً قبل نجاح الانقلاب الدستوري سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) أو ربما يعود ذلك إلى طبيعة المناطق، حيث إن البيئة الطبيعية قامت بدور هام في طبيعة الحكم نفسه، فطبيعة البلاد أشبه ما تكون بمناطق منفصلة الواحدة عن الأخرى، ويتباعد بعضها عن بعض بشكل واضح .

فترة توطيد الحكم في الداخل :

كان أول عمل عسكري قام به فيصل في مستهل حكمه، قمع حركات التمرد التي قامت ضد السلطة المركزية في الرياض، مجابهة منه للتحديات التي قامت بها بعض القبائل البدوية القاطنة بأنحاء مختلفة من أراضي الدولة السعودية . فخرجت عليه في عام ١٨٤٢م (١٢٦٠هـ) عشيرة المناصير التي تقيم في المناطق الشرقية الساحلية على الخليج العربي، وكذلك بعض قبائل آل مرة القاطنة بمنطقة الأحساء وبنو هاجر

المقيمون في منطقة القطيف^(١). ولم تكن هذه الحركات تعني المفهوم السياسي الحديث، بل كثيراً ما كانت تعتمد هذه القبائل البدوية الى التمرد مغتمة بذلك حياة التنقل، إذ لا تستطيع الجيوش أن تلاحقها إلا إذا كانت متجمعة في مراتع العشب. وكانت مثل هذه الحركات تقوم لمجرد اعتداءات بين القبائل بسبب مرعى أو بعض الاعتداءات على إبل قبيلة أخرى أو الدخول في حدود منطقتها أو الاعتداء على أحد رجالها. ولذا يمكن مقارنة هذه الحركات - مع أنها كانت تقلق الدولة - بغزوات العرب في الجاهلية.

وفي ذلك الوقت بالذات حدثت مناوشات بين قبائل مطير بزعامة محمد بن فيصل الدويش وقبائل العجمان وسبيع بزعامة محمد بن جابر الطويل عام ١٨٤٣م (١٢٦٠هـ) انتصرت فيها قبائل العجمان وحليفاتها سبيع على قبائل مطير وكبدتها خسائر من الإبل والأسلحة والقتلى. وتشير المصادر إلى أن قبائل مطير هي المعتدية لأن الأخيرة اعتدت على مناطق الأولى التي تقع في ديرة بني خالد. إلا أن فيصل بن تركي عوض عن خسائر مطير بكرم وسخاء من بيت مال القطيف لأن محمد الدويش كان من المخلصين له^(٢). وتحت ضغط القلاقل في المنطقة الشرقية سار فيصل بقواته إلى الأحساء والقطيف واستطاع أن يعيد الأمن إلى المنطقة بعد أن أقام في الأحساء (الهفوف) حوالي ٤٠ يوماً قضاه في إخضاع حركات التمرد، ثم محاربة شيوخ البحرين الذين اعتدوا على الدمام والقطيف، وكذلك أرسل حملة عسكرية إلى عمان للسيطرة على البريمي، وهذا ما سنورده في الفصل الرابع في بحث العلاقات الخارجية للدولة زمن فيصل. هذا وقد أحدث فيصل تغييرات إدارية بين موظفي المنطقة الشرقية فاستعمل أحمد السديري حاكماً على الأحساء وعبدالله المداوي على القطيف، وعين عبدالله بن بتال قائداً عاماً لقواته في البريمي في منطقة عمان، وعين الشيخ ناصر بن علي العريني قاضياً لإدارة الأمور المتعلقة بالدين^(٣). وبعدها عاد فيصل إلى الرياض في بداية عام ١٨٤٤م، (بداية صيف ١٢٦١هـ).

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢ ص ١١٧.

(٢) Philby, op. cit., p. 197.

- ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ١١٧.

(٣) ابن بشر المرجع السابق، مجلد ٢ ص ١١٨.

ثم جاءت الأخبار ليفصل أن حاكم القطيف عبدالله المداوي قد سجن وعذب حتى الموت حاكم القطيف السابق، علي بن عبدالله بن غانم متهماً بإياه بالتواطء مع شيعة البحرين وشيوخها، بخاصة أن المقتول كان شيعي المذهب^(١). وكان لهذه الاجراءات التعسفية الفردية أثر في نفس فيصل الذي أصدر أمراً لقائده بلال بن سالم الحرق بالتوجه إلى القطيف وتولى الادارة فيها وإرسال عبدالله المداوي مخفوراً إلى الرياض للتحقيق معه. وقد مثل المداوي أمام محكمة الشرع في الرياض وقدم ليفصل عدة حجج وبراهين تثبت صحة ادعائه وتصرفاته، فاقتنع فيصل وأعاد حاكماً على القطيف^(٢). ويبدو أن العوامل النفسية كان لها تدخل في القضية إذ أن المداوي أراد أن يتخلص من رجل ينافسه الزعامة في المنطقة وبخاصة أن أهالي القطيف يؤيدون زعيمهم علي بن غانم لأنه شيعي المذهب مثلهم.

وفي العام نفسه اعتدت قبائل العجمان برئاسة فلاح بن حثلين على قافلة للحجيج كانت قادمة من إيران والعراق والبحرين إلى القطيف ثم مكة عن طريق نجد، فأغضب تصرف ابن حثلين فيصل، لأن الاعتداء على الحجاج المارين بدولته معناه انعدام الأمن في البلاد، والحجاج من أهم وسائل الإعلام والنشر، لذا أمر قواته بالتأهب لتأديب ابن حثلين وقبائل العجمان المؤيدة له، وجعل بلدة حريملا مركزاً لتجمع القوات، وبعد مجيء قواته سار بهم إلى الربيدا التي أقام فيها معسكره المؤقت. وفي هذا المعسكر أحضر عنده بعض رؤساء العجمان وطلبوا منه العفو وقدموا له الطاعة والولاء كالعادة، مظهرين له أن المسؤولية تقع على ابن حثلين ومن أيده فقط، وأنهم مستعدون لحربه، فاشترط عليهم فيصل مقابل العفو عنهم أن يرحلوا من ديرة بين خالد التي يتمركز فيها الثائر وأعطاهم مهلة عشرة أيام وذلك حتى لا يعرضوا أنفسهم إلى خطر المعركة^(٣). هذا عن الجانب الأول ولنأخذ صورة للجانب الآخر، فابن حثلين

(١) Philby, op. cit., p. 197.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٨.

(٣) ابن بشر، نفسه مجلد ٢، ص ١٢٠.

زعيم لبعض بطون قبائل العجمان المنتشرة في ربوع المنطقة الشرقية^(١)، والتي تقطن بديرية بني خالد، وبدو العجمان شديدي المراس في الحرب، لكن قوته كانت ضعيفة بالنسبة لقوات فيصل، وزاد في ضعف التأثير انفصال بعض قواته عنه فكان هذا ايذاناً بفشله، وبخاصة بعد أن أعلن رؤساء قبائل العجمان الطاعة لفيصل..

قرر ابن حثلين أن يلتجئ عند محمد بن هادي بن قرملة رئيس عربان قحطان النازلين في خفس في منطقة العرمة^(٢)، فحماه هذا لكن فيصل لاحقته مصراً على قتله عقاباً له على ما ارتكب من جرائم ضد قوافل الحجيج. فأرسل قائده حميدي ابن فيصل الدويش مع أفراد من جند قبيلته مطير ليلاحق ابن حثلين فसार حتى منخفض السر في العرمة قريباً من مرتع قبائل قحطان المذكورة وأدرك ابن قرملة مدى الأخطار التي تحيط به فقرر أن يصفى حسابه مع فيصل فأخرج ابن حثلين من حمايته فالتجأ هذا إلى إحدى بطون قبائل مطير التي تدعى بالملاعبة، لكن رئيسها منديل بن غنيان رفض منحه حق اللجوء السياسي عنده، ومع هذا فقد أمسك بالثائر وتفاوض مع فيصل بشأنه فأصر الأخير على تسليمه لسلطات الهفوف التابعة له. فنقل إلى الهفوف وسلم إلى حاكمها السعودي أحمد السديري الذي أمر بإعدامه حالاً مع اثنين من أعوانه هما مشعان بن هذال وهادي بن مذود وبذا عاد الأمن في المنطقة^(٣).

وكان عثمان بن بشر المؤرخ النجدي المعاصر للحوادث قد زار فيصل وقواته في معسكر المجزل فأعطانا وصفاً حياً وصورة صادقة عما يدور في هذا المعسكر من واجبات. فالواجبات العسكرية هذه أمر مسلم ومفروغ منه، ولكن هناك واجبات أخرى كان يقوم بها الجند أثناء وجودهم في المعسكر الذي يعتبر مدرسة دينية يؤدي فيها

(١) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, vol.2 p.1355.

Dickson, Kuwait and Her Neighbours, p.83. -

(٢) العرمة: سلسلة من الجبال تتخللها أودية تمتد من الشمال قرب الزلفي ونفوذ الثويرات إلى الجنوب حتى تطل على إقليم الخرج، وتفصل بين العارض والدنهان. أنظر الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ١٣٧، ١٣٨.

(٣) Philby, op. cit., pp.198-199.

لجندي الصلوات الخمس بشكل جماعة. والمعسكر مقسم إلى عدة جماعات لكل قبيلة إمامها الخاص وجناحها الخاص ورئيسها الخاص الذي هو الحاكم لمنطقة هذه القبيلة عادة. وبالطبع فإن هذا المعسكر يخضع لسلطة الإمام. ويذكر ابن بشر أن دروساً في الدين وخطباً وإرشادات كانت تلقى على العساكر لتعليمهم وتثقيفهم في أمور الشرع وبخاصة المبادئ الحنبلية من كتب الشيخ ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب^(١). وكانت حلقات التدريس تعقد بعد صلوات العصر، ومن أساتذة الشرع، عبد الرحمن بن حسن وابن عمه عبدالله وهما من أحفاد ابن عبد الوهاب المتسلم للسلطة الدينية بعد اتفاق الدرعية عام ١٧٤٨م (١١٥٧هـ)^(٢). لكن سانت جون فليبي يذكر أن هذه المواعظ والدراسات ما كانت إلا «لمجاهدة الفتور الديني الذي ظهر بين أفراد القوات المسلحة»^(٣). ولكن الواقع يثبت عكس هذا فان النجديين يؤدون واجباتهم الدينية بشكل عادي متواصل سواء كانوا من الجند أم من غيرهم، وبخاصة أنهم مقيمون في معسكرهم مما يسمح لهم بأداء واجباتهم الدينية على أتم وجه. هذا ولم نلمس من قراءتنا للمصادر التي نقل عنها فليبي نفسه أن هناك ما يدل على بؤادر الفتور الديني..

(١) ابن تيمية هو تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي ولد عام ١٢٦٣م (٦٦١هـ) في حران ثم رحل إلى دمشق بعد غزو التتار للعراق، ويعتبر من أوائل الزوَّاد لحركة الإصلاح في الدولة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين (السابع والثامن الهجريين)، وهو أول من نبه المسلمين إلى ما وقعوا فيه من فساد بسبب انحرافهم عن جادة الإيمان الصحيح، وانتقد طرق التعليق والإفتاء والتشريع وهاجم العادات الشائعة المخالفة للشرعية. أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، مجلد ١، ص ١٤٠، ١٤١.

- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، الجزء ٢، ص ١٨٧.

- محمد بن شاكر، فوات الوفيات، مجلد ١، ص ٦٢، إلى ٨٤.

- محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ولد عام ١٧٠٣م (١١١٥هـ) في بلدة العيينة في نجد، قام بحركته الإصلاحية، اقتداء بطريقة أستاذه ابن تيمية، وقد دعا الناس إلى ترك البدع والخرافات والرجوع إلى الدين الصحيح. أنظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار، مجلد ١، ص ١٠ وما بعدها.

(٢) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، مجلد ١، ص ٣٩.

(٣) Philby, op. cit., p.199.

ولم تنته القلاقل في المنطقة الشرقية فقد تعرض بدو قبائل آل مرة المقيمين في أنحاء المنطقة الشرقية وصحراء الربع الخالي (الأحقاف)^(١)، إلى قافلة تجارية قادمة إلى مدينة الهفوف من بندر العقير الميناء الرئيسي لمنطقة الأحساء. فأنفذ فيصل حملة لتأديبهم بقيادة ابنه ولي العهد عبدالله، وقد استطاع جيش عبدالله أن يكبد قبائل آل مرة خسائر فادحة بعد أن استولى على معسكرهم في بلدة النعيرية^(٢)، ومنها سار إلى بلدة سلوى وهي على الحدود بين أملاك آل ثاني في قطر والسعوديين، وهي اليوم تابعة للمملكة السعودية وفيها مخفر للشرطة، وقد تقاتل هناك مع بعض القبائل كبنو هاجر ونعيم والمناصير، وكان هذا القتال بسبب اشتراك هذه القبائل مع آل مرة في الاعتداء على القافلة التجارية المذكورة. وفي الوقت نفسه كانت قوات سعودية برئاسة فيصل قد غزت بعض بطون قبيلة مطير لإخلالها بالأمن، وتذكر المصادر أن الإمام سار مع بعض قواته ومستشاريه إلى منطقة عمان في زيارة تفقدية للمنطقة للاطلاع على سير الأمور فيها، وفي نهاية السنة المذكورة عاد إلى الرياض^(٣).

وفي عام ١٨٦٠م (١٢٧٦هـ) اضطرب جبل الأمن في المنطقة الشرقية عندما أغارت قبائل العجمان على ابل العائلة السعودية. وترأس هذه العملية راكان بن فلاح بن حثلين، ولم تكتف هذه القبائل عند هذا الحد بل اعتدت أيضاً على بلدة الصبيحية التابعة للكويت. ويبدو أن راكان قرر الانتقام لمقتل والده. فعادت قوات عبدالله مرة ثانية إلى المنطقة، وأعلن فيصل النفير العام وأصدر أمراً للقوات البدوية أن تتجمع في مكان يدعى الدجاني في المنطقة الشمالية الشرقية من الرياض أو بالأحرى في منطقة السدير والوشم، ومنها سارت إلى الوفراء التي كانت مركزاً لتجمع قوات بدو العجمان، فانتصرت القوات النجدية عليها وقد فرت إلى الصبيحية عند الكويت، فلاحقتها قوات نجد فانسحبت منها إلى الجهراء، وفي مكان يدعى ملح قرر شيوخ العجمان

(١) إبراهيم بن فصيح الحيدري، عنوان المجد بن بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد، ص ٢٠٤.

(٢) النعيرية: وهي قرية صغيرة كانت قديماً تمر بها القوافل القادمة من الكويت إلى الأحساء وهي الآن محطة ضخ للبترو في خط أنابيب التابلاين الذي ينقل البترول من الظهران في المملكة العربية السعودية إلى الزهراني بالقرب من صيدا في لبنان على البحر المتوسط أنظر: الخريطة.

(٣) إبراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص ٩.

الصمود في وجه قوات عبدالله ، وحسب العادة التقليدية البدوية المعروفة عند العجمان ، كانوا قد وضعوا في مقدمة جبهتهم سبعة جمال على كل جمل فتاة من بنات رؤساء العجمان تتحلى بأبهى أنواع الحلي والزينة ، وذلك ليشجعن المحاربين ، وهذه من العادات الجاهلية كدليل على حب العربي لعرضه وكرامته . وجرت معركة حامية الوطيس انهزمت فيها قوات العجمان ، وذلك لعدم التكافؤ بين القوتين من حيث العدد والعدة ، وهكذا تخلصت الدولة من حركة تمرد جديدة كانت تعمل على إقلاق الدولة وبخاصة أنها كانت تعتدي على الدول المجاورة كالكويت والعراق وعشائر المنتفق وبلدة الزبير حتى أن أهالي بلدان المنتفق والزبير والبصرة وسوق الشيوخ أرسلوا إلى عبدالله رسلاً للتهنئة بالانتصار^(١) .

وإذا نحن رجعنا إلى ديوان شعر الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرف^(٢) ، رأينا صورة صادقة عن المعركة نستشف منها بعض العادات والأنظمة القبلية الموجودة في جزيرة العرب . فقد وصف المعركة في قصيدة مطلعها :

لك الحمد يا الله ما نزل القطر وما نسخ الديجور من ليلنا الفجر •
وما هبت النكبا ، رخاء وزعزعت على نعم لا يستطيع لها حصر
فمن ذلك الفتح المبين الذي له تهلل وجه الدين وابتسم الثغر

هذه صورة واضحة عن حياة الفوضى والقلق في المنطقة الشرقية وهي في حد ذاتها أمور طبيعية بالنسبة للحياة الصحراوية والمجتمع البدوي القبلي الذي يعيش حياة التنقل في الصحراء وواحاتها باحثاً عن الماء ومنابت العشب . فلا عجب أن تحدث مثل هذه الغزوات والحركات الحربية على فترات مختلفة من السنة تكثر عند حلول فصل الشتاء والربيع حيث تكون القبائل متجمعة في الواحات العشبية ، وتضعف أو تكاد تتلاشى في فصل الصيف لاشتداد الحرارة في جزيرة العرب .

ولم تكن مملكة فيصل بالمملكة الصغيرة ، لذا لم تقتصر حركات التمرد والفوضى

(١) إبراهيم بن عيسى ، عقد الدرر ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) أحمد بن علي بن مشرف ، ديوان ابن مشرف ، ص ١٩ .

ضد السلطة المركزية على المنطقة الشرقية فحسب، بل واجهت الدولة صعوبات في مناطق أخرى. ففي عام (١٢٦٣هـ)، قام فيصل بغزو بعض بدو شامر قرب بلدة القويعة. ويبدو أن هذه الحملة كانت تأديبية لما قامت به هذه القبائل من عمليات الإغارة والسلب ضد المدن^(١).

ولم تكن القصيم مغلصة تماماً لفيصل فكانت دوماً على اتصال بالشريف محمد بن عون شريف مكة، وكثيراً ما كانت تلقى منه مساعدات ضد سلطة الرياض، إذ كانت تحاول دوماً الاستقلال وتجنح للحكم الذاتي معتمدة على تأييد الأشراف لها. وكان إبراهيم بن سليمان بن زامل حاكم عنيزة من بين الذين يدور حولهم الشك، فاتهمه فيصل بإثارة البلبله وبالاتصال بالخارج وبالعزل على فصل القصيم عن الرياض، فعزله وعين خلفاً له ناصر بن عبدالرحمن السحيمي، فما كان من ابن زامل إلا أن رفض مثل هذا الإجراء وأمر خدمه بالاعتداء على الحاكم الجديد فأطلق عبدالله بن يحيى بن سليمان بن زامل وهو ابن أخي إبراهيم المذكور النار على ناصر السحيمي فأصابه بجرح بالغ، وعلى إثرها فر إلى بلدة بريدة المجاورة وطلب الحماية من أميرها عبدالعزيز آل محمد الذي وافق على منحه حق اللجوء عنده وبدأ الأمير يتوسط له عند فيصل حتى يعفو عنه بعد أن كتب لفيصل رسالة يبرر فيها جريمة عبدالله بن زامل. لكن فيصل أرسل له رسولاً يدعى فرحان بن خير يطلب منه تسليم الجاني وإرساله مخفوراً إلى الرياض ليمثل أمام محكمة الشرع فيها. وأخيراً أرسل إلى الرياض فسجنه فيصل^(٢).

ويبدو أن جماعة ناصر السحيمي لم يرضهم سجن عبدالله بن زامل في الرياض، فضرب مطلق السحيمي أخو ناصر أحد أفراد آل زامل حتى مات، ولم يكتفوا بذلك بل لما شفي ناصر من جراحه أمسك بإبراهيم بن زامل الحاكم السابق لعنيزة فقتله. ونتج عن هذه الأعمال انقسام عنيزة إلى فئتين متنازعتين، وعمت الفوضى جميع البلدة، ومنها تسربت إلى بريدة فعمت منطقة القصيم. فأصدر فيصل أمره إلى قائده عبدالله الداوي حاكم القطيف سابقاً أن يتوجه لمنطقة القصيم ويتولى حكم بلدة عنيزة مع

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٨.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٢٦.

العلم أن المداوي كان من بين الذي غضب عليهم فيصل من قبل لكن أهالي عنيزة رفضوا الطاعة للمداوي باعتباره حاكماً أجنبياً عنهم، فأغلقوا باب سور مدينتهم ومنعوه من دخولها، لأن جماعة ابن زامل غضبوا لاعتقال فيصل عبدالله بن زامل رئيسهم في الرياض. وأن جماعة السحيمي كذلك غضبوا لعزل وسجن رئيسهم ناصر. وكادت الفتنة أن تتطور ويطلب الأهالي العون من خارج القصيم، من الشريف محمد بن عون، ومعنى هذا بداية الطريق إلى الانفصال، لولا أن فيصل أرسل قوات من جنده لإخماد نار الفتنة، وأرسل معها ناصر السحيمي ليعيده حاكماً على عنيزة بعد أن تعهد هذا بإنهاء الفتنة^(١). ويبدو أن هذا الإجراء كان متأخراً نوعاً ما. فكان الثوار قد قرروا الانفصال عن الرياض والاتصال بالأشراف، وطلبوا من عبدالعزيز آل محمد رئيس بريدة أن يتزعم الثورة وأصروا على المضي فيها حتى النهاية. مما اضطر فيصل أن يخرج على رأس جيشه من الرياض إلى القصيم في أبريل ١٨٤٨ م (١٢٦٥ هـ) ومعه ابنه عبدالله ومحمد وانضم إليه ابنه سعود ورافقه كذلك أخوه جلوي ومعه عدد من أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب كأئمة للجيش، وسارت القوات إلى المجمع ثم إلى الجريفه في سهل حمادة ومنها سارت إلى أشيقر وإلى منطقة السر ثم إلى ساجر حتى بلدة المذنب^(٢). ومنها أرسل محمد بن أحمد السديري حاكم سدير إلى واحة العوشينات القريبة من عنيزة وذلك لمحاصرة الثوار. وأرسل كذلك رسوياً للثوار يحضهم على الطاعة قبل أن يلجأ لقتالهم، فما كان من الثوار إلا أن أرسلوا أحد وجهاء القصيم، مهنا بن صالح أبا الخيل ليفاض فيصل على الصلح.

وتتلخص مطالب فيصل من أهالي القصيم فيما يلي^(٣):

أولاً: الاستسلام وإنهاء الثورة القائمة في القصيم.

ثانياً: الاعتراف بالطاعة للسلطة في الرياض والانضواء تحت قيادتها.

ثالثاً: أن تدفع الزكاة بشكل عادي مع دفع ما تأخر عليهم نتيجة الثورة.

وهكذا عاد مهنا بن صالح إلى القصيم لينقل لأهلها شروط الصلح التي طلبها

(١)، (٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٢٨.

فيصل كإنهاء للحصار المفروض على المنطقة. وفي غضون ذلك أرسل فيصل ابنه عبدالله ليخمد حركة تمرد قام بها بدو الدهامشة وهم بطن من قبائل عنزة كانوا يسكنون بلدة الطرفية إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة في القصيم، ولم تكن هذه الحركة إلا مؤازرة لثورة أهالي القصيم المذكورة. وقبل أن يتوجه عبدالله لإخماد الحركة أوصاه والده بعدم الاعتداء على أهالي القصيم لأنه قرر الصلح معهم بعد أن وافق مندوبهم على شروطه. ومما يؤيد صحة ذلك أن فيصل سمح لقافلة من المؤن متجهة إلى بريدة بالمرور وكان بإمكانه أن يقطع القصيم عن تجارة الخارج. لكن حركة الدهامشة طلبت المساعدة من رئيس الثوار عبدالعزيز آل محمد الذي لبي الطلب وتمركز بقوات تقدر بحوالي ١٥٠٠ جندي في تلال اليتيمة الرملية بين بلدي الشامية والطعيمة في القصيم، إلا أن واحداً من أتباع عبدالله رأى حشود أهالي القصيم فأعلم بذلك عبدالله الذي كان من قبل قد شئت شمل الدهامشة. لجأ عبدالله إلى الخدعة في محاربة أهالي القصيم لأن عدد جيشه أقل بكثير من عدد جيشهم حتى أن مستشاريه نصحوه بعدم محاربتهم إلا بعد وصول مدد من قوات أبيه، لكنه أرسل جماعة ومعهم ما غنموه من إبل وغنم باتجاه القصيميين ليغطي بذلك فرقة فرسانه التي حدد لها وقتاً للانقضاض على العدو وبهذه الطريقة هزم عبدالله عدوه بعد أن قتل منهم حوالي ١٠٠ قتيل فيهم الكثير من ذوي السلطة^(١).

وبعد هذه الهزيمة التي لحقت بجند القصيم حقق الأهالي على تصرفات عبدالعزيز آل محمد وانقضوا عنه بعد أن يشوا من نجاح تورثهم، وبعد أن ضاقت عليهم سبل العيش نتيجة لما حدث من فوضى، اضطراب في المنطقة، وبعد أن يشوا من المساعدة الخارجية التي كانوا يتوقعونها من الشريف محمد بن عون. لذا قررت المنطقة الاستسلام، فأرسلوا عبدالله أبابطين إلى فيصل، وكان فيصل قد عينه قاضياً في القصيم. فوافق فيصل على مصالحتهم على شروطه السابقة، واستسلمت المدينتان عنيزة وبريدة ودخلهما فيصل وأجرى في المنطقة بعض التغييرات الإدارية فعين أخاه جلوي أميراً عاماً على القصيم وكان هذا أول أمير من العائلة الحاكمة يشغل مثل هذا

(١) إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٧٠.

المنصب في إقليم نجد والمناطق الشرقية من الدولة. وظلت المنطقة تخضع لحكام من أسرة جلوي مثل عبدالله بن جلوي وعبدالعزیز بن مساعد بن جلوي في عهد الملك عبدالعزيز وبهذا يكون فيصل قد أدخل مبدأ إدارياً جديداً في الحكم السعودي بلا انقطاع لأكثر من قرن^(١). وهذا النظام هو ما تسير عليه الدولة السعودية الحديثة وذلك لضمان ولاء الأقاليم.

ولم يخلص عبدالعزيز آل محمد للحكم السعودي، فقد كان يرى جعل منطقة القصيم منطقة حيادية، إذ أن رؤساء هذه المنطقة لا يريدون تفوقاً عليهم من قبل آل سعود، لأن بلادهم أرض واسعة كمنطقة العارض، وهي غنية نسبياً لأنها على الطريق التجاري بين مكة والعراق ومنطقة الخليج العربي بالإضافة إلى غناها زراعياً. فأخذ يحرص قبائل عتيبة المقيمة في المنطقة على إثارة القلاقل والفوضى ضد فيصل الذي قاد حملة تأديبية ضد الشمال عام ١٨٤٩م (١٢٦٦هـ) لأنه يعرف ما وراء الثورة، واستطاع تشتيت شمل الثوار بعد عدة عمليات حربية أهمها كانت وقعة جراب. وكان عبدالعزيز يعرف مصيره فهرب إلى مكة وقرر التعاون ضد نجد ومع هذا فقد وقف فيصل موقفاً أكثر تسامحاً من الماضي، فلم يصادر أموال وأموال عبدالعزيز بل عين أخاه عبدالمحسن آل محمد حاكماً على بريدة وعين عبدالعزيز بن عبدالله أبابطين مديراً للمالية^(٢). ويبدو أن الشريف لم يرد التورط في حرب مع فيصل فلم يقدم أي مساعدات عسكرية لعبدالعزیز بل توسط له عند فيصل فعفا عنه وأعادته من جديد حاكماً على بلدة بريدة بدلاً من أخيه عبدالمحسن^(٣).

هذا وقد استطاع عبدالله بن فيصل أن يقوم بعدة حملات تأديبية على قبائل عتيبة ومطير في منطقة الشمال في مواضع مختلفة انتقاماً منهم لإخلالهم بالأمن في المنطقة الشمالية وصحراء الدهناء^(٤).

(١) Philby, op. cit., p.204.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٣٧، ١٣٨.

(٣) Philby, op. cit., pp.204-205.

(٤) Philby, ibid, p.204.

ولم تهدأ الاضطرابات في منطقة القصيم بعد هذه الاجراءات التأديبية، بل إن هذه المنطقة لمي من أهم المناطق التي أزعجت حكم فيصل. وكان من بين الأسباب التي كانت تثير الاضطرابات هو الخلاف بين عائلي آل سليم وهم أحفاد زامل وآل السحيمي وذلك للنزاع على حكم عنيزة. وقد عرفنا كيف كان الخلاف عندما تولى الحكم ناصر السحيمي الذي عين من قبل فيصل بدلاً من آل سليم. ومهما يكن فقد قتل آل سليم ناصر السحيمي زعيم عائلة السحيمي عام ١٢٧٥هـ انتقاماً منه لقتله بعض رؤساء آل سليم وهو إبراهيم ابن عم عبدالعزيز واضطر مطلق السحيمي أن يغادر عنيزة وأهله إلى أشيقر وظل فيها إلى وفاته عام ١٨٦٥م (١٢٨٢هـ)^(١).

ونتيجة لهذا الحادث استدعى فيصل عبدالعزيز آل محمد إلى الرياض للباحث معه بشأن الأعمال الانتقامية ضد آل السحيمي والتي تثير القلاقل في المنطقة، فذهب عبدالعزيز مع ولدين من أولاده إلى الرياض فكان جزاؤه أن وضع ولداه تحت الإقامة الجبرية في العاصمة، وعين خلفاً له عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان وهو من عائلة آل عليان، ويظهر لأول مرة على مسرح الحوادث في بلدة بريدة. لكن الأهالي لم يرضوا عنه فقتلوه. ورأى فيصل أن الوضع لا يهدأ إلا بعودة عبدالعزيز، فأعاده حاكماً على بريدة بعد أن قدم عدة ضمانات منها تسليم أحد أولاده لفيصل كرهينة عنده لضمان تأييده^(٢).

ثار آل سليم في عنيزة من جديد عام ١٨٥٣م (١٢٧٠هـ) على جلوي بن تركي وأخرجوه من بلدتهم فاتجه إلى بريدة وأقام فيها وكتب إلى أخيه يعلمه بما حدث في بلدة عنيزة التي تأمر فيها عبدالله اليحيى بن سليم. فجهز الإمام فيصل بن تركي حملة بقيادة عبدالرحمن بن إبراهيم توجهت إلى القصيم ثم لحقتها حملة أخرى بقيادة عبدالله بن فيصل ودارت بينه وبين أهل عنيزة معركة في الوادي، ثم وصلت إلى عبدالله إمدادات أخرى في مطلع سنة ١٢٧١هـ، وبعد أن اشتد الحصار على مدينة عنيزة طلب السكان الاستسلام وسويت الأمور بين الطرفين وعاد عبدالله بن فيصل ومعه عمه جلوي إلى الرياض.

(١) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ١٦.

(٢) Philby, op. cit., pp.209-210.

وفي عام ١٢٧٧هـ اتجه الأمير عبدالله بن فيصل بحملة إلى القصيم عسكرت عند روضة الربيع كمقدمة للزحف على بريدة مركز الثورة فما كان من عبدالعزيز آل محمد إلا أن ارتحل منها إلى عنيزة. لكن الأهالي وحاكمها لم يوافقوا على منحه حق الحماية لأنهم عرفوا المصير الذي ينتظرهم بالإضافة إلى أن مسلك عبدالعزيز فيه من التقلب الشديد ما يجعل الناس لا يثقون بأعماله الثورية. إلا أن قوات نجد لاحقة من مكان لآخر حتى أمسكت به في موضع يدعى آبار الشقيقة، فذبح مع ثلاثة من أولاده كانوا معه. وبالنسبة لابنه المرهون عند فيصل فكان تحت مراقبة عبدالله بن فيصل ورافقه في حملته هذه على القصيم ثم عاد معه إلى الرياض بعد عودته، لكنه استطاع الفرار من الرياض. إلا أن قوات عبدالله لاحقة فأمسكت به فسجن في القطيف وظل في السجن حتى مات^(١). وبهذا العمل الإيجابي تم القضاء على زعيم آل محمد وبذلك خمدت نار الفتنة وتقلصت زعامة عائلة قديمة في منطقة القصيم، لم تكن في يوم مخلصه للحكم السعودي إلا بما يتناسب مع ظروف القهر والقوة، ولقد ظلت هذه الأسرة تتصل بالخارج وبخاصة بالإشراف وظلت كذلك تطالب بالقصيم منطقة مستقلة لا تابعة لحكم آل سعود في الرياض^(٢). وقد أجرى عبدالله بن فيصل بعض الإجراءات الإدارية في المنطقة فعين عبدالرحمن بن إبراهيم من رؤساء بلدة منفوحة القرية من الرياض حاكمًا على بريدة لكن أهل القصيم لم يرضوا عنه فثارت ضده بلدة عنيزة، مما اضطر فيصل أن يأمر البدو بنهب المدينة وبعض القرى في المنطقة وجهاز جيشًا بقيادة صالح بن شلهوب فتوجه هذا إلى بريدة لمساعدة عبدالرحمن بن إبراهيم ضد الثورة. وقد تكبد الطرفان الخسائر الفادحة. ومع هذا فقد كال الأهالي الصاع صاعين لقوات فيصل مما اضطر عبدالرحمن بوقف الهجوم. وقد برز في التمرد الجديد شخصية جديدة كذلك هو، محمد بن غانم الذي كان له يد في قتل الحاكم السابق عبدالرحمن بن عدوان، وتسلم حكم بريدة بالقوة بعده، وكان قد فر إلى المدينة المنورة من وجه قوات فيصل. وكان من نتيجة ذلك فشل عبدالرحمن بن إبراهيم وانهزام جيوشه في بلدة رواق. وعلى إثر ذلك استدعاه فيصل إلى الرياض وعذبه فيها وأذله وصادر أمواله وعين

(١) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ١١.

(٢) Philby, op. cit., p.273.

على المنطقة وعلى الجيوش في القصيم القائد صالح بن شلهوب حاكماً عسكرياً عاماً. وفي الصيف لم يستطع فيصل أن يقوم بأي عمل إيجابي فبقيت الثورة حتى فصل الحريف حين أرسل جيشاً بقيادة ابنه محمد كان يتألف من أهالي سدير والوشم وشمر بقيادة عبيد بن رشيد وابن أخيه محمد بن عبدالله بن رشيد الذي أصبح فيما بعد سيد الجزيرة بعد قيام الفتنة في بيت آل سعود بعد موت الإمام فيصل. والذي أدى بآل رشيد دخول هذا النزاع هو العداء المستحکم بين أسرة آل رشيد وزعماء منطقة القصيم وبخاصة آل سليم. وتمركزت قوات فيصل فيما بين عنيزة وبريدة في وادي الرمة فأخذت تحرب وتقطع نخيل المتمردين مما أدى إلى نشوب معركة قوية بين الطرفين اندحرت فيها قوات فيصل وهرب ابنه محمد إلى معسكره في الوادي. ولولا العوامل الطبيعية كنزول المطر في المنطقة الذي أطفأ سلاحهم لأنه من الفتيل لكانت النتيجة وخيمة على قوات فيصل. إلا أن محمد جمع قواته من جديد ونظمها وقام بهجوم معاكس ضد المتمردين قتل منهم هذه المرة أكثر من ٤٠٠ رجل وفر باقي المتمردين من المعركة ولحقت القوات بالتمردين وحاصرتهم في بلدة عنيزة وأمكنت تخريباً في المناطق المجاورة وقطعت الكثير من نخيل المنطقة. وقد جاءت إمدادات عسكرية قوية من فيصل بقيادة ابنه عبدالله فشددت في حصار عنيزة وضربت بالمدفعية مما اضطرها إلى التسليم بعد أن قبلت شرط فيصل وهو أن يذهب عبدالله بن يحيى زعيم المتمردين إلى الرياض ليؤدي فروض الطاعة لسيده فيصل^(١). وهكذا انتهت ثورة عنيزة التي كانت ردّاً على ثورة بريدة. وعين محمد بن أحمد السديري حاكماً على منطقة القصيم. وكانت أسرة السديري من عرب الدواسر ومن المخلصين للحكم السعودي^(٢).

ولم تكن الحالة في المناطق الجنوبية بأهدأ من مناطق الشرق والشمال الغربي. وإليك صورة عن الوضع السياسي في هذه المنطقة من مملكة فيصل. والحقيقة أن هذه الاضطرابات أو الفوضى لم تكن إلا نتيجة حتمية للمجتمع البدوي الذي يقطن بالجنوب فالاضطرابات كانت نتيجة للتنافس بين زعماء القبائل وبالتالي كانت تنتقل إلى

(١) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ١١، ١٢.

(٢) Philby, Arabia Jubilee, p.271.

أفرادها، أو لخلافات قبلية بين قبيلة وأخرى مجاورة، أو لعدم دفع الزعماء المحليين الزكاة المستحقة عليهم للدولة. لذا كانت جميع هذه الأسباب مستوحاة من البيئة الصحراوية والعادة البدوية والقبلية. وبذا فقد انشغل فيصل في إحلال الأمن في منطقة الجنوب بعد أن أعاد الأمن في ربوع المنطقة الشرقية^(١).

ففي عام ١٨٤٤م (١٢٦١هـ) حدثت خلافات في الأفلاج فسار إليها فيصل ومعه محمد بن مقرن رئيس منطقة الأفلاج وعبد العزيز آل محمد رئيس منطقة القصيم، وكادت الفتنة أن تأخذ مجراها لولا تدخل فيصل وقواته التي انجذبت إلى الجنوب فأخضعت الفتنة ونزل الإمام في ليل وأتاه رؤساء البلدان وأعلنوا ولاءهم له وحبس أهل الخلاف وعاد إلى الرياض^(٢).

وفي نفس السنة حدثت فوضى وخلافات في بلدة الشطبة إحدى بلدان الجنوب فأرسل لها فيصل المقيم في منطقة الأفلاج وقتذاك، قائده سليمان بن منديل ومعه فرحان بن خير الله، فاستطاع هذا القائد أن يحاصر المتمردين في البلدة، ولجأ إلى هدم بعض البيوت وقطع عدد من نخيل البلد ليضطر الأهالي إلى طلب الصلح. وهكذا أعاد هذا القائد الأمن في المنطقة^(٣).

وحدث تمرد آخر في بلدة السبيح في الجنوب فأرسل فيصل أخاه جلوي بن تركي وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم لإخضاعها، مما أدى إلى حدوث مناوشات بين الطرفين لأن المتمردين تصدوا للقوات الزاحفة وقاوموها. وأخيراً وقع صلح بين الطرفين وعادت الأمور على أثره إلى مجراها الطبيعي^(٤).

امتداد الحكومة السعودية الثانية في عهد فيصل:

لا بد من أن نلقي ضوءاً على حدود مملكة فيصل بن تركي، إذ لم تكن وقتذاك

(١) Winder, Saudi Arabia in The Nineteenth Century, p. 153.

(٢)، (٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٨، ١١٩.

(٤) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٨، ١١٩.

حدود بالمفهوم السياسي الحديث ..

وخير ما يبين لنا حدود الدولة من الشرق ما جاء في تقرير اللفتاننت كولونيل لويس بلي "Lewis Pelly" الذي تسلم منصب معتمد بريطانيا في الخليج العربي، فجاء إلى بندر «بوشهر» وقضى فيها مدة تسع سنوات كان له دور فاعل في مسرح الأحداث السياسية في المنطقة. وسنوضح الغاية التي من أجلها زار عاصمة فيصل (الرياض) في بحث العلاقات الخارجية في عهد فيصل وقد زار بلي الرياض في شهر مارس ١٨٦٥م (شوال ١٢٨١هـ)، في أواخر عهد الإمام فيصل الذي توفي في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢هـ، أي بعد حوالي سبعة أشهر من وصول هذا المعتمد إلى الرياض^(١).

لقد ذكر بلي في تقريره، أن الدولة السعودية تسيطر على الساحل الغربي من الخليج وساحل عمان، وكانت تأخذ الزكاة العينية أو النقدية من شيوخ البحرين وأبوظبي ودبي وأم القيوين والعجمان والشارقة ورأس الخيمة، ولها مركز حربي في البريمي الممتدة بين المشيخات المذكورة وبين سلطنة مسقط التي بدورها تدفع الزكاة للأمير فيصل^(٢).

ويبين التقرير أن فيصل حدد حدود دولته الشرقية فشمّل القسم الشرقي من بلاد العرب، من الكويت إلى رأس الخيمة ورأس الحد «وأن أرض العرب الممتدة من الكويت إلى القطيف ورأس الخيمة وعمان ورأس الحد وما وراءها هي أرض منحنا الله إياها»^(٣)، وتعرض فيصل لمسقط فقال أن مسقط تدفع لنا (الزكاة) وقد أخذناها بقوة السلاح، وأن سلطان مسقط السابق سعيد بن سلطان يفهم هذا وكان يقوم بها يجب عليه.. لكن ثويني يختلف عنه وسوف يدفع الزكاة بالقهر^(٤). ويشير التقرير إلى أن

(١) أمين السعيد، الدولة العربية السعودية، الجزء ١، ص ١٦٥.

(٢) India, Pelly (Lewis), Report on a Journey to the Wahabee Capital of Riyadh, p.70.

- تذكر المصادر الأجنبية أن الأموال التي كانت تأخذها الدولة السعودية كانت تسميها جزية.

(٣) Pelly's Report, p.51.

(٤) Pelly's Report, pp.51-52.

فيصل كان دائماً يتكلم بلغة الجمع معتبراً أن جميع المناطق الشرقية من جزيرة العرب تدخل ضمن حدود دولته .

وجاء في التقرير أيضاً، أن جميع الأطراف الشرقية اعترفت بعدالة حكم فيصل وشدته، وأن حكمه هذا لم يسبق له مثيل في النجاح يكبح جماح قبائله، ويود أن تسود بينهم عادات المتحضرين، ويوجه أفكارهم نحو الزراعة والتجارة^(١).

وأما حدود المملكة من الشمال فقد وصلت إلى صحراء النفوذ وبذلك ضمت جبل شمر الذي كان حاكمه عبدالله بن رشيد، ووصل هذا الجبل في عهد هذا الحاكم الشمري إلى حد الاستقلال مع احتفاظه بالتبعية السياسية للحكومة فيصل وذلك بدفع الزكاة لها^(٢).

وأما من الجنوب فقد تقرر الحدود بما أملتة الطبيعة إذ أن صحراء الأحقاف (صحراء الربع الخالي)، وشمال شرق عسير تحدد الدولة من الجنوب، وكثيراً ما كانت تثار منطقة عسير ضد الدولة العثمانية أو دولة محمد علي في مصر وتربط مصيرها بفيصل كما ذكرنا في الفصل الثاني .

وأما حدود الدولة من الغرب فيمكن تعيينه بحواجز جغرافية كجبل حضن الذي يفصل بن نجد والحجاز، أي ما تنتهي إليه حدود منطقة القصيم من الغرب، وإذا جرت القصيم فأنت في نجد - والقول السائد في نجد والحجاز - من رأى حضنا فقد أنجد^(٣).

(١) Pelly's Report, p.150.

(٢) Winder, op. cit., p.149.

Dickson, op. cit., p.124. -

(٣) محمود الألوسي، تاريخ نجد، ص ٨، ٩.

- أمين الريحاني، نجد وملحقاته، ص ٢١، ٢٢.

ومن هنا يذكر دي جوري De Gaury أن الدولة السعودية زمن فيصل وصلت الى مسافة بعيدة أكثر مما وصلت اليه دولة ابن سعود في الحدود الحالية أي حدود ما قبل الحرب العالمية الأولى -، وهذا ما كان يفتخر به عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عندما كان يتحدث مع دي جوري^(١).

وعبر أحد أفراد أسرة آل رشيد، ضاري بن رشيد في مخطوطته، نبذة تاريخية عن نجد عن امتداد حدود دولة فيصل بقوله: «استقر الملك لفيصل وجبى نجد كلها وعمان والأحساء والقطيف وقطر»^(٢).

وفي مقال لسليمان الدخيل في مجلة لغة العرب تحت عنوان «أمراء آل سعود في جزيرة العرب» حدد دولة فيصل من الغرب بمناطق قبيلة حرب النازلة ما بين المدينة المنورة والرياض، ويذكر ان بلاد عسير كانت تتبع اسمياً للدولة السعودية وقتذاك. ومن الشمال فإن آخر حدود الدولة هي حدود جبل شمر وهذا طبعاً ينتهي بصحراء النفود المحيطة بالمنطقة من الشرق والشمال. ومن الشرق تحد الدولة نهاية حدود الأحساء والحفر وعمان والقطيف والى ديار آل ثاني في قطر وآل خليفة في البحرين. ومن الجنوب يحدها صحراء الربع الخالي^(٣).

وهكذا كانت حدود الدولة السعودية الثانية في الستينات من القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري)، والواقع فان هذه الدولة لم تصل في امتدادها ما وصلت اليه الدولة السعودية الأولى، وبخاصة زمن الإمام السعودي سعود الكبير. إذ أن الدولة السعودية الأولى كانت قد شملت نجداً وشمر والأحساء والقطيف وعمان وعسير والحجاز، وغزت العراق وسوت مشهد الحسين بن علي في كربلاء، كما أغارت على بلدان الزبير وسوق الشيوخ والبصرة، ووصلت في غزوها أرض الشام بالجوف

(١) De Gaury, Arabian Journey and other Desert Travels, p.29.

(٢) ضاري بن رشيد، نبذة تاريخية عن نجد، ص ٨.

(٣) مجلة لغة العرب، «تحت عنوان، أمراء آل سعود في جزيرة العرب» لسليمان الدخيل، الجزء الخامس السنة الثالثة شهر ذي الحجة ١٣٣١م/ تشرين الثاني ١٩١٣م، ص ٢٩٨.

والبتراء وحوران والكرك وتعدت ذلك حتى أن طلائع جيوشها وصلت الى مدينة نابلس في فلسطين^(١).

هذا وقد خضعت قبائل سبيع والعمور والسهول وشمر والعجمان ومطير وبرية وحرب وعنزة وآل مرة وقحطان وعتيبة والدواسر لنظام تحالفي (كونفيدرالي) إذ أن هذه القبائل تشترك في الدين والعادة واللغة والآمال، وتدافع كمجموعة عن كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي^(٢).

وقد حددت مسؤولية هذه القبائل تجاه السلطة المركزية في الرياض، فكان عليها أن تدفع الزكاة العينية أو النقدية، عدا ما تقدمه من خيول ومساعدات أخرى للحاكم السعودي. وكان موعد دفع هذه الزكاة في وقت الموسم تؤخذ من التمر ومن منتجات الارض، ومن الابل والغنم والخيول التي ترعى في المراعي العامة^(٣).

وقد حددت علاقة القبائل بعضها ببعض كما حددت علاقتها بالسلطة في الرياض وكان ذلك يسير ضمن شروط منها:

أولاً : يحق للقبائل المتحالفة أن ترعى في مراعي الدولة، ولكن لا يحق لها أن ترعى في مراعي القبائل الخارجة عن نطاق التحالف والتي لا تخضع للدولة.

ثانياً : على القبائل المتحالفة مع الحاكم السعودي ألا تعتدي على قبائل ذات علاقة حسنة مع هذا الحاكم، ولو أن هذه القبائل كانت غير متحالفة مع القبائل المحالفة للحاكم.

ثالثاً : على القبائل المتحالفة أن تقدم العون والمساعدات العسكرية لبعضها البعض في حالة هجوم العدو على إحداها.

رابعاً : اذا حدث بين هذه القبائل المتحالفة أي خلاف فمرده الى الحاكم في الرياض

(١) Kelly, Eastern Arabian Frontiers, pp. 54-55.

- أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٦٦، ص ٧٠.

(٢) Pelly's Visit to Wahabee Capital, p.186.

(٣) Pelly's Visit to Wahabee Capital, p.187.

وإذا اعتدت هذه القبائل على غيرها من القبائل الداخلية في التحالف فانها تعرض نفسها لعقوبات الامام بالتعاون مع قبائل الحلف المذكورة^(١).

وبهذا النوع من العلاقات العامة التي كانت تسود القبائل من جهة، والدولة من جهة أخرى، قل ما تنعدم فيها حالات الفوضى والاضطراب والقلق، وهذا ما يفسره لنا ما ذكرناه سابقا من حوادث الفوضى وحالات التمرد التي كانت تقوم بها القبائل عند تحدثنا عن مرحلة التوطيد الداخلي في عهد فيصل.

أما بالنسبة لاقليم جبل شمر التي كانت حايل مركزا له ورئيسه عبدالله بن رشيد، فقد دفع الزكاة، وقدم المساعدات العسكرية للامام عند الطلب والحاجة وكان هذا الاقليم أشبه بكورة مستقلة استقلالاً ذاتياً ترتبط بالرياض بعامل الزكاة والدفاع المشترك^(٢).

وهناك قبائل وامارات على حدود الدولة لا تخضع لسيادتها ولكنها تدفع الزكاة للامام، ويعود ذلك إما لحفظ حدودها من غزو الجيوش السعودية وبالتالي ضم أملاكها، أو دليلاً على قبولها الطاعة الاسمية للدولة نتيجة قوتها، وإما لحروب وقعت بينها وبين الدولة اندحرت فيها هذه القبائل أو الامارات فدفعت الزكاة مرغمة. وخير دليل على هذا ما كانت تأخذه الدولة السعودية من سلطنة عمان على ساحل الخليج العربي ومن مشيخات الساحل وقطر والبحرين.

وبما أن للحدود علاقة بالزكاة، لذا كان علينا أن نضع جدولاً يوضح مقدار الزكاة التي كانت تؤخذ من القبائل والامارات والمشيخات المجاورة، وهذا ما سيرد ذكره في الفصل السابع من هذا البحث تحت موضوع النظام المالي في الدولة السعودية الثانية.

وقد استطاعت دولة الامام فيصل أن توطد دعائم الأمن في جميع ربوع البلاد التي شملتها الدولة السعودية الثانية، ما عدا بعض حالات الفوضى والقلق التي كان

لا بد ان تقوم في مثل هذه البلاد الواسعة الأرجاء وفي مثل هذا المجتمع البدوي القبلي الذي يسير حسب أنظمة وعادات عشائرية .

ويذكر بولجراف Palgrave أن القوافل كانت تجتاز بلاد القصيم وتسير الى سدير والوشم وجميع أقاليم نجد الأخرى وهي آمنة ، ويعود هذا الى شدة الحاکم السعودي الذي كبح جماح البدو وتعدياتهم ، وكان التجار والحجاج يسرون بقوافلهم في ربوع البلاد في أمن وسلام^(١).

زيارة بولجراف Palgrave للرياض :

كان لحيوية فيصل ونشاطه الأثر البعيد في تكوين الدولة السعودية الثانية وفي استتاب الأمن والهدوء والإستقرار في عامة البلاد السعودية ، وبهذا تمتعت البلاد بقدر ملحوظ من الرخاء .

وكانت زيارة بلجراف للرياض في عام ١٨٦٣ م (١٢٨٠ هـ) أي قبل وفاة الامام فيصل بن تركي بحوالي سنتين فقط . وبولجراف هذا ، هو وليم بولجراف ابن فرنسيس . بولجراف ، وهو حالة انجليزي مشهور ، عمل في بداية حياته ضابطاً بالجيش الهندي ، ودرس اللغة العربية بالهند . ويذكر عنه الريحاني انه من اسرة عبرانية تدعى كوهن ثم اعتنق المسيحية وغدا أباً يسوعياً ثم سياسياً ملحداً ، وكان يلقب بالاب ميخائيل^(٢) .

ولما كان نابليون الثالث إمبراطور فرنسا مهتماً بكشف خبر جزيرة العرب ، وبحاجة الى شراء خيول من أصول عربية لجنوده ، عثر هذا على بلجراف الذي كان يرغب في القيام برحلة الى جزيرة العرب ليكشف عن حقيقة الوضع فيها^(٣) .

(١) Palgrave, Narrative of A Year's Journey, vol.2.

(٢) أمين الريحاني ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

- أحمد عبدالغفور عطار ، صقر الجزيرة ، مجلد ١ ، في هامش ص ٧٢ .

(٣) أحمد عبدالغفور عطار ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .

لقد طبع بولجريف زيارته هذه بالطابع العلمي ، متخذاً مهنة الطب وسيلة من وسائل التقرب ، ولكن غرضه الأول والأساس هو الدراسة السياسية والكشف عن مجالات الامتيازات في جزيرة العرب ، وذلك لحساب فرنسا ، كما جاء من قبله بخمسين سنة باديا إي لبلخ الذي أطلق على نفسه اسم علي بيك ، وهو اسباني الاصل ، زار بلاد العرب وكان يعمل جاسوساً لنابليون الأول^(١) . ويذكر أحمد عبدالغفور عطار أن بولجريف هذا جاء متنكراً بزي تاجر سوري^(٢) ، وذلك من اجل ان يخفي مهمته الأولى وهي التجسس .

زار بولجريف معظم أقاليم الدولة السعودية الثانية «كجبل شمر والقصيم وباقي مناطق نجد والأحساء وبعض مناطق الخليج» . وكتب ما شاهده وسمعه في رحلته هذه ، فكانت كتاباته خير معين لنا لدراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وأحيانا السياسية في الدولة السعودية الثانية .

أقام بولجريف في الرياض مدة ٥٠ يوما ، اجتمع برؤساء الدولة السعودية كالامام فيصل بن تركي وأبنائه عبدالله وسعود ومحمد وعبدالرحمن ، وبكاتبه وأكبر رجال حاشيته محبوب بن جوهر وعدد من رجالات الحكم في الرياض ، وكان قد اجتمع من قبل بزعماء جبل شمر من آل رشيد وبرؤساء إقليم القصيم كأميري بلدتي بريدة وعنيزة فيها . لذا فقد احتك بالمسؤولين وكانت كتاباته أكثرها مستقاة من ألسنة الرسميين في البلاد .

وعلى أي حال فان زيارة بولجريف هذه كانت تصادف دور الشيخوخة بالنسبة لحاكم الدولة ، فيصل بن تركي الذي بلغ عندها عمرا يزيد على السبعين عاما ، وفيها فقد بصره وسلم الحكم دون التنازل عن الامامة لابنه وولي عهده عبدالله .

وجاء وصف بولجريف عنيفا على الدولة السعودية ، فاحيانا اتهمها بالتزمت

(١) أمين الريحاني ، المرجع السابق ، ص ١٣ وكذلك ٩٧ .

(٢) أحمد عبدالغفور عطار ، المرجع السابق ، مجلد ١ ، ص ٧٢ .

وأحيانا بالفوضى ، ومع هذا فقد انصف حاكم البلاد حين ذكر عنه أنه اتصف بالشدة والعدل ، لذا استتب الأمن في ربوع البلاد ، وأثبت أحيانا في كتاباته أن الدولة السعودية الثانية كانت دولة منظمة ، وذات قوة عسكرية ، ولها حدود معينة نوعا ما . وأوضح أن العامل الديني والوطني كانا من أهم الاسباب التي دعت أهالي نجد لمقاومة الحكم الاجنبي^(١) .

وأخيراً اكتشف أمر بولجريف ، فدعاه عبدالله بن فيصل نائب الإمام لمقابلته في ديوانه ، وكان بحضور رجال من كبار الدولة كمحسوب بن جوهر وغيره ، فقال له عبدالله «أنت جاسوس علينا . وأنا أعرف حق المعرفة من أنت ، هل أنت طبيب؟ لا ، إنك جاسوس مسيحي من المفسدين جئت لتفسد علينا ديننا وسوف تنال عقابك الموت»^(٢) .

وكان محبوب بن جوهر يشك في أن زيارة بلجريف هذه جاءت من قبل الحكومة الخديوية في مصر لأن الحكم في نجد كان دوماً يتخوف من ولاية مصر ، ويبدو أن ذلك يعود الى العلاقات الحربية التي حدثت بين الدولة السعودية وبين مصر . وعلى كل حال فكان لهذا الاتهام أثر كبير في نفس بولجريف ، لذا كانت كتاباته لاتخلو من انتقادات لاذعة للموحدين وللحكم السعودي في البلاد .

زيارة لويس بلي للرياض :

قبل أن أشرع في الكتابة عن رحلة اللفتاننت كولونيل لويس بلي الى الرياض في ربيع عام ١٨٦٥م ، أود هنا أن أشير الى الأمرين التاليين :

١ - أن هذه الدراسة هي حلقة من سلسلة حلقات دراسية لاحقة تختص بالدراسة حول رحلات الأجانب الغربيين الذين قاموا برحلات وزيارات الى جزيرة العرب في فترات زمنية مختلفة .

(١) Palgrave, op. cit., vol.2. pp. 192-193.

(٢) Palgrave, ibid., vol. 2 p.119.

٢ - أنه هنا إلى أن هذه الدراسة هي دراسة تاريخية تحليلية وثائقية بعيدة كل البعد عن التعصب، وعن كل ما من شأنه أن يسيء إلى الأسلوب العلمي. لأن القصد من هذه الدراسة يتركز أساساً في الكشف عن الحقيقة التاريخية.

أهداف الدراسة:

لابد من وضع الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة، وهي في اعتقادي تتركز في الأمور التالية:

- معرفة المرمى والغاية التي كانت ترمي إليها أوروبا من جراء قيامها بمثل هذه الرحلات التي جاءت إلى جزيرة العرب في فترات زمنية مختلفة، وإلى جهات متعددة من أرض الجزيرة.
- التعرف على الأساليب المتعددة التي اتخذها الغرب الأوروبي من أجل الوصول إلى بناء قواعده الاستعمارية في الشرق.
- رسم صورة واضحة للعقلية الأوروبية، وللطريقة التي كانت تفكر بها أوروبا. ومن خلال هذه الصورة يمكننا رسم الخطة الناضجة التي تصلح لأن تكون أساساً صحيحاً للتعامل.
- معرفة عوامل الشد التي كانت ومازالت تجذب أوروبا نحو ربوع الجزيرة العربية، وعلى مر العصور التاريخية المتعاقبة، قديمها وحديثها ومعاصرها.

العوامل التي شدت أوروبا نحو جزيرة العرب:

ظلت أوروبا بدولها ومؤسساتها وجمعياتها المختلفة تتسابق في الوصول إلى أرض الجزيرة العربية. وكانت بذلك مدفوعة بعدة عوامل أهمها:

أن الجزيرة العربية هي المهد الأول للإنسانية التي شكلت فيها بعد أعظم بوتقة حضارية إنسانية شرقية قديمة في بلاد الشام وأرض الرافدين وفي جهات أخرى.

إن الجزيرة العربية تتمتع بمركز استراتيجي دولي هام يربط الشرق بالغرب. فمياه الخليج العربي والبحر الأحمر ترتبطان بمياه المحيط الهندي، وهما كذلك يربطان المحيط الهندي بأوروبا. وعن طريق ممراتهما المائية يمكن لأوروبا أن تصل إلى بلاد الشرق، حيث أفاءة الهند وحرير الصين. وإلى بلاد أفريقية، حيث العاج والمعادن. وبواسطة البحار الداخلية هذه تستطيع أوروبا أن تستورد البخور والعطور من بلاد العرب.

إن جزيرة العرب هي المهد الأول للرسالة المحمدية. وإن أوروبا تتلهف لمعرفة الكثير عن هذه الرسالة وعن الجماعة التي آمنت بها وحملتها ونشرتها خارج جزيرتها وأوروبا تواقه لمعرفة الشعائر الدينية التي تؤدي في مناسك الحج والعمرة. وهي بذلك حريصة كل الحرص لمعرفة الأرض التي خرج منها الاسلام. وهي بحاجة إلى سجل عام ومفصل يكتبه رجالها بعد قيامهم بزيارات للمنطقة، يحكي لهم قصة الاسلام ويعرفهم على حملته، كي تستطيع أوروبا من خلال هذه المعرفة وتلك الدراسة ان تعد على ضوئها احتمالات المستقبل.

وكما أن العالم القديم (الامبراطوريات القديمة) تتسابق في الوصول الى أرض الجزيرة العربية لأهميتها الاقتصادية ولاستراتيجيتها. فإن العالم الحديث أصبح لا يقل - بحال من الأحوال - اهتماما بها بعد اكتشاف البترول في مطلع القرن العشرين الميلادي. وبهذا الاكتشاف البترولي الخطير في المنطقة ازدادات أهمية الجزيرة العربية الاقتصادية والاستراتيجية. بعد أن عمت الجزيرة العربية نهضة اقتصادية عارمة أثرت - إلى حد كبير - على الأوضاع بما في ذلك الاجتماعية والثقافية في جزيرة العرب. وقد أدى هذا التغيير الكبير الى قيام تنافس وصراع دولي شديد غايته الوصول الى أكبر قدر ممكن من الامتيازات البترولية والاقتصادية الأخرى.

رحلة بلي أهدافها:

قبل كل شيء علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن رحلة بلي كانت في المحل الأول تخدم الأغراض السياسية الانجليزية في المنطقة . وهي في واقع الأمر حلقة من حلقات التنافس الانجليزي الفرنسي في الشرق .

نحن نعرف أن التنافس الانجليزي الفرنسي الذي هو فرع من التنافس الأوربي كان قد اتخذ شكل تنافس اقتصادي سياسي بين الشركات الأوربية التجارية في الشرق، متمثلا في شركة الهند الشرقية الانجليزية وشركة الهند الشرقية الفرنسية وشركة الهند الشرقية الهولندية . والجدير بالذكر أن التنافس الفرنسي اتخذ طابعا سياسيا أكثر من الطابع التجاري^(١).

اتخذت الاستراتيجية الفرنسية مبدأين لضرب إنجلترا عدوتها التقليدية في مستعمرتها في الهند . وكان المبدأ الاستراتيجي الأول هو: الوصول الى البحر المتوسط والسيطرة الاستعمارية على أقطاره التابعة وقتذاك الى الدولة العثمانية المتداعية . والمبدأ الثاني هو: الوصول الى البحار الداخلية لجزيرة العرب، وبالتالي الوصول الى مياه المحيط الهندي ثم الى الهند، اكبر المستعمرات الانجليزية في الشرق . وكانت فرنسا قد رسمت مخططا سياسيا كبيرا لمد نفوذها من أوروبا الى بلاد الشرق . ورأت أن البحر المتوسط هو مفتاح البحار الداخلية . كالبحر الاحمر وبحر العرب والخليج العربي . ورأت كذلك ان البحار الداخلية هذه هي مفتاح المحيط الهندي الذي هو مفتاح الهند . لذا فإن مفاتيح الهند موجودة في البحر المتوسط .

والذي يهمننا الحديث عنه هو المبدأ الثاني أو ما أسميه «استراتيجية الوصول الى الهند في الشرق» عن طريق ضمان البحار الداخلية والسواحل والمنافذ في جزيرة العرب .

(١) انظر : دكتور أحمد مصطفى أبو حاكم، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، معهد البحوث، القاهرة، ١٩٦٨ م، تحت عنوان التنافس الأوربي التجاري .

وقد بلغ التنافس الانجليزي الفرنسي أشده وذروته في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . وزاد التنافس هذا عندما أحست انجلترا بخطر التعامل التجاري القائم بين مسقط والمستعمرتين الفرنسيتين في المحيط الهندي ، موريشيوس Maurishius وبوربون Bourbon . واعتبرت بريطانيا أن مثل هذا التعامل - ولو كان تجاريا - يجعل من مسقط وكرا ومركزا للجاسوسية الفرنسية ضد مستعمراتها في الهند^(١) . وقد عبر المستر سميث Smith الوكيل الانجليزي لشركة الهند الشرقية الانجليزية عن هذا الموقف في رسالته الموجهة الى حكومته في الهند عام ١٧٩٨م يقول فيها ؛ «ان مسقط ستصبح قريبا مركزا من مراكز الجاسوسية الفرنسية . لأن خمس أو ست سفن عربية (من سفن مسقط) تقوم بنقل التجارة بين موريشيس ومسقط وساحل ملبار، ولاشك أن نقل الأنباء سيكون مورد ربح للبحارة العرب»^(٢) .

وفي نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين أصبحت حكومة فرنسا بحاجة ماسة وملحة الى ايجاد قواعد فرنسية في منطقة الشرق لتكون بمثابة مراكز استطلاعية ضد الانجليز في الهند . ولتكون هذه المراكز قواعد فرنسية تراقب التحركات العسكرية الانجليزية على طول طريق المواصلات الامبراطورية الانجليزية في الشرق»^(٣) .

وبعد هذا العرض السريع للتنافس الانجليزي الفرنسي في الشرق نعود الى أهداف رحلة اللفتاننت كولونيل لويس بلي الى الرياض . ويمكننا وضع هذه الأهداف في شقين :

الأول : ويضم الأهداف السياسية للرحلة وهي في إعتقادنا تأتي في المحل الأول من جملة الأهداف للرحلة .

(١) دكتور صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٦٥ م ، ص ٦٨ .

(٢) د . صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٥ م، ص ٦٨

(٣) Adamyiat (Feredoun), Bahrein Island, New York, 1955, p.40.

الثاني : الأهداف العلمية وهي في إعتقادنا تأتي في المحل الثاني بالنسبة للأهداف الرئيسية التي قامت من أجلها رحلة بلي .

الشق الأول من الأهداف :

أخذت إنجلترا في الخليج العربي تشعر وتحس بأنها تجاور دولة وطنية قوية ، هي الدولة السعودية الثانية التي يرأسها حاكم سعودي قوي هو الامام فيصل بن تركي . وتأسيسا على هذا الموقف رأت إنجلترا ضرورة ايجاد علاقة صداقة وود بينها وبين هذه الدولة التي تمتد بحدودها الشرقية الى مياه الخليج العربي ، ولها سلطة قوية ونافذة على معظم شيوخ القبائل في المنطقة الشرقية .

رأى لويس بلي المقيم السياسي في الخليج أن يقوم بزيارة الى قلب جزيرة العرب ، حيث الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية . من أجل إجراء محادثات سياسية مع الامام فيصل بن تركي ومع المسؤولين الرسميين السعوديين هناك ، وذلك لدراسة :

- مدى إمكانية دعم العلاقة مع هذه الدولة .

- وإلى حل مجموعة الخلافات القائمة بين الموظفين السعوديين الرسميين في الخليج وبين المقيم السياسي الانجليزي فيه . تلك الخلافات التي كانت تنجم عن تدخل بريطاني في الشؤون الداخلية لمشيخات الساحل ومسقط وبعض الأجزاء الساحلية الأخرى في المنطقة^(١) .

- وإلى بحث مسألة القرصنة التي كانت تمارس في الخليج ، وكذلك أعمال السلب والنهب التي كانت تتعرض لها السفن الانجليزية وغيرها في المنطقة .

(١) انظر : أمين سعيد ، الدولة العربية السعودية ، مجلد رقم ١ ، بيروت ، ص ١٦٥ .

- وإلى بحث مسألة تجارة الرقيق التي كانت تمارس بشكل واسع .

كانت إنجلترا ترى أن الدولة السعودية الثانية برئاسة إمامها القوي فيصل بن تركي تستطيع القيام بدور فعال في هذا المجال . فيقول الكولونيل بلي «لقد شعرت جازماً إذا ما تمكنت من إقامة علاقات مع حاكم كفيصل ، فإننا نتوقع فائدة من نفوذه مع رؤساء الساحل . ولن نخشى أن هذا النفوذ سيبدل في إتجاه لا يتوافق والاتجاه»^(١) .

ويقول كذلك : «ان حكومة بريطانيا تفضل أن ترى القبائل العربية في الجزيرة العربية تعيش بسلام ورخاء في حدود مناطقها وتحت زعامة حكامها المحليين»^(٢) . ونلاحظ من هذا القول أن بريطانيا كانت تغذي مفهوم الوحدات السياسية المستقلة التي استطاعت بريطانيا بطريقة أو بأخرى أن توقع معها معاهدات بواسطتها حصلت بريطانيا على مجموعة من الامتيازات : كإنشاء وكالات تجارية وسياسية منها . وكحصولها على تعهد من الحكام المحليين لهذه الوحدات السياسية بعدم السماح للسفن الفرنسية بالنزول الى موانئ هذه الوحدات في أوقات الحرب . وكحصولها على موافقة هؤلاء الشيوخ على قطع علاقاتهم مع فرنسا . والملاحظ هنا أن جميع هذه الإجراءات والادعاءات البريطانية كانت تدخلها بريطانيا في قائمة اسلوب سياسة حفظ التوازن في المنطقة» . مع العلم أن بريطانيا كان يهيمها من كل هذا ان تظل مصالحها الاقتصادية والسياسية بعيدة تماماً عن قبضة الدول الأوروبية وغيرها المنافسة لها في الشرق . ولهذا فان موضوع السلام والرخاء الذي أشار اليه بلي ما هو الا موضوع «حفظ التوازن المصلحي» الذي تنشده بريطانيا من وراء وجودها في الخليج وجنوبي جزيرة العرب . ومن خلال هذا الادعاء وتلك الاجراءات فان بريطانيا كانت تحاول تطبيق مبدأ الوصاية على منطقة الخليج العربي والأجزاء الاستراتيجية الأخرى ذات الفائدة لها في جزيرة العرب .

(١) انظر التقرير الذي رفعه اللفتاننت كولونيل لويس بلي إلى حكومة بريطانيا في الهند عام ١٨٦٦ م . وقد طبع هذا التقرير تحت اسم :

India, Pelly (Lewis,) Report on a Journey to the Wahabee Capital of Riyadh in Central Arabia. (Bombay printed for Government at Education Society Press, Byculla, 1866, p. 70.

(٢) من التقرير نفسه .

أما بالنسبة لأهداف الرحلة السياسية من وجهة النظر الرسمية السعودية فإن الوثائق السعودية تشير إلى أن مجيء بلي إلى الرياض كان من أجل حصوله على مراكز استراتيجية في الساحل الغربي للخليج العربي، التابع للدولة السعودية الثانية كالدمام أو العقير مثلاً. وهذا ما عبرت عنه رسالة الامام عبدالله بن فيصل بن تركي التي وجهها إلى خديوي مصر اسماعيل يقول فيها عن سبب رحلة بلي «كي نعطيه مركزاً في ساحل البحر، إما البحرين أو الدمام أو بعض القطع غيرها»^(١). وتذكر الرسالة أن الدولة السعودية الثانية رفضت مطلبه هذا. فتقول الوثيقة المذكورة «... وقد تعذرنا ورجعنا عليه هديته، حيث ان هذه الاماكن في يدنا من الممالك المحروسة الراجعة الى خليفة رسول الله السلطان نصره الله»^(٢). والجدير بالذكر أن اللفتانت كولونيل لويس بلي كان أثناء وجوده في الرياض قد اجتمع بالأمير عبدالله بن فيصل وبأخيه الأمير سعود بن فيصل. وتذكر المصادر التاريخية أن بلي أخذ فكرة سيئة عن الأمير عبدالله بن فيصل. وعندما خرج الأمير سعود بن فيصل على أخيه عبدالله فإن بلي كتب لحكومته أن تناصر سعوداً. وبالفعل كانت بريطانيا ومسقط وبعض مشيخات وإمارات الساحل تساعد الأمير سعوداً ضد أخيه. وهذا ما دفع الامام عبدالله بن فيصل إلى طلب العون من الدولة العثمانية عن طريق البصرة. وكانت نهاية المطاف أن احتل مدحت باشا الأحساء عام ١٨٧١م^(٣).

وهناك سبب وهدف معقول للزيارة وهو أن بريطانيا كانت ترى ضرورة إبعاد الدولة السعودية الثانية عن فرنسا. وكانت إنجلترا تحس بالتحركات السياسية الفرنسية في قلب جزيرة العرب، بخاصة عندما عرفت بالزيارة التي قام بها جيفورد وليم بولجر في G.W. Palgrave في جزيرة العرب عام ١٨٦٣م. يقول هوجارث Hogarth «كانت رحلة بلي إلى الرياض ليقدم عروضاً أكثر سخاء مما قدمه بولجر في الذي سبقه في زيارته إلى الرياض»^(٤).

(١) + (٢) من الوثيقة العربية المحفوظة ١٩ بحراً برا تركي، رقم ٢، بدون تاريخ. وهي من الإمام عبدالله بن فيصل إلى الجناب العالي إسماعيل، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Vol. I, Historical Part, 1

B, Republished in 1970, Holand, p. 1119. Pelly's Report, p. 59.

(٤) التقرير نفسه

لقد استفسر بلي من الامام فيصل بن تركي عن علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة الفرنسية. وكان رد الامام السعودي هو «انه من قبل بضع سنين تسلم رسالة من سفينة فرنسية تتعهد له بتقديم المساعدة له عند الحاجة عن طريق البحر»^(١). ويقول الامام السعكودي كذلك «انني تلقيت رسالة أخرى مماثلة تطلب مني ارسال الرد الى القنصل الفرنسي في دمشق. وكان ردي على الرسالتين بالشكر، وعبرت فيهما على أنني لا أحتاج الآن الى أية مساعدة»^(٢).

الشق الثاني من الأهداف :

لم تكن أهداف رحلة بلي مقصورة على الأهداف المذكورة آنفا. وإنما هناك مجموعة أهداف أخرى لهذه الرحلة. والجدير بالذكر أن رحلة بلي كانت قد اقترحت من قبل رئيس الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية في بومباي^(٣). إذ أن هذا الرئيس كان قد أشار على المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل بلي القيام برحلة الى قلب جزيرة العرب تخدم الاغراض التالية :

(أ) دراسة المواضع الجغرافية التي تمر بها الرحلة على طول الطريق ما بين الكويت والرياض في قلب جزيرة العرب.

(ب) التأكد من صحة المعلومات الجغرافية التي جاء بها بولجريف الذي زار جزيرة العرب قبل سنتين من زيارة اللفتاننت كولونيل لويس بلي.

(ج) كي يعطي معلومات وملاحظات عن الاحوال المناخية والطبيعية للمنطقة التي يمر بها.

(١) كان هوجارث يشغل منصب مدير المكتب العربي التابع لحكومة بريطانيا في القاهرة في فترة الحرب العالمية الأولى.

(٢) من تقرير بلي : Pelly's Report, p. 52

(٣) جاكليين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، مترجم، بيروت، ص ٣٠٤.

الإعداد للرحلة :

كان بلي موظفا بريطانيا في منصب مقيم سياسي بريطاني في بوشهر في الخليج العربي. وظل بلي في هذا المنصب مدة سبع سنوات شارك خلالها مشاركة فاعلة في الاحداث السياسية التي دارت وقتذاك في المنطقة .

وعندما قرر بلي القيام بالرحلة المذكورة أرسل رسالة الى الامام فيصل بن تركي يعلمه فيها عن رغبته في زيارة الرياض من أجل إجراء محادثات معه . إلا ان الرد تأخر . فأرسل بلي رسالة ثانية ، ولم يأت الرد كذلك . عندها توجه بلي من بوشهر الى الكويت . وهناك أرسل رسالة ثالثة ، وبعد ببضع أسابيع جاء الرد بالموافقة على الزيارة ولكن دون ان تقدم له أية تسهيلات كالمُرشدين والحراس والخدم . . الخ . وانما هي رحلة يقوم بها بلي على تعهده الخاص .

لقد أعد بلي للرحلة إعدادا لا بأس به . فاصطحب معه ثلاثة وثلاثين شخصا منهم : الدكتور الجراح W.H. Colvill واللفتنانت E. Dawes الذي كان بحارا جغرافيا عارفا في علم المساحة ، وذلك ليقوم بوضع خطوط الطول والعرض للمواضع التي تمر بها الرحلة في الذهاب والاياب . وكان معه رجل مسيحي من سكان الموصل واسمه G.lucas ليقوم بمهام الترجمة . وقد ادعى هذا انه مسلم من سكان الموصل العثماني ، وسمى نفسه عبدالله . هذا وضمت القافلة رجلين من الهنود المزارعين الذين لهم دراية في شؤون النبات والاراضي الزراعية . وكذلك فقد رافق الرحلة مجموعة من الحراس البدو ومن الخدم بالاضافة الى طاه خاص . كما أن الرحلة كانت تمتلك ثلاثين جملا ، ولم يكن لدى الجميع سوى خيمة واحدة صغيرة . هذا وقد أعدت سفينة خاصة رست في مياه قطر تنتظر قدومهم من الرياض . وبدأت الرحلة في ١٧ فبراير ١٨٦٥م ، ووصلت الى الرياض في ٥ مارس من السنة المذكورة^(١) .

(١) انظر :

Lorimer, Gazetteer of the persian Gulf, Oman and Central Arabia, Vol. 1. Historical Part, IB,

Republished in 1970, Holand, p. 119. Pelly's Report, p. 59.

ماذا حققت الزيارة ؟

ما حققته في المجالات السياسية :

نجد في التقرير الذي رفعه بلي الى حكومة بومباي مسألتين سياسيتين هامتين هما :

المسألة الأولى : هي توصل بريطانيا الى أخذ تعهد من الامام فيصل بن تركي بمنع أعمال السلب والقرصنة التي كانت تمارس في المنطقة .

المسألة الثانية : هي توصل بريطانيا الى معرفة وجهة النظر السعودية بخصوص حدودها الشرقية ، وموقفها من الشيوخ المحليين والامارات الساحلية .

مناقشة المسألة الأولى :

يمكننا القول إن المباحثات التي أجراها بلي في الرياض بخصوص أعمال الفوضى والسلب والقرصنة التي كانت تمارس في الخليج العربي ، توصلت الى :

«تعهد من الامام فيصل بن تركي بمعاينة كل من يقوم أو يمارس أعمال السلب والقرصنة في كل من مينائي الدمام والعقير السعوديين . وحرصا على سير الامور في إطارها الصحيح فإن الامام السعودي طلب من بلي أن يتصل به مباشرة في حالة وقوع حوادث تؤدي الى تعكير صفو السلام في المنطقة»^(١).

وبلاحظ من جملة المعلومات التي وصلتنا عن الرحلة أن اختلافا وقع حول مسألة توقيع معاهدة بين السعودية وبريطانيا بهذا الخصوص . ولم تعثر يدنا على معاهدة مكتوبة موقعة تثبت هذا التعهد مع أنه في الواقع كان قد حدث ولو شفويا لأن الدولة السعودية

(١) التقرير نفسه .

آنذاك كانت حريصة على أن يسود السلام والأمن والرخاء في المنطقة . وهذا ما يذكره لنا التقرير الذي يصف حكم الامام فيصل بن تركي بقوله «إن جميع الأطراف الشرقية اعترفت بعدالة حكم الامام فيصل بن تركي وشدته، وإن حكمه لم يسبق له مثيل في النجاح، يكبح جماح قبائله، ويود أن تسود بينهم عادات المتحضرين، ويوجه أفكارهم نحو الزراعة والتجارة»^(١).

ويقول فليبي عن المعاهدة المذكورة إن الزيارة «ادت الى توقيع اتفاقية عربية إنجليزية لم يعثر على نصوصها في سجلات الرياض»^(٢).

وفي هذا المجال وبشأن المعاهدة المذكورة أفاد الملك عبدالعزيز آل سعود أثناء اجتماعه ومحادثاته مع الوزير البريطاني المفوض بجدة في الجلسة الثانية في يوم أول ربيع الثاني من عام ١٣٥٣هـ، أفاد أن هناك معاهدة موقعة بين بلي والدولة السعودية في عهد الامام فيصل بن تركي . فيقول الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - «ثم انه سبق أن كان بين جدي فيصل وبين مندوب الحكومة البريطانية وممثلها في الخليج الفارسي الكولونيل بلي معاهدة . . ولم تنته مدتها الا قبل سنتين، فلتخرجها الحكومة البريطانية من خزائنها، ولنعمل بموجبها، وهي قبل اتفاقها المزعوم مع الحكومة التركية»^(٣).

أما تقرير الكولونيل بلي فيفيد بأن محبوب بن جوهر أحد أفراد حاشية الامام فيصل بن تركي، ومن المقربين اليه، كان قد عرض على بلي مشروع معاهدة تلزم الدولة السعودية العمل على منع من يقوم بأعمال السلب ويضر بمرافق الدولة البريطانية في الخليج . الا أن بلي رفض هذا العرض لاعتقاده أنه مقدم من محبوب بن جوهر، وأعتبر هذا تصرفاً شخصياً من محبوب قام به «ليقوم على رفع الكلفة الى حد ما . .»^(٤).

(١) التقرير نفسه .

(٢) فليبي، تاريخ نجد، مترجم، بيروت، ص ٢٤ .

(٣) من عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ٣، خاص بالوثائق، وثيقة رقم ٧ من وثائق التحكيم في قضية البريمي .

(٤) من التقرير نفسه .

ويذكر التقرير كذلك بشأن المعاهدة المذكورة «إنه لم تدر أي مفاوضات مع الامام السعودي فيصل بن تركي بشأن عقد أي معاهدة أو التوصل الى تفاهم ما . وإن الامام فيصل بن تركي أعرب له عند الوداع عن رغبته في أن يرجع بلي اليه اذا ما وقعت حوادث قرصنة أو أعمال سلب وتخطيط السفن أو إغراقها في القطيف أو العقير كي ينزل أشد العقوبات بالمعتدين . كما وأن الامام طلب من بلي أن يهتم بصيانة الأمن في الخليج . وقال الامام «إن الزيارة ستصبح صفحة جديدة من العلاقات بيننا» . وقال كذلك إنه «أصدر تعليقات شديدة بذلك الى عماله في منطقة الساحل»^(١) .

مناقشة المسألة الثانية :

إن بريطانيا عرفت الموقف السعودي من عدة قضايا تهمها تماماً لأنها ذات مساس بنفوذها في منطقة الخليج العربي . فقد توصل بلي الى معرفة :
(أ) الحدود الشرقية للدولة السعودية الثانية ، وذلك من مباحثاته مع الامام فيصل بن تركي .

(ب) توصلت بريطانيا الى معرفة القبائل الساحلية التي تعتبرها الدولة السعودية الثانية من رعاياها .

(ج) عرف بلي مجموعة القبائل الساحلية التي تدفع الزكاة للدولة السعودية الثانية وعرف كذلك مجموعة الوحدات السياسية التي تدفع الزكاة للدولة السعودية المذكورة . لأن الزكاة الى جانب مفهومها الديني ، تعني التبعية السياسية الى الحكومة المركزية التي تأخذ الزكاة .

والجدير بالملاحظة هنا أن الحدود السياسية الثابتة والمحددة باتفاقيات دولية لم تكن موجودة وقتذاك في الجزيرة العربية . بل كانت حدود الوحدات السياسية تحدد على الأسس الآتية :

(١) من التقرير نفسه .

- ١ - اعتبار الحدود الطبيعية الجغرافية حدودا تحمل مفهوما سياسيا .
 - ٢ - اعتبار حدود ديار القبائل التابعة للوحدة السياسية هي الحدود السياسية لهذه الوحدة .
 - ٣ - أن البلاد التي كانت تدفع الزكاة للسلطة المركزية كانت تعتبر تابعة لها من الوجهة السياسية، وهي ضمن بوتقتها الاجتماعية، لما للزكاة من مفهوم ديني وسياسي يعبران عن العلاقة القائمة بين الذي يدفعها والذي يأخذها .
- لقد حدد الامام فيصل بن تركي دولته من الشرق حين قال : «إن أرض العرب الممتدة من الكويت الى القطيف ورأس الخيمة ورأس الحد هي أرض منحني الله اياها»^(١) . وأشار تقرير بلي الى أن الامام فيصل بن تركي كان يتكلم دائما بلغة الجمع معتبرا ان جميع المناطق الشرقية من جزيرة العرب تدخل ضمن حدود دولته الشرقية . ويقول بلي عن امتداد الدولة السعودية الثانية في الشرق إنها كانت تسيطر على الساحل الغربي للخليج العربي وساحل مسقط . وقد أخذت الدولة السعودية الثانية الزكاة العينية أو النقدية من شيوخ البحرين وأبي ظبي ودبي وأم القيوين والعجمان والشارقة ورأس الخيمة . وكان للدولة مركز حربي في البريمي الممتدة بين المشيخات المذكورة وسلطنة مسقط التي كانت تدفع الزكاة كذلك^(٢) . ويذكر التقرير نقلا عن الامام فيصل بن تركي ما يلي :

«لتكن جزيرة العرب مهما كانت فهي لنا . وقد تسأل كيف باستطاعتنا ان نظل هكذا منعزلين عن سائر العالم، ومع هذا فنحن قانعون . اننا امراء بطبيعتنا على قدرنا أننا نشعر بأنفسنا أننا ملوك في كل شيء . وإن خطتي ان أضرب بشدة على أيدي رؤساء القبائل حين يقوم أتباعهم بالسلب والنهب أو يرتكبون جرائم أخرى»^(٣) .

(١ و ٢) انظر التقرير نفسه . Pelly's Report, p. 51.

(٣) انظر :

والجدير بالذكر أن ملحق التقرير المذكور حوى جداول بأسماء القبائل التي كانت تتبع الدولة السعودية الثانية، والتي كانت تدفع الزكاة لها. وهذا الجدول اعتمدت عليه لجنة إعداد مذكرات حكومة المملكة العربية السعودية بشأن قضية النزاع حول واحات البريمي.

ما حققته الرحلة للدراسات الاجتماعية :

إن الكولونيل بلي بعد زيارته للرياض وعودته الى بوشهر كتب تقريراً الى حكومة الهند عن محادثاته ومشاهداته وتوصياته، وجاء التقرير تحت اسم :

India, Pelly (Lewis), Report on a Journey to the Wahabee Capital, Riyadh in Central Arabia (Bombay Printed for Government at the Education Society Press, Byculla, 1866, iv 104.

هذا وألقى بلي محاضرة جغرافية عن هذه الرحلة بإشراف الجمعية الجغرافية الملكية بلندن وذلك ليطلع الجغرافيون على المعلومات الجغرافية والانسانية التي توصل اليها بلي وصحبه أثناء مرورهم بالأراضي الشرقية من جزيرة العرب وكذلك المنطقة الوسطى منها. وطبعت هذه المحاضرة بإشراف الجمعية المذكورة وجاءت تحمل اسم :

Pelly's Visit to the Wahabee Capital, Arabia, Proceeding of Royal Geographical Society, 2d Series, Vol. 14, 1892

وفي المحاضرة هذه نجد معلومات تفيد الدراسات الاجتماعية فائدة ممتازة بخاصة بالنسبة الى أوروبا التي كانت معرفتها عن الجزيرة العربية معرفة قليلة وذات رؤية غير واضحة تماماً. وقد أعطى بلي ومن رافقه من المتخصصين في الجغرافيا تقريراً ممتازاً للتضاريس الواقعة ما بين الكويت وقطر على الخليج العربي وقلب جزيرة العرب. فيقول بلي في محاضرته بخصوص الامور الجغرافية ما يلي :

ان التضاريس في المنطقة الممتدة ما بين الكويت والرياض تشتمل على :

- ١ - سهل رملي متموج قاحل غير مسكون .
- ٢ - صحراء الدهناء ذات الرمال الحمراء .
- ٣ - منحدر حصوي .
- ٤ - أرض مرتفعة نسبيا، تصل في ارتفاعها الى ما بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ قدم . ورأى في المنطقة وشاجا من النبات .
- ٥ - سبعة خطوط رملية ترتفع تدريجيا الواحدة بعد الأخرى، تصل في ارتفاعها من ٢٠٠ - ٣٠٠ قدم .
- ٦ - هضبة نجد بها فيها من سهول وتلال . ثم سلسلة جبال طويق، حيث الرياض في وادي حنيفة . وفي العودة وجد التضاريس نفسها، وكان قد سلك في العودة الطريق الذي كان قد سلكها من قبله بلجريف .

هذا وتعطينا رحلة بلي معلومات ممتازة عن المواضع في الجزيرة العربية محددة بخطوط الطول والعرض التي أخذت بواسطة آلات مساحة دقيقة . وكذلك فقد ذكر بلي أسماء مجموعة خرائب صادفها في الطريق، وذكر بعض المعلومات عن هذه الخرائب . وبهنا هنا أن اللفتاننت كولونيل بلي جاء بمعلومات بعيدة عن المبالغة وبعيدة عن القصص الرومانتيكية التي تعود بولجريف ان يسردها في كتابه : «قصة رحلة سنة عبر قلب وشرقي جزيرة العرب» الذي كتبه بعد قيامه برحلته عبر جزيرة العرب عام ١٨٦٣/٦٢ م.

Palgrave (W.G), Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862—1863), 2 vols.

ونجد في محاضرة بلي وتقريره وصفا ممتازا يبين التحالفات القبلية، وعلاقات القبائل بالسلطة المركزية . ويمكن تلخيص ما ذكره بلي بالآتي :

- على جميع القبائل المتحالفة أن تقدم المساعدة والعون العسكري بعضها لبعض في حالة تعرض إحداها لخطر يهددها من العدو.
- على القبائل المتحالفة التابعة للسلطة في الرياض أن ترعى في مراعي الدولة ولا يحق لها أن ترعى في مراعي قبائل غير متحالفة معها وغير تابعة للدولة المذكورة.
- على القبائل المتحالفة والداخلية في نطاق البوتقة الاجتماعية والسياسية للدولة أن لا تعتدي على قبائل ذات علاقة حسنة بالسلطة المركزية في الرياض، ولو أن هذه القبائل غير داخلية في التحالف القبلي القائم مع الدولة.
- إذا حدث أي خلاف بين القبائل المتحالفة مع الدولة، فإن المرجع لحل هذا الخلاف هو الامام حاكم الدولة. وإذا اعتدت إحدى القبائل على غيرها من القبائل المتحالفة مع الدولة، أو مع قبائل ذات علاقة حسنة مع الدولة، فإن هذه القبيلة تعرض نفسها لعقوبات شديدة من السلطة المركزية بالتعاون مع مجموعة القبائل المتحالفة.
- وعلى كل القبائل المتحالفة والداخلية في طاعة الدولة السعودية أن تدفع الزكاة للدولة. هذا الى جانب ما كانت تقدمه هذه القبائل من خيول ومساعدات أخرى. والزكاة تؤخذ من التمر ومنتجات الأرض، وعلى الابل والماشية والخيول التي ترعى في مراعي الدولة.
- كما أن بلي أعطانا وصفا ممتازا لقبيلة الصليب التي قالت عنها جاكليين بيرين في كتابها «اكتشاف جزيرة العرب» بأنها ما زالت حتى اليوم تشكل معضلة من معضلات التاريخ الديني والثقافي مستعصيا حلها»^(١).

(١) جاكليين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، مترجم، بيروت، ص ٣٠٦.

للامام فيصل بن تركي الذي كان في سن يناهز السبعين وقد
 (١). بعد أن قضى القسم الأكبر من هذه الفترة في الحروب
 رعيته. ويقول عنه بلي «انه أمام ودود وصريح» (٢). وبعد
 'لامام فيصل بن تركي وخلفه على الحكم ولي عهده الامام

لة اللفتاننت كولونيل لويس بلي الى الرياض، والتي غادرها في
 سهر مارس عام ١٨٦٥م. وأثناء عودته مر بالهفوف في اليوم السابع
 من السنة نفسها. وأخيرا وصل بلي ومن معه الى قطر في الثامن عشر
 ، حيث كانت هناك سفينة خاصة تنتظرهم. وقد ودع بلي الرياض بالكلمات
 التالية:

«... وإني لأرجو أن أغادر الرياض وأنا على مودة واتفاق مع الشعب السعودي
 وأن يكون هناك ما يبشر بإيجاد علاقات أكثر ودا مع حكومة الهند. وإني لأرجو أن تسمح
 لي الفرصة للقيام بخدمة ودية وغير رسمية من أجل تسوية العلاقات بين الرياض
 ومسقط (٣). والجدير بالذكر أن خلافات كانت قائمة بين الرياض ومسقط حول الحدود
 وعدم دفع الزكاة التي كانت تمتنع عن دفعها حكومة مسقط للرياض. حتى إن بلي ذكر
 في تقريره أنه تجنب ذكر أي ملاحظات، أو إقامة أية محادثات بخصوص زكاة مسقط.
 لانه كان يعرف النتيجة المتوقعة لمثل هذه المحادثات (٤)». وقد تعرض الامام فيصل
 بن تركي أثناء حديثه عن الزكاة لحكومة مسقط فقال: «ان مسقط تدفع لنا الزكاة، وقد
 أخذناها بقوة السلاح، وإن سلطان مسقط السابق سعيد بن سلطان يفهم هذا، وكان
 يقوم بها يجب عليه... لكن ثويني يختلف عنه وسوف يدفع الزكاة بالقهر» (٥).

(١) أنظر تقرير بلي.

(٢) أنظر تقرير بلي.

(٣) أمين سعيد، الدولة العربية السعودية المجلد الأول، بيروت، ص ١٦٥.

(٤) أنظر: Lorimer, p. 1119

(٥) أنظر تقرير بلي، ص ٥١، ٥٢.

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية

في عهد الإمام فيصل

١٨٤٣ - ١٨٦٥ م

١٢٥٩ - ١٢٨٢ هـ

محتوياته

- علاقة الدولة بالوحدات السياسية في الخليج .
- علاقة الدولة بسلطنة عمان والإنجليز .
- علاقة الدولة بالعثمانيين

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية

في عهد الإمام فيصل

١٨٤٣ - ١٨٦٥ م

١٢٥٩ - ١٢٨٢ هـ

علاقة الدولة بالوحدات السياسية في الخليج:

اقتدى الامام فيصل بنظرية التطلع التقليدي للدولة السعودية الأولى في منطقة الخليج العربي. وكنا قد أشرنا الى النزاع بين أسرة آل خليفة حكام البحرين، عندما ثار محمد بن سلمان آل خليفة على عم أبيه عبدالله بن أحمد بن خليفة لانتزاع الحكم منه، إلا أن محمدا لم يتمكن من تحقيق غرضه بعد انكساره في معركة الناصفة المشهورة^(١).

لجأ محمد آل خليفة عند الامام عبدالله بن ثنيان، الحاكم السعودي قبل فيصل، والذي كان يعسكر بجيوشه وقتذاك في مكان يدعى الرحمة في المناطق الشرقية بين القطيف والرياض. وقرر عبدالله بن ثنيان أن يتدخل في شؤون البحرين الداخلية مفيدا من هذه الخلافات العائلية، لولا أن حادثا هاما وقف في طريق مشروعه، وهو خروج الامير فيصل بن تركي من السجن في مصر، وعودته الى نجد ليعمل على اخذ الحكم من ابن ثنيان لانه الامام الشرعي ووريث والده تركي بن عبدالله هذا ما جعل عبدالله بن ثنيان ينشغل عن التدخل الذي رسمه لسياسته التوسعية في البحرين^(٢):

(١) محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبھانية في تاريخ الجزيرة العربية، البحرين، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الجزء الثاني، ص ١٠٤.

ولما يش محمد آل خليفة من جدوى إقامته عند آل سعود، قرر الرحيل والالتجاء عند قبائل قطر البدوية عله يكسب بعض التأييد والاعوان في المنطقة الشرقية الذين يمكن بواسطتهم ان يعيد الهجوم على منافسه في البحرين. وكانت تقطن قطر وقتذاك عدة قبائل وجماعات مختلفة من حيث الأصل والنسب^(١).

لقي محمد بن خليفة تأييدا من شيخ قبائل بني علي، عيسى بن طريف، ومن جبريل بن ناصر رئيس قبائل نعيم، ومن محمد بن سعيد رئيس آل بوكوارة، ومن بشر بن رحمة رئيس قبائل الجلاهمة. واستطاع تكوين حلف كسر قوات عبدالله بن خليفة في معركة الحنيفة، وعلى أثرها استولى محمد آل خليفة على البحرين^(٢).

ولم ينقطع العداء العائلي في البحرين، بل تعقد وغدا مسألة إيرانية بحرانية، ثم تبلور حتى صار مسألة سعودية بحرانية، أدت الى تدخل السلطات البريطانية لتضع البحرين تحت حمايتها في المستقبل القريب.

أما عن المسألة الاولى، فقد التجأ عبدالله بن خليفة الذي انتزعت منه مشيخة البحرين إلى إيران وطلب الحماية منها عام ١٨٤٣م (١٢٥٨هـ). هذا ما حدا بالحكومة البريطانية في الهند أن تتدخل لمنع أي امتداد لنفوذ ايران في البحرين بشكل خاص، وفي الخليج بشكل عام، وذلك حفاظا منها على عدم تغيير الوضع الراهن كما تدعي. وجاء في وثائق وزارة الخارجية البريطانية قسم فارس «رسالة وردت من ابردين وزير خارجية بريطانيا الى السفير البريطاني شيل Shell في طهران مؤرخة في ١/٥/١٨٤٤م، تضمنت نفي حق فارس في ادعاء السيادة على البحرين، بدليل أن أسرة القاجار^(٣) منذ أن تولت الحكم عام ١٧٧٩م (١١٩٢هـ) لم يمارس ملوكها سلطة فعلية في تلك الجزر. وقد أثار هذا الخطاب جدلا قانونيا حول وضع فارس في منطقة الخليج، وقدم

(١) أنظر: Admiralty and the War Office, Handbook of Arabia, vol. 1. p.327.

(٢) محمد بهجت سنان، البحرين درة الخليج، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣) القاجار: أسرة إيرانية تسلمت الحكم عام ١٧٧٩م (١١٩٣هـ) وأول ملوكها آقا محمد خان.

أنظر: دونالدولبر، مترجم، إيران ماضيها وحاضرها، ص ٩٦، ٩٧.

حاجي ميرزا رئيس وزراء فارس مذكرة هامة ردا على هذا الخطاب^(١).

فاهتم الحاجي ميرزا بابرار حكم أسرة القاجار للبحرين ولولفترة قصيرة، وقدم دليلا على صحة ما إدعاه نوعا من النقد الذهبي المضروب في البحرين باسم الشاه سنة ١٨١٧م. ولكن البحرين وقتذاك لم يكن لها دار لسك النقود. ويبدو لنا ان هذا الادعاء ضعيف لأن هذا النقد ربما يكون مضروبا في إيران نفسها مادامت البحرين لا يوجد لديها دار لسك القود. كما أن النقود لا تكفي أن تكون دليلا كافيا للتبعية السياسية. ونضرب مثالا على هذا فنقول أن الدولة السعودية الأولى والثانية كانت تتعامل بالنقد النمساوي والريال الاسباني. وحتى عام ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ) كانت معظم مشيخات الخليج تتعامل بالروبية الهندية. ثم أخذ بعضها يتعامل بالريال السعودي بعد أن خفضت الهند سعرا لروبية. وعلى هذا يمكن أن يتم استخدام نقد أي دولة بعد أخذ امتياز تداول النقد من الدولة صاحبة النقد. وادعت الحكومة الإيرانية أن «الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة أن الخليج الفارسي من شط العرب حتى مسقط بما في ذلك جميع الجزر والموانئ يعود الى فارس، والدليل على ذلك تسمية الخليج «بالفارسي»، والشعور العربي شيء والشعور الفارسي شيء آخر. وتسمية الخليج بالفارسي تعود للقائد اليوناني نياركس Nearchus الذي عاد مع جنوده من الهند عن طريق الساحل الشرقي للخليج، وقدم تقريرا لسيده الاسكندر المكدوني، ورأى هذا ان يسميه بالخليج الفارسي^(٢). ولما خشي العرب عامة وأهالي المنطقة بشكل خاص من استغلال إيران لهذه التسمية اطلقوا عليه اسم الخليج العربي. فعروبة الخليج واضحة كالشمس، وهي حقيقة تاريخية جغرافية سياسية إجتماعية ثابتة لا ينكرها الا المكابرون. وفي مذكرة فارسية أخرى عام ١٨٤٨م (١٢٦٣هـ) ادعت إيران أن معظم سكان البحرين من الإيرانيين الذين يطالبون بالانضمام الى إيران^(٣).

(١) Adamiyat, Bahrein Islands, p.131.

(٢) مصطفى مراد الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، ص ٢٥.
- سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج، ص ٩ وما بعدها.

(٣) Adamiyat, op. cit., p.131.

ولم تأبه بريطانيا بما تدعيه إيران من حقوق وسلطة في منطقة الخليج ، فاعترفت باستقلال البحرين برئاسة شيخها محمد بن خليفة ، وعقدت معه اتفاقا بخصوص حظر تجارة الرقيق عام ١٨٤٧ م (١٢٦٢هـ) . ومن الواضح «أن السياسة البريطانية لم تهدف قط الى المحافظة على امارة عربية ، بل كان دفاعها عن حكومة العتوب في البحرين جزءا من السياسة العامة التي تتبعها في الخليج ، ألا وهي إحترام الوضع الراهن»^(١).

أما بالنسبة للعلاقة السعودية البحرانية ، فبعد أن استتب الأمر لفیصل بن تركي إثر تغلبه على حاكم نجد عبدالله بن ثنيان ، تقدم نحو الخليج ففتح الأحساء والقطيف وسيهات في السنة الاولى من حكمه عام ١٨٤٣ م (١٢٥٩هـ) ، واتخذ موقفا حازما ضد شيوخ البحرين فاستولى على ميناء الدمام من حاميته البحرانية ، واقام فيه حامية سعودية مؤلفة من ١٠٠ جندي^(٢).

وفي عام ١٨٤٧ م (١٢٦٣هـ) قرر فيصل فتح جزر البحرين مغتنيا فرصة الخلافات العائلية فيها . إذ أن عبدالله آل خليفة لما يشس من مساعدة حكومة إيران عاد لمنطقة الخليج ، وأخذ ينظم تكتلات من بعض مشايخ العرب في الجزر والسواحل الجنوبية وبالتالي طلب المعونة من الحاكم السعودي فيصل ، فقرر فيصل التدخل في شؤون البحرين عله يتمكن من فتحها أو على الاقل من أن تعلن تبعيتها له بدفع الزكاة . هذا ما أربك الشيخ محمد بن خليفة ، وطفق يبحث عن حليف قوي فاتجه الى الدولة العثمانية ، مما دعا بريطانيا الى التفكير في وضع البحرين تحت حمايتها ، متوافقا ذلك مع سياسة المرستون وزير خارجية بريطانيا الذي يؤيد سياسة التوسع الاستعماري^(٣) . ولم ينجح فيصل من تحقيق مشروعه الرامي لضم البحرين لسبيين : هما هجوم الشريف محمد بن عون شريف مكة ومعه خالد بن سعود الحاكم السابق في نجد على منطقة القصيم التابعة للدولة السعودية ولاقى هذا الهجوم ترحيبا من قبل أهالي القصيم الذين جذبوا الحكم الاستقلالي تحت نوع من الحماية التركية^(٤) . وثانيهما

(١) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج ، ص ١٥٧ .

(٢) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, vol.1, p.229.

(٣) صلاح العقاد، المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٤) Philby, Saudi Arabia, p.195.

موقف بريطانيا الرامي الى وقف الزحف السعودي^(١)، حتى ان مقاومتها كانت أصلب وأكثر حزمًا من موقفها تجاه التدخلات الإيرانية. وربما يعود ذلك لقرب السلطة السعودية من البحرين بعد احتلالها لميناء الدمام، وللخلاف المذهبي بين سكان البحرين، بالإضافة إلى شدة إصرار الموقف السعودي الرامي لاحتلال المنطقة بالقوة القبلية المهيأة، بعكس موقف إيران الذي اعتمد على الدبلوماسية.

قرر شيخ البحرين محمد بن خليفة التفاوض مع فيصل محاولاً اقناعه بعدم تقديم العون الى عبدالله بن خليفة. فأرسل اليه مندوبه بشير بن رامج بعد أن أعطاه صلاحيات واسعة في المفاوضات. وتمكن بشير بعد الأخذ والرد أن يحصل على معاهدة صلح مكتوبة وموقعة من فيصل الذي يش من جدوى إقناع المفوض البحراني في إعادة عبدالله الى البحرين مع ايجاد صلح بينه وبين محمد. ومن شروط المعاهدة ان تدفع البحرين مبلغ ٤٠٠٠ ريال لفيصل مقدماً، وتدفع سنوياً هذا المبلغ كزكاة للدولة السعودية، ويسمح للشيخ عبدالله المعزول بالاقامة في الأحساء وتكون نفقات معيشته على حساب الدولة السعودية وعلى هذه الشروط عاد بشير بن رامج ومعه مندوب فيصل بلال بن سالم الحرق الى البحرين ليتسلم الثاني ٤٠٠٠ ريال كما نصت معاهدة الصلح. ونستفيد مما أشارت اليه الوثائق الانجليزية أن قبول فيصل لإبرام معاهدة الصلح، التي ترمي الى عدم التدخل في شؤون البحرين الداخلية والاكتفاء بالزكاة المذكورة. ان هذا لم يكن الا نتيجة لضغط شريف مكة وهجومه على منطقة القصيم واحتلالها وبخاصة ان هذه الحملة كانت ترمي الى إعادة امانة نجد الى الامير خالد بن سعود المقيم في مكة المكرمة، فرأى فيصل أن يسوي الامور في الشرق للتفرغ لحماية حدوده الشمالية الغربية. ونستفيد كذلك معرفة عن الوضع الاقتصادي السيء في مشيخة البحرين آنذاك وبخاصة بعد الحرب الاهلية التي امتدت حوالي سبعة اعوام من ١٨٤٢ - ١٨٤٨ م (١٢٥٨ - ١٢٦٤ هـ)، وتشير الوثائق البريطانية ان شيوخ البحرين قرروا بيع تمرهم حتى يتمكنوا من دفع المبلغ الذي تعهد به بشير بن رامج لفيصل^(٢).

(١) Blunt, Apilgrimage to Nejd. vol.II, pp.263-269.

(٢) Major. S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay, September 9. 1847, (Bahrain Archives, Book 154, p.469. Office No.387 of 1847, Cons. No.92 of 1847), ARAMCO.

عاود فيصل نشاطه في الخليج عام ١٨٥١م (١٢٦٧هـ)، وقرر في هذه المرة فتح البحرين كجزء من سياسته الرامية لضم مناطق الخليج لدولته. وقد ساعده آل ثاني وبعض القبائل القطرية بعد فتحه لبلاد قطر. وقدم له القطريون ٣٠٠ سفينة لتساعده في نقل الجنود من قطر إلى البحرين، كما أن آل خليفة بما فيهم أولاد عبدالله بن خليفة قدموا مساعدتهم لفيصل نكاية بشيخ البحرين محمد بن خليفة الذي انتزع السلطة من أبيهم، وأملًا في أن تعود السلطة إليهم^(١).

وعلى أثر ذلك استعان محمد آل خليفة بحاكم أبوظبي سعيد بن طحنون، فأنجده بأسطول قوي قاده بنفسه، إلا أن الخلاف حل بطريقة سلمية، بعد أن تفاوض الطرفان وقبل فيصل الصلح بشرط أن يحضر سعيد بن طحنون بنفسه إلى معسكره، فوافق سعيد بعد أن حصل على أمان من أحمد السديري حاكم الاحساء موقعًا من فيصل. بشرط أن تستمر البحرين على دفع الزكاة السنوية وهي ٤٠٠٠ ريال وأن تدفع ما كان متأخرًا من الزكاة^(٢).

لم تقف بريطانيا موقف المتفرج من هذه الحوادث بل تاورت وأعلنت موقفها بصراحة، وضرب أسطولها في الخليج بعض موانئ ساحل الاحساء التابع للدولة السعودية ولولا موقف بريطانيا الصلب لقدر للدولة السعودية أن تستولي على البحرين^(٣). والذي خفف من روع بريطانيا حتى قبلت حل الخلاف على أساس الحل الوسط، إنما يعود إلى أن معتمدها في الخليج الميجر هنل "Hennel" علم أن كل ما يطمح إليه فيصل هو قبول البحرين إعادة دفع الزكاة، كما أن فيصل وجه رسالة إلى المعتمد البريطاني أظهر فيها ملاينته وصداقته لحكومة بريطانيا^(٤). فكان موقف بريطانيا لما علمت أن دفع الزكاة لا يعني التبعية السياسية للدولة السعودية أو بصورة أخرى لا

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٤١.

Pelly's Visit to the Wahabee Capital, p.187. -

(٣) Lorimer, op. cit., vol.I, p.229.

(٤) Aitchison, Collection of Treaties, vol.XI, pp.103-104.

يؤدي إلى تغيير الوضع الراهن في المنطقة، بالإضافة إلى ملايين فيصل في رده، كان كل ذلك سبباً في إيجاد بعض التقارب بين فيصل وبريطانيا، ومع هذا فقد ظل موقف بريطانيا دائماً موقف حذر لأنها لم تطمئن قط إلى وجود هذه الدولة الكبيرة والتي تتطلع للسيطرة على الإمارات والمشايخ المرتبطة معها بمعاهدات^(١).

وجاء في الرسائل السرية لحكومة بومباي «أن فيصل كتب للمقيم العام البريطاني في الخليج في يناير ١٨٥٤م رسالة يذكره بوجود اتفاق بين أسلافه السعوديين وبين بريطانيا، تعهدوا فيه بالمحافظة على السلام لمدة مائة عام مقابل أن بريطانيا تعهدت لهم بحرية التصرف في ساحل الخليج من الكويت حتى عمان، لأنها - أي الدولة السعودية - نائبة عن الدولة العثمانية في شبه جزيرة العرب^(٢)». ويعلق الدكتور العقاد على هذا الخطاب فيقول إن الخطاب «يشير إلى اتفاق لا يوجد له أصل في جميع الوثائق المعروفة، كما أنه يجعل الدولة السعودية تابعة للدولة العثمانية، وهو ما ستنفيه الحكومة السعودية في مناسبات أخرى^(٣)».

ولم تتوقف عمليات التحرش والتهديد بين البحرين وتدعمها بريطانيا والدولة السعودية وبخاصة أن الأخيرة كانت تشجع الاضطرابات الداخلية في البحرين وتحمي الفارين من حكم الشيوخ. وفي عام ١٨٥٩م (١٢٧٦هـ) تدخلت بريطانيا باسم البحرين لتمنع فيصل من إيواء المضطهدين السياسيين الفارين من البحرين. وبالتالي وضعت البحرين في عام ١٨٦١م (١٢٧٨هـ) ضمن إمارات الساحل التي تنظر لبريطانيا على أنها حامية لها من أي اعتداء خارجي، ووقعت معها معاهدات بخصوص الملاحة البحرية تلزمها والإمارات الساحلية الأخرى بعدم القيام بأي عمل يعكر سلامة الملاحة^(٤).

(١) Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p.74.

(٢) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٣) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٤) Lorimer, op. cit., vol.I, p.229.

أما عن علاقة الدولة السعودية الثانية بقطر، التي يرجع حكامها بأصلهم إلى تميم أكثر سكان الوشم^(١)، فقد كانت هذه الإمارة الصغيرة تحكم من قبل آل ثاني وتح سيادة آل خليفة في البحرين. وفي عام ١٨٥١ م (١٢٦٧ هـ) جمع فيصل قواته في الرياض ثم انتقلت إلى حليوين بين القطيف والاحساء، وهناك وصلته مساعدات من قبائل هاجر وآل مرة والعجمان، واتجهت جميع القوات بقيادة عبدالله بن فيصل إلى قطر فنزلت بلدة سلوى ثم جو العريق الواقعة في الزاوية الجنوبية من قطر^(٢)، وحاصرت الحم قصر البدع الذي كان قد حصنه آل خليفة بزعماء علي بن خليفة، وبعد معارك دام أجبرت القوات السعودية علي بن خليفة وجنده أن يرحلوا بسفنهم التي كانت مهية بالقرب من قصر البدع^(٣). وبذلك استطاع عبدالله بن فيصل أن يسيطر على قطر وأ. يضع سفنها البالغ عددها ٣٠٠ سفينة تحت تصرفه لمحاربة البحرين كما ذكرنا سابقاً.

ويبدو أن الحكم السعودي لم يمتد إلى الكويت، فقد حافظ حكامها على علاقات ودية مع الحكام السعوديين، حتى أن هذه الإمارة لم تدفع الزكاة لهم إلا نادراً، على الرغم من اتساع نفوذهم في منطقة الخليج^(٤). وظل شيوخ الكويت حتى عهد مبارك بن صباح لا يهتمون بالأوضاع السياسية في نجد بقدر اهتمامهم بانتظام تجارتهم العابرة إليها في مواسم الحج^(٥).

علاقة الدولة بسلطنة عُمان والإنجليز:

إن علاقة الدولة السعودية الثانية بعمان والإنجليز الذين يساندونها؛ نجمت عن الاحتكاكات المتكررة بين الأطراف المعنية بخصوص واحة البريمي التي لعبت دوراً كبيراً وهاماً بالنسبة لدور النزاع والاحتكاكات المذكورة. وفي العلاقة القائمة، حيث إن

(١) عبد الكريم غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٩.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، ص ١٤٠.

- مصطفى الدباغ، المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٣) محمد العبد القادر الإحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء، ص ٢٤، ٥.

(٤) أحمد أبو حاكم، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، ص ١٧٤.

(٥) Wigham, The Persian Problem, p.98.

البريمي كانت مركزاً هاماً للنفوذ السعودي في منطقة الخليج الممتدة في حدود عمان الداخلية^(١). وفي عام ١٨٤٢م (١٢٥٩هـ) وبعد شهر واحد من انتصار فيصل على ابن ثنيان، أرسل الأول رسلاً إلى منطقة عمان والبريمي يدعون الأهالي لتأييد سعد بن مطلق الذي سيرسله فيصل وكيلاً عنه في البريمي. هذا ما أربك شيوخ البريمي، فاتصل حمود بن سرور ومحمد بن عبدالله بالمعتمد البريطاني في الخليج في نفس السنة وطلباً منه حماية بريطانيا لهم^(٢). ومع أن بريطانيا أجابتهما أن الحماية البريطانية ممتدة عليهم منذ خروج القوات المصرية من جزيرة العرب، ولكنها لن تتدخل في الشؤون الداخلية لعرب الجزيرة إلا بقدر ما يضمن بقاء السلام في الخليج^(٣). وكان موقف بريطانيا من امتداد النفوذ السعودي أقل عداء من موقفها ضد النفوذ المصري زمن حكومة محمد علي، وأعلنت أنها «تتخلى عن سياسة التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية»^(٤)، مما حدا بفيصل أن يرد على هذا الموقف برسالة إلى المعتمد البريطاني يبين فيها أنه يرغب في تطوير العلاقات الودية مع بريطانيا، وأن حكومته تشارك بريطانيا في موقفها من قمع عمليات السلب والقرصنة في الخليج، ليتسنى لأهل المنطقة العمل بحرية^(٥).

وبعد أن فرغ فيصل من احتلال القطيف والدمام وسيهات في الخليج، أرسل في عام ١٨٤٤م (١٢٦٠هـ) سرية مؤلفة من ٧٠٠ جندي سعودي برئاسة سعد بن مطلق ومعه ناصر بن علي العريبي ليقوم بمهام القضاء في البريمي، وقد غادر سعد الاحساء في ١٣ يناير ١٨٤٥م (١٢٦١هـ) ووصل إلى البريمي في ٧ فبراير من نفس السنة^(٦).

(١) أحمد قاسم البويرني، الإمارات السبع، ص ٧٥، ٧٦.

(٢) Bombay Selections, p.444.

(٣) Kelly, op. cit., p.68.

(٤) Bombay Selections, p.454.

(٥) Bombay Selections, p.454.

(٦) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٨.

Kelly, op. cit., p.68.

ويبدو أن الموقف في البريمي كان إلى الجانب السعودي ، فقد استقبل سعد بن مطلق من الأهالي استقبلاً حسناً ، فأيده بدو المنطقة وحضرها كذلك عرب الظواهر^(١).

وكانت غاية سعد الأولى أن يجبر سلطنة عمان على دفع الزكاة ، وطلب من السيد ثويني بن سلطان نائب والده سعيد بن سلطان المقيم وقتذاك في أملاكه الأفريقية في زنجبار ٢٠٠٠ ريال ، ومن حمود بن عزان قريب سعيد بن سلطان ١٠٠٠ ريال^(٢).

وتصف لنا وثائق بومباي أن السيد ثويني هذا كان ضعيف الشخصية ، متردداً ، يعتمد دائماً إلى استشارة المعتمد البريطاني في الخليج إذا ما داهمه أي خطر. ويبدو أن هذا كان عاملاً جعل الإنجليز يرضون عنه ، فساعدوه عندما خلف أباه سعيد بن سلطان في حكم سلطنة عمان^(٣).

وكان رده على سعد بأن طلب منه أن يمهل بعض الوقت حتى يستشير والده في زنجبار. فكان رده على ابنه بأن يدافع عن مسقط ولن يغادرها مهما كان الحال .

أما المعتمد البريطاني فقد طلب من ثويني أن يتفاهم بشكل ودي مع فيصل بن تركي ، ويقبل شروطه إذا كانت لا تتعدى على كرامة والده كحاكم مستقل في مسقط ، وإلا فعليه أن يبلغه أنه لن يستطيع التنازل عما طلب إلا بعد موافقة بريطانيا^(٤).

ومن هنا يمكن القول بأن حكومة بريطانيا كان لا يضيرها أن تدفع حليفة لها زكاة لدولة إسلامية كالدولة السعودية ، مادامت هذه الزكاة لا تعني التدخل في شؤون مسقط الداخلية والخارجية أولاً ، وما دامت لا تغير من الوضع الراهن في الخليج ثانياً ، كما أنها لن تخل بأمن وسلام المنطقة ثالثاً .

(١) Badger, History of Imams and Seyyids of Oman, Trans, p.340.

(٢) Kelly, op. cit., p.68.

(٣) Bombay Selections, pp.216-217.

(٤) Bombay Selections, p.216.

وكإجراء تهديدي استنفر سعد بن مطلق المطيري قوته في البريمي وساعدته القبائل فيها بخاصة عرب بني قتب الذين قدموا ٣٠٠ فارس و ١٥٠٠ راجل، كما توافدت على سعد المساعدات من باقي القبائل. وسار سعد بالقوات إلى ساحل الباطنة «Batinah» حيث أن سلطة حاكم مسقط ضعيفة في هذه المنطقة، بخاصة بعد انفصال قريبه حمود بن عزان واستقلاله في منطقة صحار منذ عام ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ). إلى جانب الفوضى والاضطرابات السائدة في البلاد، حتى أن منطقة الباطنة لم تكن فيها قوات عسكرية بالمعنى الصحيح بل كان فيها عدد من المدافعين فروا منها عند وصول القوات السعودية الكثيفة العدد^(١).

وكان على بريطانيا أن تتدخل لحماية حليفتها مسقط، فوجه هامرتون «Hammerton» المعتمد البريطاني لكل من فيصل ونائبه سعد بن مطلق انذاراً في ٢٥ يونيو ١٨٤٥م (١٢٦١هـ) محتجاً على تصرفاتها الأخيرة ضد سلطنة عمان ورجاهما تقديراً لصداقة بريطانيا للدولة أن يكفيا عن غزو عمان^(٢). كما طلب من سعد بن مطلق أن يتوقف عن الأعمال العسكرية منتظراً تعليمات حكومته. وكان رد فيصل على هذا الانذار رداً رقيقاً، معبراً عن صداقته لبريطانيا ولكنه لم ينس أن يستطرد «بعض القول عن حقه في ممارسة سلطته على مقاطعة عمان»^(٣). وأخيراً انتهت الأمور بسلام عندما وافق سعيد بن سلطان الموجود في زنجبار على دفع مبلغ ٥,٠٠٠ ريال سنوياً، وان يدفع ٢٠٠٠ ريال لسعد بن مطلق شخصياً^(٤)، وتحت هذه التهديدات اضطر حمود بن عزان أن يدفع مبلغ ٥,٠٠٠ ريال زكاة سنوية للحاكم السعودي فيصل^(٥).

والزكاة في نظر الحكومة السعودية كانت تعني تبعية الدافع للأخذ من الجهة السياسية. بينما تذكر المصادر الانجليزية أن هذه الجزية أو الزكاة أو الضريبة أو الاتاوة

(١) Bombay Selections, pp.217-218

(٢) Bombay Selections, p.219.

(٣) Kelly, op. cit., p.69.

(٤) Bombay Selections, p.217

(٥) Bombay Selections, p.218.

كانت تدفع من حاكم ضعيف الى دولة مجاورة قوية، وتريد هذه المصادر أن تثبت أن أخذ الزكاة من هذه القبائل كان بأسلوب القوة، واثبتت كذلك أنها لم تكن تدفع في انتظام بل كانت بشكل متقطع. واحتلت مناقشات الزكاة أو الجزية جزءاً كبيراً من المجلد الأول من مذكرات الحكومة السعودية بشأن النزاع حول واحات البريمي^(١). ويعلق الدكتور صلاح العقاد على هذه المناقشات فيقول «والحق ان النظام الإداري للسعوديين كان في حد ذاته لا يستند الى اسس قوية كما هو منتظر في مجتمع بدوي كمجتمع بلاد العرب في ذلك الوقت، لذلك يستحسن عدم تطبيق مفهوماتنا للدولة الحديثة عند إثارة الجدل في تلك القضية التاريخية»^(٢).

ويبدو أن شدة معاملة النائب السعودي وتوسعه حتى أخضع قبائل شمال عمان، كان قد قوى شعور الكره له من قبل رؤساء القبائل. فكونوا حلفاً ضده ولم يتخلف عن دخول الحلف إلا شيخ أم القيوين الذي ظل مؤيداً لسعد^(٣). وتعتبر قبيلة النعيم من أقوى القبائل المعاكسة لسياسة وكيل السعوديين. وعندما حاول هذا السيطرة على ضنك تحالف كل من آل خريبان وآل شامس فرعي النعيم ضده وطلبوا عون حمود بن عزان صاحب صحار الساحلية، إلا أنه كان مشغولاً وقتذاك بأمر الامامة في عمان فلم يأبه لمطلبهم^(٤).

وفي نهاية عام ١٨٤٦ م (١٢٦٣ هـ) تكون حلف قوي ضد النائب السعودي في عمان مما جعله يفكر بالذهاب الى الرياض لدراسة الموقف المتأزم مع الامام فيصل وبخاصة أن رؤساء المنطقة كانوا قد بعثوا عدة رسائل لفیصل تتهم سعد بن مطلق باقتطاع بعض أموال الزكاة لنفسه. إذن والحالة هذه كان على سعد أن يقصد الرياض. لكن رسولا من عند فیصل وصل في نفس اليوم الذي كان يريد سعد أن يسافر فيه يعلمه «بتثبيته في مركزه، ويرغب بأن يرسل مبلغاً من المال الموجود لديه في البريمي» لذا

(١) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، من ص ١٢٣ وما بعدها.

(٢) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) Bombay Selections, p.457.

(٤) Kelly, op. cit., p.68.

لم يتوجه سعد إلى الرياض ، بل اكتفى بإرسال مقدار معقول من المال لفیصل^(١).

وفي بداية عام ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ) استدعى فیصل وكيله سعد بن مطلق إلى الرياض لدراسة سبب الموقف المتدهور في البريمي في هذه الفترة القصيرة من حكمه^(٢). ويذكر فليبي أن فیصل عزل سعد بن مطلق واستدعاه للرياض لأنه مسئول عن الفوضى والاضطراب وحركات التمرد التي ظهرت قريباً في المنطقة^(٣)، ويبدو من دراسة الموقف بشكل تحليلي أن سعد بن مطلق - مع أنه كان أقوى وكيل سعودي في البريمي -، كان مكروهاً من رؤساء القبائل لتشده عليهم بخاصة في جباية الزكاة وإلى ما دار حوله من شكوك في اقتطاع بعض أموال الزكاة، كما أن معظم القبائل في المنطقة كانت تؤيد وجهة نظر رؤسائها الذين يجنون الاستقلال في إدارة شئونهم ، أضف إلى هذا كله ان طول مدة حكم سعد بن مطلق للمنطقة شكلت ضده مجموعة من عوامل المقاومة وعدم الرضا لحكمه .

وفي غياب ابن مطلق عن البريمي تولى محمد بن سيف العجاجي الحكم بالوكالة في المنطقة ، وحاول هذا قدر استطاعته أن يوثق عرى الصداقة بينه وبين رؤساء القبائل ، معتمداً على تلاعب العواطف ، مبيناً للقبائل أن سياسته ترمي إلى تحسين العلاقات معهم حتى يجلبهم بجانب حكمه المعتدل في المنطقة^(٤). وبعد شهور قليلة أرسل فیصل عبدالرحمن بن ابراهيم من رجال منفوحة^(٥)، حاكماً على البريمي بدلا من

(١) Bombay Selections, p.458.

(٢) Kelly, op. cit., p.70.

(٣) Philby, op. cit., p.197.

(٤) Major S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay, September

9. 1847, (Bahrain Archives, Book 154, p.469. Office No.387 of 1847, Cons. No.92 of 1847).

ARAMCO.

(٥) منفوحة إمارة قديمة كانت تضاهي الدرعية والعيينة عند بدء الدعوة الإصلاحية النجدية ، وهي قرية من الرياض والآن تعتبر من ضواحيها .

أنظر : Sadlier, Account of A Journey from Katif on the Persian Gulf to Yamboo on the Red

Sea, p.469.

سعد بن مطلق، وسار هذا من الأحساء وبرفقته عشرون رجلاً من أعوانه، أرسلهم معه حاكم الأحساء أحمد السديري عام ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ). ولم يعلل المؤرخ السعودي سبب عزل سعد بن مطلق ولا حتى سبب تعيين الحاكم الجديد^(١)، وكانت رحلة الحاكم الجديد عبدالرحمن بن إبراهيم عن طريق البر وبواسطة ميناء العقير المقابل لجزر البحرين في الخليج، وفي نفس هذا الطريق أرسل سعد بن مطلق الأموال التي كان قد طلبها منه فيصل كما ذكرنا، حتى أن سعد نفسه اضطر إلى العودة عن طريق البحر وليس عن طريق البر عندما غادر البريمي إلى الرياض^(٢). ولهذا مفهوم مهم وهو أن الوضع السياسي في البر خطير والأمن غير مستتب فيه. ويمكن القول إن السلطة السعودية لم تستطع أن تسيطر في هذه الفترة على منطقة الظاهرة والمنطقة الواقعة بين صحراء الجافورة ووحدات البريمي، لذا كانت طريقهم من البحر أيسر من البر، ويقول صموئيل هنل الخبير البريطاني في أوضاع السياسة في منطقة الخليج في القرن التاسع عشر «إن القبائل دائماً كانت تتمسك باستقلالها وترفض دفع الزكاة أو العشور التي تطلب منها من أي رئيس مذهب»^(٣).

وفي عام ١٨٤٨م (١٢٦٤هـ) حاول محمد بن سيف العجاجي أن يجبي الزكاة بالقوة من حمود بن عزان صاحب صحار، وأرسل قوة تأديبية إليه، لكنه - أي محمد العجاجي - وقع في الكمين في وادي الجيزي «Al Jaizi» فاستغل حاكم أبو ظبي سعيد بن طحون النزاع القائم بين آل خريبان وآل شامس فرعي النعيم في البريمي، وضعف الحامية السعودية الموجودة في المنطقة، وضعف النائب السعودي خليفة سعد بن مطلق، وكره القبائل للحكم اللا إستقلالي، فاستغل هذا الوضع وجمع قوات منها حوالي ٢٠٠ راجل من قبيلة العوامر ومن قبائل الظواهر بعد أن هجرت زعيمها

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٢٤.

(٢) لم تشر مذكرات الحكومة السعودية بشأن قضية التحكيم كيف كانت رحلة سعد بن مطلق أو خليفته العجاجي عندما انتقل الأول من البريمي إلى الرياض وسفر الثاني من الأحساء إلى البريمي، إلا أن مذكرات حكومة المملكة المتحدة لم تسكت عن ذلك. أنظر: Kelly, op. cit.,

سيف بن علي المؤيد للرياض، وحاصر سعيد بن طحنون بقواته، وبقوات المتطوعين المؤيدين حصن سيف بن علي في ٤ مايو من السنة المذكورة، وضربه بمدفعيته. ومع أن الحامية فيه دافعت مدة يوم واحد على أمل أن تأتيها النجادات والمساعدات من حاكم البريمي محمد بن سيف أو من بعض أنصار الحكم السعودي، إلا أن أملة خاب فاضطر إلى طلب الاستسلام متنازلاً عن سلطته بعد أن أخلى الحصن الذي استولى عليه وعلى ما فيه من أموال. ولم يكتف ابن طحنون بذلك بل هدم الحصن، وأرسل سيف بن علي ومعه يحيى بن محمد منفين إلى أبو ظبي، وعسكر بقواته في منطقة الظاهرة منتظراً ما سيصله من مدد من قوات نعيم برئاسة سيف بن حمود^(١). ولما وصلت القوات وتكاملت حاصر البريمي التي كان فيها محمد بن سيف العجاجي وعبدالرحمن بن ابراهيم، مما اضطر القوات النجدية فيها أن تحتفي في حصونها وترسل عدداً من الرسل لطلب العون من سلطان بن صقر وعبدالله بن رشيد ومكتوم بن بطي الذين كانوا يميلون إلى الرياض. ويبدو أن تأييد سلطان بن صقر صاحب الشارقة للرياض لم يكن هدراً بل كان يخشى من امتداد سلطة سعيد بن طحنون وبخاصة أنه أصبح صاحب نفوذ قوي في المنطقة، ولم يمض آنذاك على توليه الحكم أكثر من ثلاث سنوات. فقد ضم البريمي وعدداً من القبائل، وربما يتطلع مشيخة ابن صقر، هذا إلى جانب أنه كان يرى أن قوة فيصل بن تركي ستكون في النهاية هي المتفوقة. وبسبب هذا كله أيد الرياض^(٢). وعن طريقه أرسلت عدة رسائل إلى الأحساء ونجد تطلب سرعة إرسال قوات سعودية للمنطقة، حتى أن عدداً من الرسائل كانت تصل عن طريق البحرين بواسطة أخيه صالح بن صقر ثم تنقل من البحرين إلى بندر العقير ومنه إلى الأحساء^(٣).

لقد عقد سلطان بن صقر حلفاً مع قبائل بني قتب برئاسة شيخهم عبدالله بن

(١) Agent at Sharjah to Major Hennell, 12th Rujub, (June 14, 1848), Bahrain Archives, Book No. 159, pp.299-306, ARAMCO.

(٢) أنظر: نفس الوثيقة المذكورة سابقاً والمؤرخة في ١٢ رجب / ١٤ يونيو ١٨٤٨ م.

(٣) Agent at Sharjah to Major Hennel, 23 Rujub (June 25, 1848) (Bahrain Archives, Book No. 159, pp.343-371), ARAMCO.

هويد ومع مكتوم بن بطي صاحب دبي ضد سعيد بن طحنون وتقدمت القوات المتحالفة في مايو ١٨٤٨م (١٢٦٤هـ) الى البريمي . وأعلنوا لابن طحنون أنهم ينادون بالسلام والحل السلمي بينه وبين محمد بن سيف وكيل الرياض وإلا فإنهم معادوه . وكتب سلطان لابن طحنون . «أنه قد سمع بالعداوة التي قامت بينه وبين محمد بن سيف وأنه (سلطان بن صقر) حريص جداً على التوسط بينهما وأن ابن طحنون لابد أن يعرف أن محمد بن سيف العجاجي والذين معه في الحصن نجديون تابعون لابن سعود (يعنى فيصل) وله سلطة عليهم ومن المستحيل أن يتخلى عنهم»^(١) .

وكان رد ابن طحنون على سلطان بن صقر بما يلي :

«إن غايتي في الدرجة الأولى كانت مع سيف بن علي (رئيس الظواهر) بخصوص التحصينات التي أنشأها في بلاد الظواهر، وإنني قبضت عليه وخربت حصنه قاصداً بذلك إيقاف الاضطرابات» أما بخصوص الحرب الناشبة مع النجديين اليوم فإن قبائل النعيم وسكان البريمي وجميع أهالي عمان يعادون النجديين «وأنا اساعدهم في خططهم هذه . والآن فقد نشبت الحرب بين الفريقين ولا يمكن الوصول الى سلام»^(٢) .

ويتضح مما تقدم أن غاية ابن طحنون كانت توسعية يريد ضم البريمي مستغلاً ظروفاً معينة، وأما سلطان بن صقر فغاياته الوقوف في وجه أطماع ابن طحنون وذلك بتأييد اعدائه النجديين .

وتشير الوثائق الانجليزية المذكورة أن العجاجي وزع قواته في حصن الصبارة والخندق، وحصن نقاط الدفاع فيهما ووضع المؤن والجمال في مخزن مجاور للحصن، لكن جماعة من اعدائه برئاسة حمود بن سرور وضعوا لغماً أمام الحصن فانفجر وهدم بعض أجزائه . وكانت قوات ابن طحنون محاصرة الحصون المذكورة وضربت بها بمدفعيتها

(١) أنظر الوثيقة السابقة المؤرخة في ١٤ يونيو عام ١٨٤٨م .

(٢) الوثيقة المذكورة أعلاه .

ونيران بنادقها مما أربك من في الحصن، وفي ليلة ١٧ يونيو من نفس السنة استسلم رئيس الحامية محمد بن سيف العجاجي على شرط أن يؤمنهم ابن طحنون على أرواحهم وأموالهم وسلاحهم ومغادرة الحصن. وبذا سقطت حصون البريمي والصبرة والخندق بيد ابن طحنون ووضع فيهما حامية^(١). وبعد هذا النزاع انقسمت المنطقة الى حلفين متضادين هما النجديون وسلطان بن صقر صاحب الشارقة وعبدالله بن هويد شيخ قبائل بني قتب ومكتوم بن بطي صاحب دبي وآل خريبان فرع نعيم وأعداء آل شامس برئاسة شيخهم علي بن حمود ورشيد بن حميد الغافري شيخ غين وسيف بن حمود صاحب صحار. والحلف الثاني من سعيد بن طحنون وآل شامس برئاسة حمود بن سرور ومن يؤيدهم من قبائل بني قتب والغفلة والعوامر والمزاريع وبني ياس من الظواهر وبعض قبائل المناصير^(٢).

ولما سمع فيصل بهذا غضب من أعمال ابن طحنون، وأرسل قوة عسكرية كبيرة بقيادة سعد بن مطلق ليعيد البريمي للطاعة^(٣). وكان ابن طحنون يعلم بمجيء القوات السعودية بفضل جواسيسه الثلاثة من المناصير الذين أرسلوا لا ستطلاع خبر تحرك القوات السعودية من الأحساء. فكمن ابن طحنون للقوات القادمة، إلا أن سلطان ومكتوم عرفا ما بالأمر من حيلة، فأرسلوا رسلا لإخبار سعد بن مطلق أثناء قدومه قبل أن يقع في حبال ابن طحنون، لكن الرسل سارت من طريق ومجيء سعد كان من طريق آخر فوقع في الكمين، وهزمت قواته في مكان يدعى العاتكة، قتل فيها

(١) Bombay Selections, p.279.

- محمد بن شيبه السالمي، نهضة الأعيان بحرية عمان، مخطوط، ص ١٢.

(٢) Major S. Hennell, to The Government of Bombay, November 6, 1848, enclosing letter from

Moollah Hussein, Agent at Sharjah to Major Hennell, September 24, 1848, (Bahrein Archives.

Book 159, pp.498-506, Office No.31 of 1848, Cons. No. of 1848), ARAMCO.

(٣) تذكر الوثيقة المرسلة من هنل إلى الملاحسين والمذكورة سابقا استناداً إلى معلومات وصلت من محمد الشبيبي الأمين الخاص لسلطان بن صقر أن الحملة كانت برئاسة سعد بن مطلق ومطلق بن بتال وهي مؤلفة من ١٤٠٠ هجان و٢٠٠ فارس إلا أن هذه المعلومات لا يمكن الوثوق بها لأنها من خصم ابن طحنون.

عدد من الطرفين من بينهم عبدالرحمن بن عزاز قاضي العسكر السعودي ، وفر من فر إلى دبي والشارقة ^(١).

وبعد ذلك حاول سعد أن يجمع قواته المشتتة ، وبمساعدة أعوانه مكتوم وسلطان ومن يؤيدهم من القبائل ، توجهت قوات السعوديين لمحاصرة البريمي من جديد ، إلا أن مفاوضات دارت بين سعد وابن طحنون انتهت بصلح ينص على إعادة ما احتلته قوات ابن طحنون من حصون البريمي ، وطوى صفحة الماضي بالنسيان ، ويعود كل من الفريقين إلى ما كان عليه قبل نشوب القتال . وهكذا استطاع ابن طحنون أن يحكم البريمي حوالي ثمانية أشهر ، وبعد سنتين من هذا التاريخ جاء سعيد بن طحنون إلى معسكر فيصل معتذراً عما بدا منه في السابق ^(٢) . وكان فيصل وقتها في قطر في زيارة تفقدية لمراقبة ثغور دولته وتحصيناتها وللإطلاع على أحوال شعبه في المنطقة الشرقية ^(٣).

وفي أثناء فترة حكم ابن طحنون للبريمي قام بعدة أعمال تخريبية في الواحة ، فحرب بعض مجاري المياه التي تروي مزارع البلدة ، وكان عدد ما خربه من الفتحات حوالي ٧٠ فتحة من أصل ٢٠٠ فتحة من المجرى الرئيسي الذي يروي قرى الواحة ^(٤).

كما أن انكسار سعد بن مطلق في معركة العاتكة لم ينسه فيصل ، بل اتهمه بالتقصير ، وكذلك وجه إليه اللوم عما وقع في المنطقة من حالات الاضطراب والفوضى ، فكان هذا كافياً لعزله عن البريمي عام ١٨٥٠ م (١٢٦٦ هـ) ^(٥).

والواقع أن الحكم السعودي في البريمي كان في منتصف القرن التاسع عشر

(١) محمد بن شيبه السالمي ، نفس المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) Bombay Selections, p.491.

(٣) عقود الجمان ، ص ٦ ، نقلاً عن عرض الحكومة السعودية ، مجلد ١ ، ص ١٩٥ .

(٤) جاء في تصريح قاضي البريمي الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل سليمان ، أنظر كتاب عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، المجلد ١ ، ص ١٩٥ .

(٥) ابن بشر ، المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ٩٣٨ .

الميلادي ضعيفاً ولم يتمكن من السيطرة النهائية على المناطق الخارجة عن الواحة مثل الظفرة أو المنطقة الواقعة بين الجفرة والبريمي ، بل يمكن القول إن الحكم في كل المنطقة كان حكماً متقطعاً^(١)، ويعود ذلك لأن قبائل بني ياس القوية كانت تميل دائماً لدعم استقلالها كما أنها لم تدفع الزكاة لا للدولة السعودية ولا لأي قوة أخرى^(٢). وعلى كل حال يمكن القول أن حكم الدولة السعودية في المنطقة كان يعتمد على مدى قوة وضعف السلطة المركزية في الرياض، ويعود ذلك لعدة أسباب منها: بعد المنطقة المذكورة عن مركز الحكم في الرياض، ولضعف الحاميات السعودية فيها، ولأن عدداً من القبائل القاطنة في المنطقة كانت تمنح إلى الحكم الاستقلالي، أضف إلى ذلك تدخلات شيخ أبوظبي الذي حاول مراراً السيطرة على المنطقة، وكذلك تدخل سلاطين مسقط واعتبار البريمي جزءاً من سلطنتهم، لذا فطالما كانت هذه العقبات موجودة طالما كان الحكم السعودي في البريمي حكماً ضعيفاً ومعرضاً لعدة صعوبات، كانتفاضات القبائل وكالاعتداءات الخارجية على المنطقة وكالمؤامرات والدسائس التي كانت تعمل على سلخها.

وفي عام ١٨٤٩م (١٢٦٥هـ) بدأت مسقط في الخدول إلى ميدان النزاع مع الرياض، وخاصة بعد أن بدأ وضع القوة النجدية في المنطقة في الضعف إثر اعتداء ابن طحنون. ومن ثم رفض ثويني ابن حاكم مسقط أن يدفع ما تعهد به من الزكاة عام ١٨٤٥م (١٢٦١هـ). وجاء هذا في وقت كانت فيه السلطة السعودية في البريمي بحاجة ماسة إلى الأموال لسد حاجيات ونفقات الحامية النجدية^(٣). ولم يكتف ثويني بذلك بل جاول جاهداً فصل الشيخ مكتوم بن بطي عن تحالفه مع النائب السعودي ومع سلطان بن صقر. وعقد تحالفاً مع ابن طحنون عندما زار أبوظبي في السنة المذكورة. لكن شيخ دبي كان أمهر من أن يقع في حلفهما، وعلى العكس فقد قدم النصيح لسعد بن مطلق بأن يطلب من الامام فيصل زيادة القوة السعودية في عمان لصد

(١) Kelly, op. cit., p.71.

(٢) تصريح للميجر هنيل المعتمد البريطاني في الخليج، أنظر: Kelly, op. cit., p.61.

(٣) Lt. Col. S. Hennell, to The Government of Bombay, October 11, 1849, (Bahrein Archives).

Book 192, pp. 212-218, Office No. 303 of 1949, Cons. No.69 of 1849), ARAMCO.

أي عمل تقوم به هذه التحالفات. ومن هنا عرفنا أن ابن طحنون وثويني حددا موقفهما من دفع الزكاة للرياض، واتفقا على مساعدة بعضهما بعضاً إذا أغار النجديون عليهما^(١).

وفي عام ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ) قرر كل من ثويني حاكم مسقط وابن طحنون حاكم أبو ظبي أن يقنعا حمود بن عزان وهو من أحد اقرباء ثويني وصاحب صحار للدخول معهم في حلف ضد السعوديين يرمي إلى احتلال البريمي من الوكيل السعودي^(٢)، ولم يوافق حمود على الدخول في التحالف لأنه كان مرتبطاً بعهد مع آل خريسان المؤيدين لنجد. إلا أن ثويني غضب عليه وعاقبه بالسجن بعد أن كبّله بالسلاسل الحديدية واسكنه مكاناً حاراً مما أضعف صحته^(٣).

ومقابل هذه التحديات أشار مكتوم بن بطي على كل من ابن مطلق وابن صقر أن يجمعا قواتهما من بدو وحضر ويسيرا إلى أعالي دبي ليحولا دون الاتصال بابن طحنون وقبائل بني ياس، وبالتالي منعهم من مغادرة أبو ظبي ومحاصرة البريمي. لكن ابن مطلق رفض هذا الاقتراح وذلك لصعوبة الظروف المالية^(٤).

ولم تكن بريطانيا بعيدة عن كل هذه الأحداث، بل نددت بسياسة ثويني عندما عذب حمود بن عزان، وسافر المعتمد البريطاني هنل إلى مسقط وحاول التوفيق بين المتنازعين ومع هذا فكان الإنجليز دوماً بجانب عظمة سلطان مسقط عند الشدة، ونصحوا سعيد بن سلطان أن يعود من زنجبار إلى ممتلكاته في مسقط وذلك لاضطراب الوضع السياسي فيها زمن حكم ابنه ثويني^(٥)، ويشير لوريمر مؤرخ الخليج أن ثويني

(١) من الوثيقة الإنجليزية المذكورة أعلاه.

(٢) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص ١٩٥.

(٣) Bombay Selections, pp.229-230.

(٤) رسالة من ملا حسين الوكيل في الشارقة إلى اللفتنانت كولونيل صموئيل هنل المعتمد السياسي في الخليج بتاريخ ١١ يناير «كانون ثاني» ١٨٥٠م من محفوظات البحرين، كتاب رقم ١٦٦، القسم الثالث ص ١٦-١٨ «محفظة عند أرامكو».

(٥) Bombay Selections, pp.230-231.

حاكم مسقط نيابة عن والده سعيد بن سلطان كان يعذب المسجونين السياسيين أشد تعذيب^(١).

ولم تكن الأحداث في البريمي عام ١٨٥١ م (١٢٦٧ هـ) بأحسن من السنوات السابقة، ففي هذه السنة كانت الرياض تجابه قوات الشريف محمد بن عون التي غزت منطقة القصيم، وتذكر الوثائق البريطانية أن شريف مكة هذا كان قد اقتطع ولاية نجد من الدولة العثمانية مقابل ٦٠,٠٠٠ تومان، لذا كان موقف فيصل في هذا الوقت بالذات موقفاً ضعيفاً، وتحت ضغط الظروف السياسية والمالية رجع عن عزمه، على بعث حملة عسكرية الى عمان تلبية لنصائح اصدقائه في المنطقة^(٢). وبعد زوال هذا الخطر قرر فيصل أن يعاود نشاطه في منطقة الخليج، ففتح قطر وأخذ الزكاة من شيخ البحرين وبعدها توجه بجيش الى البريمي وذلك لتفقد المنطقة والنظر في أمورها العامة والخاصة ولإصلاح بعض الثغور فيها^(٣)، وكان مكتوم بن بطي قد ألح على سعد بن مطلق والامام فيصل على إعادة بناء خور العديد الذي هدمه سعيد بن طحون اذا ما أراد أن يحتفظ بعمان للدولة، لأن هذا الموقع استراتيجي برأ وبحراً، وسوف يسكنه سكان أبو ظبي وهذا بدوره يشكل خطراً على مشيخة دبي نفسها. ويقول هنل «إذا وقعت العديد في أيدي النجدي (الأمير فيصل) فسترتكب في البحر جميع أنواع القرصنة والمنكرات وسيزيد نفوذ الوهابين على موانئ الساحل للخليج وستصبح العديد ملجأ لذوي السيرة السيئة»^(٤).

ونستنتج من قول هنل أن الحكم في الرياض يشجع عمليات القرصنة في الخليج ويأوي الفارين، ويشجع السلب والنهب وبالتالي الفوضى والاضطراب. وإذا أخذنا الأمر من وجهة النظر السعودية نجدها مغايرة تماماً لرأي هنل وتصريحه. ويقول ابن بشران الامام فيصل أمر «الأمير أحمد السديري ان ينظر في المصالح الخاصة والعامة من

(١) Lorimer, op. cit., vol. I, p. 455.

(٢) Lt. Col. S. Hennell, to The Government of Bombay, December 21, 1850, (Bahrain Archives).

Book 166, part 3, pp.258, Office No. 490 of 1850, Cons. No.129 of 1850), ARAMCO.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٤١.

(٤) نفس الوثيقة الإنجليزية المذكورة أعلاه.

اصلاح الثغور، ونفي الخبائث والشرور، وحض الناس على الاجتماع للصلوات في المساجد وتأديب أهل الكسل والاختلاف...»^(١). ويذكر حافظ وهبة أن شخصية فيصل كان لها «الفضل في احياء النظام والقضاء على الفوضى وسيادة الأمن والقانون»^(٢).

وفي عام ١٨٥٢م (١٢٦٨هـ) تم توقيع اتفاق بين سعيد بن سلطان حاكم مسقط وبين سلطان بن صقر صاحب الشارقة ورأس الخيمة ورئيس القواسم وينص هذا على أن سعيد بن سلطان تعهد لابن صقر وذلك عن طريق وساطة المعتمد أنه لن يمد يده على بلدانه وطوارفه (ملحقاتها) من الخطم ومضرب مشمل الى اطراف الظاهرة، ولا يساعد خصمه عليه، ما دام ابن صقر متقيداً بالموقف السلمي وما دام لا يعتدى على مناطق سلطنة مسقط^(٣). والملاحظ من اعتراف سعيد بن سلطان وتعهد هذا بأن أراضيه لا تتعدى اطراف الظاهرة. فإن هذا ما يثبت كون البريمي تابعة للسعوديين^(٤).

غزا فيصل وابنه عبدالله عربان المنطقة الشرقية لقيامهم بعدة غارات على مدن المنطقة. وأرسل فيصل ابنه عبدالله الى البريمي في عمان، وفي الوقت ذاته كان سعيد بن سلطان حاكم عمان قد عاد الى ممتلكاته في افريقية (زنجبار)، وغدت بلاده مسقط في حالة من الفوضى كانت سبباً في نجاح حملة ابن عبدالله بن فيصل التي استهدفت تثبيت السلطة السعودية فيها والعمل على دراسة متطلبات المنطقة وكان يرافقه في حملته أحمد السديري حاكم الأحساء^(٥)، وتشير وثائق بمباي أن عبدالله بن

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٤١.

(٢) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٣) عقود الجمان، ص ٩٧، نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٩٩.

- الخطم: هي الحد الفاصل بين أراضي سلطان مسقط وأراضي مشيخة القواسم.

أنظر: أحمد قاسم البوريني - الإمارات السبع، ص ١٥١.

(٤) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص ١٩٩.

(٥) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٩.

الفصل الرابع

فيصل جاء منصفاً ومصححاً للأخطاء التي حلت بالبلاد وشيوخها^(١)، وة حاراً. ويقول ابراهيم بن عيسى ما يلي :-

« وتلقاه الرؤساء والأكابر والأعيان للسلام، وقابلوه بالمسح والطاعة والانقياد، وكان عاقلاً حليماً عادلاً شهياً حازماً، أحسن التدبير فعاملهم بالرفق والإحسان. . فانالت عليه الهدايا والتحف وقبض خراج البلاد، مائة ألف ألفاً . . . النصف من ذي القعدة من السنة المذكورة. . . »^(٢).

وتشير وثائق بمباي الى هذا الاستقبال فتقول: « . . . لقد هر القبائل الخائفة لمقابلة قائدها (عبدالله بن فيصل)، وأخذت تتنافس الطاعة إليه. وبادر الزعماء البحرليون في المنطقة الساحلية من عمان بالتقرب منه. . . »^(٣). وقد عامل عبدالله الجميع بالرفق ومنح الرؤساء العطايا والهبات وأجرى عدة اصلاحات في المنطقة^(٤)، ويبدو أن طاعة القبائل للقائد السعودي كانت على نوعين، منها عن رضى ومنها عن إكراه. فوصف وثائق بمباي للقبائل والرؤساء الذين جاءوا ليؤدوا فروض الطاعة بالخوف دليل على أن بعضهم كان يطيع نجد بالقوة، وهذا ما تفسره لنا حوادث الانفصال والاضطراب في المنطقة حتى في البريمي نفسها. وما مجيء عبدالله بن فيصل هذه المرة الى المنطقة الا حلقة من حلقات التأكد من سير أمور المنطقة، ولحل الخلافات بين القبائل، ولسبب هام هو تخويف ثويني صاحب مسقط الذي رفض دفع الزكاة، وعامل حمود بن عزان معاملة سيئة فأمر بحبسه وأهانته كثيراً وكان هذا صديقاً حميماً لنجد، حتى أن سبب حبسه كان لموقفه المعادي لثويني الذي طلب

(١) Bombay Selections, p.232.

- يذكر فليبي في كتابه العربية السعودية، ص ٢٠٦ وكذلك يذكر أمين سعيد في كتابه الخليج العربي، ص ٥٣، أن فيصل سار بنفسه إلى البريمي، والصحيح، أن فيصل عاد إلى الرياض وأرسل ابنه إليها، أنظر ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٤١.

(٢) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٩.

(٣) Bombay Selections, p.232.

(٤) عقود الجمان، ص ٩٨، ٩٩، نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢.

منه أن ينضم للحلف الذي عقد بين ثويني وابن طحنون لأخذ البريمي من وكيل نجد^(١)، ولكن صلحاً وقع بعد الوساطة بين ثويني وعبدالله بن فيصل من شروطه: أن تدفع مسقط للرياض أتاؤه قدرها ١٢,٠٠٠ ريال بالإضافة إلى مبالغ متأخرة قدره ٦٠,٠٠٠ ريال. ويتعهد فيصل بتقديم المساعدة لسلطان مسقط في حالة الشدة. وتبقى حدود الطرفين كما كانت سابقاً وإن يتبادل الفريقان التزود بالموثمن والامدادات كالعادة^(٢).

أرسل عبدالله بن فيصل أحمد السديري عام ١٨٥٣م (١٢٦٩هـ) إلى منطقة ضنك جنوب واحة البريمي ومعه قوة سعودية مؤلفة من ٦٠٠ هجان وفارس وعدد من المشاة من بين قتب وغيرهم، وتنقل في هذه المنطقة، وعبر الجبل الأخضر في شرق البريمي، وبهذه الحملة تكون القوة السعودية قد توغلت داخل سلطنة عمان وأخذ أحمد السديري الأتاوة من زعماء المنطقة^(٣).

أوردت الحكومة السعودية وثيقتين تحتفظ بهما تثبت امتداد سلطة الدولة السعودية زمن فيصل على البريمي وما وراءها. والوثيقتان بخصوص زكاة عبدالله البلوش جابي الدولة في البريمي قديماً تعفيانه من الزكاة المستحقة عليه، وكان هذا من بلدة ضنك. واليك نص الوثيقتين:

الوثيقة الأولى تقول :-

من عبدالله بن فيصل الى من يراه السلام.
«وبعد من قبل مال عبدالله بن راشد بن اسماعين (اسماعيل) البلوش الذي ببلدة ضنك لا يعارضه احد منهم بشيء من الأنواب غير الزكاة ليكون ذلك معلوم والسلام».

(١) عقود الجمال، ص ٩٩، نقلاً عن عرض الحكومة السعودية، مجلد ١، ص ١٠٢.

(٢) Bombay Selections, p.233.

- تعاليق باجر في ترجمته لكتاب «تاريخ الأئمة والأسياذ في عمان» ص ٣٦٨.

(٣) من رسالة يعقوب بن بشير إلى بروزكمبل، مؤرخة في ٢٣ ذي القعدة ٩ ذي الحجة ١٢٦٩هـ (نحو ٢٨ أغسطس إلى ١٣ سبتمبر ١٨٥٣م)، شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران.

والوثيقة هذه مختومة بخاتم الدولة الرسمي ومؤرخة في ٢٠ محرم ١٢٧٠م (نحو ٢٣ أكتوبر ١٨٥٤هـ)^(١).

الوثيقة الثانية :-

من عبدالله بن فيصل الى من يراه السلام .
«وبعد من قبل زكاة المازم من التمر الحب حنا مخرجينها لعبدالله بن راشد ابن اسماعين فلا يعارض في ذلك ليكون معلوم والسلام».

والوثيقة مختومة بالخاتم الرسمي ومؤرخه في ٧ صفر ١٢٧٩هـ (نحو ٩ نوفمبر ١٨٥٣)^(٢).

لقد بدت الأوضاع السياسية في مسقط عام ١٨٥٣م (١٢٧٠هـ) في صالح نجد حيث أن القبائل شقت عصا الطاعة على سيدها ثويني ، ورفضت دفع الزكاة له . وقد طلب العون من عبدالله بن فيصل الذي وقع معه معاهدة تحالف هجومية^(٣) ، كما ذكرنا سابقاً .

وبعد ذلك غادر عبدالله بن فيصل الريمي متوجها إلى الرياض وجعل أحمد السديري وكيلاً سعودياً فيها . وكان السديري من أخلص الشخصيات لفيصل ومن ألمع المقربين إليه ، وغدت أسرة السديري من الأسر العاملة في الدولة حتى أن حوالي ١٣ شخصاً من هذه الأسرة خدموا الدولة السعودية الحديثة التي أسسها عبدالعزيز آل سعود في فترة الخمسين سنة الأولى^(٤).

وفي أثناء حكم أحمد السديري اعتدت قبيلتنا الدروع وقتب على قبيلة المناصير ، فأصدر عبدالله بن فيصل تعليماته الى أحمد السديري بإرسال رؤساء القبائل المتنازعة

(١) عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣) Bombay, Selections, pp.233-234.

(٤) Philby, Arabia Jubilee, p.271.

واستطاع عبدالله أن يصلح فيما بينها^(١). ومع هذا فلم تهدأ عمليات الاعتداءات بين القبائل، وهذا يوضح برغم الاجراءات الشديدة أن المنطقة كانت تخضع لظروف قبلية وعادات بدوية كان لها أثر عظيم في هذه الحوادث. وقد حاول أحمد السديري جاهداً منع الاعتداءات وكبح جماح البدو في البريمي^(٢). ويعترف أحمد السديري في رسالته التي وجهها الى قبائل المنطقة أن الفتن والاضطرابات متعددة فيها، ونصح بعدم قيام مثل هذه التصرفات، وبين أن الدولة السعودية تريد أن يسود نظام الشرع في البلاد، وأن يعم الرخاء بانقطاع الفتن^(٣).

وجاء في تقرير كمبل المعتمد البريطاني في الخليج في يوليو ١٨٥٤م (١٢٧٠هـ) أن إمام مسقط حاكم مستقل، لكنه يدفع الزكاة للحاكم السعودي الأمير فيصل، ويبلغ مقدارها ٢٠,٠٠٠ ريال سنوياً منها ١٢,٠٠٠ ريال عن مسقط و ٨٠٠٠ ريال عن صحار^(٤)، ويذكر في مجال آخر من التقرير أن كلا من مشيخات مسقط وصحار والبحرين دول مستقلة، لكنها تعترف بسيادة الحاكم السعودي حينما تمكنه قوته من ذلك، وينتظر عوناً عسكرياً منها أو على الأقل مدة بالمؤن التي يحتاج إليها جنوده في المنطقة، ويدل على ذلك أن حامية البريمي كانت تتلقى المؤن والمدد من عمان^(٥)، ويتضح من هذا أن ولاء هذه الامارات مرهون باستعمال القوة وهذا يعتمد على قوة مركز السلطة السعودية في الرياض.

ولم تنقطع العداوة بين شيخ القواسم سلطان بن صقر وبين شيخ أبو ظبي ابن طحنون، وطلب رئيس القواسم من أحمد السديري الذي زار الشارقة عام ١٨٥٤م

(١) من رسالة يعقوب بن بشير إلى كمبل، في ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠هـ «٢٨ ديسمبر ١٨٥٣م»، شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران.

(٢) Lorimer, op cit., vol.I, p.1114.

(٣) من رسالة يعقوب بن بشير إلى الكومودور روينسون، مؤرخة ١٨ رجب سنة ١٢٧٠هـ «نحو ١٦ ابريل ١٨٥٤م»، شركة الزيت العربية الأمريكية.

(٤) Bombay Selections, p. 288.

(٥) Bombay Selections, p. 292.

(١٢٧٠هـ) أن ينضم بحامية السعودية معه في حلف هجومي ضد أبو ظبي ، لكن أحمد السديري رد عليه بالتالي .

أنا لا أعاهد مثل هذا ، ومرادك حرب بني ياس وحكومة مسقط وكلهم لهم معاهدة مع الامام فيصل ، ونحن نحافظ على العهد والصداقة فلا يمكن أن نهلك عليهم^(١) .

كانت سياسة أحمد السديري في المنطقة سياسة رشيدة ، وكان يصرح بأن سياسته قائمة على صداقة الجميع « . . . ونحن لا نحب إلا الخير والعافية وأن يكون حال الجميع جميلاً . . . ولا نعامل أحداً إلا بالصدق وحسن السيرة . . . »^(٢) .

ونفهم من سياسته أنه صديق لكل من شيوخ القبائل المؤيدة ، ويعادي من تعادي نجد . وما هذا الموقف الا نتيجة حتمية لحوادث التناحر والمنافسات والاضطرابات التي سادت المنطقة قبل أن يعين أحمد السديري فيها وبخاصة الحوادث التي تحدث بين قبائل المناصير في منطقة الظفرة^(٣) ، وكذلك بين بني قتب والنعيم وبني كعب والغفلة والدروع في البريمي وما جاورها من الأراضي التابعة للسعوديين .

وفي السنة نفسها نشب نزاع بين هذه القبائل المذكورة ، فأصدر السديري أوامره للجميع بتجنب النزاع والالتزام بالنظام والهدوء . لكن قبائل المناصير في الظفرة لم تتقيد بأوامره ، فأرسل اليها في فصل الشتاء حملة عسكرية تأديبية في منطقة الجواء ، فقتلت منهم ٢٥ شخصاً ، وأخذت حوالي ٦٠٠ جمل ، فوزعت خمس هذه الغنائم على المحاربين^(٤) .

(١) من رسالة يعقوب بن بشير إلى كميل ، مؤرخة في شعبان ١٢٧٠هـ «مايو ١٨٥٤م» ، شركة الزيت العربية الأمريكية .

(٢) من رسالة يعقوب بن بشير إلى كميل ، المؤرخة في شعبان ١٢٧٠هـ والمذكورة سابقاً .

(٣) الظفرة : إقليم يقع في منطقة الأحساء ويمتد جنوباً من الخليج العربي إلى الربع الخالي ومن سبخة مطى حتى الغرب ، ما يقارب خط الطول ٢٥ شرقاً من جهة الشرق . أنظر : شركة الزيت - آرامكو - شعبة البحث « المناطق الشرقية من مقاطعة الأحساء » والتعريف هذا موجود في مقدمة البحث .

(٤) من رسالة يعقوب بن بشير ، الوكيل في الشارقة إلى المعتمد البريطاني في الخليج كميل مؤرخة في ٢٣ صفر ١٢٧١هـ حوالي ١٥ أكتوبر ١٨٥٤م ، آرامكو .

وأرسل السديري سيف بن علي الظاهري لأخذ الأتاوة من حاكم مسقط. وكانت الحالة السياسية وقتذاك لا تخول ثويني الرفض، لأن العجم استولوا على قلاع من سلطنته المقابلة لجهة فارس. ولظهور أحمد السديري الذي أربك حاكم مسقط كذلك، وتحت هذه الظروف السياسية أجاب ثويني إلى قبول دفع الأتاوة (الزكاة) السابقة^(١).

وقد تعهد فيصل برسالة إلى المعتمد البريطاني كمبل عام ١٨٥٥م (١٢٧١هـ) أنه يتعاون مع بريطانيا على كبح جماح القبائل التي تقوم بالسلب في المنطقة. وأشار في رسالته إلى التفاهم بين أجداده وبريطانيا لمدة مائة عام بخصوص سلامة التجار والمسافرين في البحر^(٢).

ولما حدثت في أبوظبي فتنة أهلية أدت إلى خلع ابن طحنون وتعيين ابن عمه زايد بن خليفة^(٣) حاول ابن طحنون استرداد سلطته فاستعان زايد بالامام فيصل فأرسل الأخير إلى السديري أمراً بمساعدة زايد، وكان لهذا أثر في تثبيت سلطة زايد وبالتالي قتل ابن طحنون^(٤). وبعد سنتين عاد السديري بأمر من فيصل ليتسلم حكم منطقة الأحساء وخلفه في منصبه على البريمي ابنه تركي الذي حكم المنطقة ١٢ سنة، وكان موفقاً في طريقة حكمه ومعاملته للناس وبنى قصراً عرف بقصر السديري في الواحة^(٥)، ولجأ إلى خطة التقارب مع القبائل القاطنة هناك فتزوج تركي بن أحمد السديري الوكيل السعودي الجديد من ابنة أحمد بن محمد من آل سرور وتزوج أخوه عبدالرحمن بن أحمد السديري من ابنة سلطان بن محمد الصلف، وهو من رؤساء بني خريبان فرع من النعيم القاطنة في البريمي والتي كانت دوماً من القبائل المؤيدة للحكم السعودي^(٦). والواقع أن حكم تركي في المنطقة كان يشابه إلى حد كبير حكم والده

(١) حميد بن زريق الفتح المبين في سيرة البوسعيدين، مخطوط مجلد ٢ بدون أرقام، آرامكو.

(٢) Lorimer, op. cit., vol. I. p. 1118.

(٣) Lorimer, ibid., vol. I. p. 768.

(٤) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ٢، ص ٢١٥.

(٥) عقود الجمان، ص ١٥٧، نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢١٦.

(٦) عقود الجمان، ص ١٥٦، نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢١٦.

فيها، فكلاهما عمل على نشر الأمن والطمأنينة بين الرعايا، وصالحا القبائل المتنازعة، وحببا عند الناس العمل الجدي، وتشددا في قمع أعمال السلب والنهب والفضوى وكانت هذه الاجراءات تتجاوب تماما مع رغبة الناس الذين «يجبون حياة آمنة» كي يعملوا بشكل عادي، وهذا ما وفره أحمد السديري وابنه تركي في المنطقة^(١).

علاقة الدولة بالعثمانيين :-

أما عن علاقة الدولة السعودية بالجزء الغربي، فقد اعترف فيصل بن تركي بالسيادة الاسمية للعثمانيين، وطبق عليه نظام الالتزام العثماني، وهو أن يدفع للدولة مقدارا من المال دليلاً على الطاعة، ويتصرف في الداخل بكل حرية، وهذا نوع من الاستقلال الداخلي، ومع أن فيصل كان تابعا اسمياً لسيادة العثمانيين إلا أن ذلك لم يمنعه من مفاوضة المعتمد البريطاني بلي عندما زار الرياض عام ١٨٦٥م (١٢٨٢هـ)^(٢).

وظلت صلات الدولة السعودية مرتبطة مع الاشراف في مكة، يرسلون خراجاً عن طريقهم الى السلطان في استانبول عن طريق ولاية مصر. وتشير الوثائق الأجنبية أن شريف مكة محمد بن عون استقطع من الحكومة العثمانية ولاية نجد مقابل أن يدفع لها ٦٠,٠٠٠ تومان في السنة^(٣). والشريف بدوره يأخذ جزية من نجد باسم الدولة العلية، ويبدو أن فيصل لم يدفع الخراج بشكل مستمر، بل كان الدفع يعتمد على ما يمكن تحصيله من الزكاة المفروضة على مناطق نجد والمناطق الشرقية، فإذا تأخرت أو انقطعت تأخر دفع فيصل للدولة أو انقطع عنها. هذا الى جانب حالة العلاقات السياسية بين الأشراف ونجد من جهة ونجد والعثمانيين من جهة أخرى، فإذا تأزمت العلاقة توقفت نجد عن إرسال الخراج المقرر وبالتالي تسوء العلاقة، وأخيراً لا بد من

(١) عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢١٦.

(٢) يذكر حافظ وهبة في كتابه «جزيرة العرب» ص ٢٣٩، أن مفاوضات بلي مع فيصل كانت عام ١٨٦٢م والصحيح كانت عام ١٨٦٥م.

(٣) Lt. Col. S. Hennell, to The Government of Bombay, December 21, 1850 (Bahrein Archives,

Book 166, part, 3, pp.257-258, Office No.490 of 1850, Cons. No. 129 of 1850), ARAMCO.

وقوع الاصطدام المسلح بين الطرفين. لذا يمكن القول إن دفع الخراج كان في حالة مد وجزر.

ساعت العلاقة بين الأشراف في مكة ونجد عام ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ)، وسبب ذلك يعود لمساندة أشراف مكة لإقليم القصيم وتشجيعه على الانفصال عن ولاية نجد. وكانت مكة تنمي روح الاستقلال في الإقليم على شرط أن تكون المنطقة تابعة للأشراف بعد أن تمنح الحكم الذاتي، وكانت القصيم تحاول جاهدة في سبيل الحصول على الاستقلال الذاتي والانفصال عن نجد، فقامت بثورات ذكرناها في الفصل الثالث من هذا البحث. وكانت مكة مركزاً يتجمع فيه الفارون من سلطة الرياض. فقد لجأ إليها خالد بن سعود بعد فشله أمام ثورة ابن ثنيان، وكان زعيم منطقة القصيم عبدالعزيز آل محمد قد فر إليها بعد ثورته ضد الرياض. وتحت ضغط هذه العناصر الفارة من حكم الرياض قنع الشريف محمد بن عون بمهاجمة الرياض وعزل فيصل وتعيين خالد بن سعود على ولاية نجد. فقام بحملة احتلت القصيم بدون مقاومة نتيجة اشتداد موجة العداء فيها ضد الرياض. والتقت جيوشه بالسعوديين برئاسة فيصل وابنه عبدالله، لكن الأمر حل بشكل سلمي عندما مثل الشريف عبدالله بن لؤي ومثل فيصل أخوه عبدالله بن تركي ومحمد بن عبدالله بن جلاجل ومعهما عشرون رجلاً. واجتمع الممثلان في مكان يدعى الشمس على حدود المنطقة الغربية^(١)، واتفق الطرفان على أن يدفع فيصل مبلغاً قدره ٢٠,٠٠٠ ريال إلى شريف مكة كخراج سنوي للسلطان العثماني الذي استقطع نجداً للشريف^(٢)، وأن تنسحب قوات الشريف من القصيم وتعود إلى مكة^(٣). وكان لهذا الحادث وهذا الضغط أثر في قبول فيصل الصلح مع شيوخ البحرين، وذلك مقابل دفعهم له أتاوة (زكاة) سنوية تقدر بحوالي ٤٠٠٠

(١) يذكر ابن بشر في كتابه عنوان المجد، مجلد ٢، ص ١٢٢ وعنه أخذ الكثير أن يمثل فيصل في محادثات الشريف كان عبدالله بن تركي، بينما يذكر إبراهيم بن صالح بن عيسى في كتابه «تاريخ بعض الحوادث ص ١٧٠ أن الذي مثل فيصل هو أخاه جلوي». والصحيح هو عبدالله ابن تركي.

(٢) Major S. Hennell, to The Government of Bombay, September 9, 1847, (Bahrein Archives, Book 154, p.469. Office No.387 of 1847, Cons. 92 of 1847), ARAMCO.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٢٢.

ريال^(١). وخير دليل على تدخل الأشراف في أمر نجد ومناطقها، المرسوم الذي أصدره الشريف عبدالمطلب بن غالب خليفة محمد بن عون، والذي يعلن فيه لكل من عبدالعزيز آل محمد وناصر السحيمي شيخ القصيم عن توليه منصبه الجديد وهو شرافة مكة^(٢).

وبما يثبت توسط الأشراف بين نجد والدولة تدخل الشريف محمد بن عون في مشكلة الخلاف بين فيصل بن تركي وسعيد بن تركي وسعيد بن طحنون صاحب أبو ظبي بشأن البريمي، فعندما اعتدى سعيد بن طحنون واحتل حصون البريمي من الوكيل السعودي محمد بن سيف العجاجي، أرسل الشريف بعد اتصال فيصل به وإعلامه بما حدث، مبعوثاً عنه يدعى الشريف علي إلى بوشهر في الخليج ليجمع مع المعتمد البريطاني ويعرج على أبو ظبي ليقنع ابن طحنون بالانسحاب من الحصون التي احتلها. وجاء في الرسالة التي حملها المبعوث للمعتمد ما يلي :-

«أريد أن أعلمكم بالنسبة لفیصل بن سعود، ولا يخفى عليكم بأن حصون البريمي ملك لفیصل، وأن آل بو سعيد وسعيد بن طحنون اعتدوا على الحصون وأخرجوه منها. وانه (فیصل) يدفع للسلطان العثماني خراجاً سنوياً مقداره ١٧٠٠٠ ريال عن المنطقة. وأن فیصل ترك الأمر، وكتب إلي عن عداوة ابن طحنون وآل بو سعيد له، وأرجوكم ان لا تقفوا موقفاً معاكساً له. ولا أريد أن أطول عليكم، فان الشريف علي المرسل من قبلي سوف يحضر عندك ومن فمه تسمع القصة»^(٣)، ومر الشريف علي وهو في طريقه إلى بوشهر بأبو ظبي وتفاوض مع سعيد بن طحنون، واقنعه ان يعيد القلاع إلى سعد بن مطلق^(٤). وبعد مدة قصيرة بعث فیصل برسالة إلى هنل- يطلب منه كبح

(١) الوثيقة الإنجليزية نفسها المذكورة أعلاه.

(٢) أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٣٧٤.

(٣) ترجمة الوثيقة الإنجليزية رقم ٣٩٣ - جزء ١٠، القنصلية ١٤ مؤرخة في ٢ مارس ١٨٤٩م، رسالة من الشريف محمد بن عون إلى المعتمد البريطاني مؤرخة في ١١ ذي القعدة ١٢٦٤هـ «٩ أكتوبر ١٨٤٨م».

أنظر: Kelly, op. cit., p.71.

(٤) Kelly, ibid., p.73.

جماح سعيد بن طحنون واقناعه بالابتعاد عن اثاره المشكلات لنائبه في المستقبل^(١).

وأما عن علاقة نجد بالخدوية فعلى ما يبدو كانت علاقة حسنة ولم تحدث من الأعمال ما عكر صفو هذه العلاقات. لأن الخديوية في مصر وقتذاك كانت تتبع الدولة العثمانية ولو تبعية اسمية فقط. وعن طريقها كانت تتم عمليات التبادل والمحادثات وإرسال الجنود لقمع حركات التمرد في جزيرة العرب. ومما يؤكد صداقة نجد بالقاهرة ما جاء في رسالة من الخديوي إسماعيل باشا إلى فيصل بن تركي رئيس ولايات نجد عبر فيها عن استمرار المودة والصداقة بين الدولتين، وأن تدوم المودة بينهما^(٢). وكانت هذه الرسالة رداً على رسالة بعثها أمير نجد، فيصل إلى الخديوية عام ١٨٦٢م (في ١٢ ذي الحجة عام ١٢٧٩هـ) تبين ثبات فيصل على صداقته ومودته للخديوية، كما وتبدلت الهدايا بين نجد والقاهرة^(٣). ومع أن الهدايا المتبادلة لم تكن دائماً دليلاً كافياً على حسن العلاقة، إلا أن الهدايا المتبادلة بين الطرفين كانت تعبر عن واقع الصداقة بينهما.

وقد استعانت الخديوية والدولة العثمانية بالأمير فيصل ضد ثورة عسير عام ١٨٦٣ (١٢٧٠هـ)، وأرسل الخديوي إلى فيصل كتاباً ذكر فيه «أنه لا يخفى على حضرتكم ما حل بجهة اليمن من تمرد بعض الأشقياء. . وأن درء المفاصد مقدم على جلب المصالح، وتلك الجهة وإن لم تكن تحت حكومة هذا الطرف (يعني الخديوية) لكن بالنظر لوصلة الارتباط بالدولة العلية يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر ما يمكن في تأديب من تعدى. . . والمهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص وعساكر تقمع هذه الفتنة. . ومن القديم مؤكد ومثبوت انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء ما يلزم لها من الأشغال. . وغاية المأمول أن ما يلزم إلى العساكر

(١) Kelly, ibid., p.73.

(٢) دفتر ١٩١١ - أوامر كريمة، صورة الأمر الكريم رقم ٦ بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٨١ ص ٣٢ من الخديوي إسماعيل باشا إلى فيصل أمير نجد، عابدين.

(٣) دفتر رقم ١٩١٠، أوامر عربي، صورة الأمر الكريم رقم ٤، ص ٢٩ بتاريخ ٧ جمادى أول ١٢٨٠هـ من الخديوي إسماعيل إلى الشيخ فيصل بن تركي.

المرسلة من هذا الطرف من المساعدات من جهة جنابكم سواء كان في تسهيل أمورهم أو قضاء لوازمهم يشير اجراءه بوقته وما يبرز من هممكم في هذا المقصد المستحسن. .»^(١) ويبدو أن فيصل لم يقدم أي مساعدات تذكر لأنه كان على علاقة طيبة مع قبائل عسير ومع زعماء المنطقة من آل عائض، حتى أنه في احيان كثيرة كان يحكم عسير يرسلون الى حكام نجد بعض غنائمهم دليلاً على الولاء والطاعة الممتدة عليهم منذ زمن الامام عبدالعزيز بن محمد بن سعود^(٢).

وكانت الخديوية تأتمر بأمر السلطان العثماني بشأن توجيه قوات عسكرية لاختاد الثورات في جزيرة العرب. واليك نص الوثيقة التاريخية الموجهة من السلطان عبدالعزيز الى جناب الخديوي اسماعيل باشا بشأن المسألة العسيرة في الجزيرة العربية.

«إن الإقدام والمساعي المعروفة منكم، لبقاء توجيهنا اليكم، واستمرار حسن ظننا القديم فيكم، إنما هو لحميتكم واستقامتكم الذاتية التي انتم متصفون بها، ومجبولون عليها، وذلك هو المستحسن لدينا دائماً. وهذه المرة قد أكد اعتمادنا عليكم ووثوقنا بكم بزيادة ما وقع منكم من المهمة والغيرة بخصوص اندفاع مسألة عشيرة العسير المهمة، من دون حرب. جعلنا جناب الحق في سائر الأحوال، مظهر التوفيقاته الالهية آمين»^(٣).

وقد لبي الخديوي ما طلبه السلطان إلا أن الأمور حلت بشكل سلمي مع

(١) دفتر رقم ١٩٠٨، أوامر عربي ص ٩٥، صورة الأمر الكريم رقم ٤٢، بتاريخ ٢٥ ذي الحجة

سنة ١٢٨٠هـ، من الخديوي اسماعيل إلى فيصل بن تركي، دار الوثائق القومية بعبدين.

(٢) محمد بن أحمد بن عيسى العقيلي، من تاريخ المخلاف السلياني، القسم الثاني من الجزء الأول ص ٥٨٠.

- إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث، ص ٦.

(٣) خط همايوني، منتخبات الجوائب، ج ٥ ص ٧٨ مؤرخة في سنة ١٢٨٢هـ من كتاب، الياس

الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا، مجلد ٢، ص ٢٣٦.

محمد بن آل عائض أمير منطقة عسير أو ما يلقب بقائم مقام سنجق دار العزيزية اليمانية، على أن يتخلى عن معارضته وفكرة انفصاله عن الدولة العلية مقابل منحه رتبة أمير امراء^(١).

(١) وثيقة بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٨٢هـ «بدون رقم» ومقيدة بسجل رقم ٢٢، عابدين، ص ٩٣ بند متفرقات من خديوي مصر إسماعيل باشا إلى محمد بن عائض أمير عسير.

الفصل الخامس

عهد الفتن والفوضى في الدولة

١٨٦٥ - ١٨٩١ م

١٢٨٢ - ١٣٠٩ هـ

محتوياته

- الحرب الأهلية بين أبناء فيصل .
- موقف العثمانيين من الحرب الأهلية .
- موقف آل رشيد من النزاع السعودي .
- نتائج الحرب الأهلية .
- ضعف الدولة وسقوطها .

الفصل الخامس

عهد الفتن والفوضى في الدولة

١٨٦٥ - ١٨٩١ م

١٢٨٢ - ١٣٠٩ هـ

تمهيد :

ترك الامام فيصل من الأولاد الذكور أربعة، وهم عبدالله ومحمد وسعود وعبدالرحمن، وطبقاً للقاعدة المتبعة في وراثة الحكم في الدولة السعودية بشكل عام، يورث الابن الأكبر عبدالله بالإمامة^(١)، وبموت فيصل فقدت البلاد أكبر حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية. وكان لموته «أعظم الأثر في تعجيل عهد الفتن والمنازعات»^(٢) في الدولة. وكانت هذه سبباً في تمزيق البيت السعودي الحاكم ثم تمزيق وحدة البلاد التابعة له، وبالتالي سيطر بيت آل رشيد على نجد والأترار على الاحساء وخرج آخر أئمة آل سعود من الرياض ليعيش فترة طويلة لاجئاً في الكويت.

الحرب الأهلية بين أبناء فيصل :

لم تكن الفتنة وليدة موت فيصل بل هي ممتدة بجذورها إلى فترة حكمه، مما يدل على هذا ما نفس به سعود عن حسده لأخيه زمن حكم أبيه، وما هذا الحسد إلا نتيجة لصعود عبدالله سلم الشهرة بين رجال الحكم في البلاد وبين الرؤساء المحليين لكثرة عوامل الاحتكاك بهم فكانت له قاعدة شعبية تكفل له التأييد والدعم ضد الهزات.

(١) انظر رسالة الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية، الجزء السابع، ص ٢٤٢.

- ابراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص ٤١، ٤٣.

- يذكر حافظ وهبة في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين» ص ٢٤ إن وفاة فيصل كانت عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) والحقيقة كان عام ١٨٦٥ م وليس كما ذكر وهذا ما أيده كل المصادر التاريخية.

(٢) Philby, Saudi Arabia, p. 217

عرف فيصل ما يجول بخاطر ابنه سعود فولاه إمارة الخرج والأفلاج من مناطق جنوب العارض^(١). ومع هذا ما كاد فيصل يطبق أجفانه حتى رفع راية الثورة والانتفاض، فكان ذلك بدء الحرب الأهلية التي استمرت نحو ٢٥ سنة، فحرمت نجداً من الاستقرار والقتها في لجة القوضى وأضعفت هبة الدولة وسلطانها، فتألب عليها الأمراء وتسلط عليها آل رشيد في حابل ووضعوا يدهم عليها في ظروف دقيقة وصعبة^(٢).

وقبل البحث في تطور الفتنة كان علينا أن نحلل أسباب الخلاف القائم بين الأخوة لتمكن من رسم صورة واقعية للأحلاف القبيلة التي يفسرها واقع الحياة البدوية، ولتعطينا صورة صادقة عن حركات الاتصال والتأييد التي تتم بين الأطراف المعنية في النزاع. والجدير بالذكر أن أسباب الفتنة كثيرة ومتنوعة لأن الفتنة لم تكن بين الأخوين سعود وعبدالله بل تعدتها فدخلتها عناصر أخرى جديدة، فزادت بذلك الأسباب وطالت معها فترة الفتنة.

أولاً : كانت نتيجة لطمع سعود في تسلم الإمامة، إذ رفض منذ اللحظة الأولى التي استلم فيها أخوه السلطة أن يبايعه، بل زاد على ذلك ولجأ الى قبائل عسير واتصل برؤسائها من آل عائض ليساعده ضد أخيه^(٣).

ثانياً : مؤازرة بعض القبائل لسعود، كان ذلك تشجيعاً للفتنة، فأيدت قبائل العجمان سعوداً وانضم اليهم بعض قبائل بدو الدواسر وبني مرة^(٤).

(١) ابن بشر، عنوان المجد، مجلد ٢، ص ١٢٤.

(٢) انظر رسالة حمد بن عتيق إلى سعود بن فيصل في كتاب الدرر السنية، الجزء السابع، ص ٢٦٢، ٢٥٨.

(٣) أمين الريحاني، نجد وملحقاته، ص ٩٨.

- انظر كذلك رسالة الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتاب الدرر السنية، الجزء السابع ص ٢٤٢.

(٤) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٤٤.

ثالثاً : تشجيع آل رشيد في حایل وشيوخ البحرين وإمام عمان وبالنالي الدولة العثمانية للفتنة ، لأن جميعهم يتوخى فائدة من وراء استمرار مثل هذه الحرب ، فال رشيد استغلوا الفتنة وبدأوا يفكرون في السيطرة على القصيم وباقى أجزاء نجد ، وأراد شيوخ البحرين التخلص من دفع الضريبة ، وأراد حكام عمان تثبيت سلطتهم في منطقة البريمي ، وأما الدولة العثمانية فكانت تطمح في استعادة نفوذها في المناطق الشرقية من جزيرة العرب .

رابعاً : طمع بعض الزعماء المحليين في استغلال الانقسام كأداة للانفصال عن الرياض فشجعت معظم القبائل الكبيرة الفتنة ، ومن هذه القبائل قحطان والعجمان ومطير وعتيبة وعنزة في القصيم وبنو مرة وبنو خالد^(١) .

خامساً : يبدو أن عبدالله بن فيصل كان متعصباً في شئون الدين بعكس أخيه سعود الذي كان يميل الى الاعتدال والتسامح^(٢) . ولكن المدقق لهذه الفترة التاريخية يمكنه اعتبار هذا سبباً ثانوياً لأن الانقسام وإن كان في الظاهر دينياً ، إلا أنه كان في الباطن سياسياً .

سادساً : تركز قوة سعود وأبنائه في الخرج جنوب الرياض ، فكانت المنطقة عاملاً قوياً من عوامل تشجيع الفتنة واستمرارها لكثرة ما منحت سعود من إمكانيات وتأيد ، كانت سبباً في تحريض القبائل ضد عبدالله^(٣) .

سابعاً : طمع أمراء القصيم في الاستقلال وبخاصة أن عبدالله بدأ يناصر آل عليان ضد آل مهنا حكام القصيم وقتذاك . وكان على عبدالله أن لا يتحزب لأي فئة وبخاصة أثناء موقفه الضعيف^(٤) . أضف إلى ذلك أن عبدالله أسند

(١) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٧ .

(٢) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٤٠ ومحمد أنيس والسيد حراز، الشرق العربي، ص ١٤٩ .

(٣) ، (٤) من اعترافات الملك عبدالعزيز الى أمين الريحاني الذي رافقه طويلاً . انظر الريحاني، نجد وملحقاته، ص ١٠١ .

الإدارة في المقاطعات إلى ولاية قساة فأجمع جميع أخوته وأبناء عمه على خلعه^(١).

ثامناً : ومن عوامل الفتنة وجود خلاف بين سلالة تركي بن عبدالله بن محمد ابن سعود الذين أحيوا الحكم السعودي بعد سقوط الدرعية وسلالة أولاد عمومتهم سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فشجع الفرع الأخير الفتنة وزاد في اذكائها طمعاً في انسلاخ الحكم عن الفرع الأول عليهم يتمكنوا من السيطرة عليه^(٢).

تاسعاً : تشجيع بعض القبائل البدوية للفتنة من أجل مكاسب فردية وهي الإفادة من الحرب والفتنة للقيام بعمليات السلب والنهب.

بدأت ثورة سعود عندما اتجه الى عسير في الجنوب الغربي من جزيرة العرب عام ١٨٦٦م (١٢٨٣هـ)، والتجأ عند آل عائض وطلب العون من محمد بن عائض بن مرعي ليساعده مادياً وعسكرياً ضد أخيه. إلا أن عبدالله كتب الى ابن عائض بعدم مساعدة أخيه لأن ذلك يعكر صفو الصداقة، وأعلمه أن ثورة أخيه هذه لا لسبب إلا أن «مراده قطيعة الرحم والشقاق». وكتب رسالة لأخيه تودد له فيها عله يقنعه بالعدل عن رأيه في الثورة بعد أن وعده بتحقيق مطالبه الأخرى^(٣). وهل يريد سعود غير الإمامة؟ ومع هذا فقد فشل سعود من مساعدة آل عائض لعلاقتهم الطيبة مع الرياض^(٤).

(١) مجلة لغة العرب، تشرين الثاني ١٩١٣م، الجزء السادس من السنة السادسة تحت عنوان أمراء آل سعود في جزيرة العرب، ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) أمين سعيد، المرجع السابق، مجلد ١، ص ٧٠.

(٣) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٤٤.

- محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، ص ١٠١.

(٤) انظر رسالة الشيخ حمد بن عتيق إلى سعود بن فيصل في كتاب «الدرر السنية» المجلد السابع، ص ٢٥٨، ٢٦٢.

وقبل الخوض في تطور الفتنة يتبادر إلى الذهن سؤال، هل الحرب القائمة بين الأخوة حرب فردية بطلاها عبدالله وسعود وأخواهما محمد وعبدالرحمن أم هي حرب قبلية؟ وإن كانت حرباً قبلية فما غاية القبائل منها؟

والواقع لم تكن حرباً من أجل فردين متنازعين، بل كانت حرب قبائل تجمعت لديها أسباب الحرب وعادت إلى الوجود العداءات القديمة التي كانت بين القبائل بعضها وبعض من جهة والقبائل وآل سعود من جهة أخرى لأنها تعيد إلى الأذهان الحروب الطويلة التي قادها آل سعود ضد القبائل المعارضة لدعوة التوحيد. وظلت هذه العداءات خامدة حتى جاء من أيقظها وهو الخلاف الأخوي الذي نحن بصددده. ولم تدخل الكتل البدوية في الحرب إلا لغاية في نفسها، فبنو خالد يريدون عودة سلطتهم القديمة في مناطق الشرق. والدواسر والعجمان وبنو مرة يحاولون الاستقلال والتمتع به وبأعمال الغزو. ثم دخلت العائلات النجدية القديمة تريد استعادة مكانتها الأولى، والأشراف يريدون السيطرة على القصيم وباقي نجد، وآل رشيد يطمعون في توسيع رقعة إمارتهم خارج نطاق الجبل، والأترار يريدون قمع الحركات الانفصالية في الجزيرة، وبعض الجماعات تريد الحرب للإفادة من السلب والنهب والاعتداء على البلدان والقرى والمدن.

ولنعد للثائر سعود الذي غادر عسير واتجه إلى أبها في الجنوب على حدود اليمن وتجهول في المنطقة فزار نجران، وهناك جمع قوة من بدو نجران وأبها وآل مرة بزعامه رئيسهم فيصل المرضف ومن بدو آل شامر برئاسة الشيخ علي بن سريعة. وايدته كذلك قبائل منطقة السليل في جنوب نجد بزعامه شيخها مبارك بن روية، وساعده أمير نجران بالمال والعتاد ورافقه ولدان من أولاده، هذا إلى جانب عدد كبير من بدو الدواسر، والتقى بحشود جيشه بقوات أخيه عبدالله التي كانت بقيادة أخيه محمد بن فيصل في مكان يدعى المعتلا^(١)، انهزمت فيه قوات سعود بن فيصل وقتل زعيم قبائل شامر علي بن سريعة وإبنا أمير نجران وجرح سعود بعدة جروح حتى أن إحدى يديه تشوهت

(١) انظر رسالة الشيخ حمد بن عتيق إلى سعود بن فيصل في كتاب «الدرر السنية»، المجلد السابع،

وفر مع من بقى من عربانه إلى الأحساء، ثم إلى عمان. وقتل من قوات محمد أمير بلدة روضة سدير، عبدالله بن ماضي وأمير بلدة حريملا، عبدالله حمد مبارك^(١).

ومن نتائج هذه الواقعة ما يلي :-

أولاً : فر سعود وجماعة من عربان آل مرة إلى المنطقة الشرقية ليقيم في الصحراء حتى تندمل جراحه.

ثانياً : بعد أن شفي سعود من إصاباته توجه إلى البريمي في ضيافة أميرها تركي ابن أحمد السديري الذي قتل فيما بعد في الشارقة وهو يحاول جمع قوة عسكرية ليساعد سالم بن ثويني الذي خلع عن عرش مسقط ضد عزان ابن قيس الذي انتزع الحكم من سالم^(٢).

ثالثاً : بدأ سعود يخطط من أجل فصل المنطقة الشرقية عن أخيه لكي تفقد الرياض جزءاً حيوياً ومنفذاً هاماً على الخليج، معتمداً هناك على مساعدة المعتمد البريطاني في الخليج^(٣)، وعلى سوء العلاقات بين مسقط والرياض، وعلى الخضوع القسري لآل خليفة ودفعهم الزكاة بالقوة لنجد، وعلى العون الذي سيقدمه بنو خالد أخواله الحانقين على حكم عبدالله، وعلى قبائل العجمان وآل مرة الذين يفضلون الحروب طمعاً في الأسلاب. وهكذا بذل سعود قصارى جهده لتكوين حلف من عمان والبحرين والعجمان وآل مرة ضد أخيه.

رابعاً : حاول سعود أن يضرب مراكز المقاومة في شبه جزيرة قطر المؤيدة لعبدالله بن فيصل، وكذلك الأحساء القلعة السعودية في منطقة الشرق والقطيف التي يرى فيها مؤيدين له.

(١) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) Philby, op. cit., p. 219.

(٣) هذا ما توضحه رسالة عبدالله بن فيصل إلى الخديوي، محفوظة رقم ١٩، بحر تركي، وثيقة رقم ٢ بدون تاريخ، باللغة العربية، دار الوثائق القومية بعبدين.

وهكذا خطط سعود بعد المعركة التي انكسر فيها . وبقي علينا أن نعرض نتائج المعركة بالنسبة للإمام عبدالله ، فكانت نتائجها هامة وكبيرة منها :

أولاً : استطاع عبدالله أن يكشف عن أعدائه نتيجة التحالفات التي دارت في في المنطقة فصمم على تأديبها .

ثانياً : عزل عبدالله بن فيصل واليه محمد السديري عن إمارة الأحساء ، وعين خلفاً له ناصر بن جبر الخالدي بعد أن اتهم الأول بالضعف ، حيث أنه لم يستطع كبح جماح قبائل العجمان المؤيدة لسعود . كما أرسل حملة تأديبية بقيادة عمه عبدالله بن تركي ضد العجمان وآل مرة في الشرق استطاعت أن تقبض على عدد منهم فقتلتهم جميعاً واجرت أعمالاً انتقامية في المنطقة كهدم منازل بعض اللامؤيدين^(١) .

ثالثاً : أرسل عبدالله حملات تأديبية ضد بدو الجنوب ، في الدواسر بخاصة ، ليعاقب العناصر التي أيدت أخاه وساعدته . وأقام بجيشه في الجنوب حوالي شهرين متواصلين ليتمكن من تثبيت دعائم سلطانه في المنطقة ، عله يتمكن من القضاء على روح الثورة القائمة هناك^(٢) .

رابعاً : ظلت أسباب التوتر قائمة بين الطرفين لأن عبدالله بن فيصل أخذ يعد العدة للقضاء على حلف أخيه سعود . الذي جمعه من إمارات الشرق وبدوها .

كان على عبدالله أن يتخذ موقفاً حازماً في منطقة الشرق ، خوفاً من أن تغلت المنطقة جميعها من يده وتصبح في قبضة أخيه سعود . لذا جرد حملة عسكرية قوامها البدو والحضر من اتباعه وسار ومعه أخوه عبدالرحمن الصغير الى مكان يدعى دجيلج قريباً من الأحساء . ومنها ظل يراقب تطورات الموقف وما يستدعيه . وكان كل همهم أن يراقب

(١) إبراهيم بن عيسى ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) Philby, op. cit., p. 220

تحشدات قوات أخيه عله ينقض عليها. وظل في المنطقة مدة أربعة أشهر لم يقم فيها بأي هجوم على عدوه إلا ما قامت به قواته من ضرب تجمعات قبائل الصهبة، إحدى فروع قبائل مطير المقيمة في منطقة الوفراء القريبة من الكويت. وقبل عودته إلى عاصمته عزز حامية قطر فأرسل لها سرية من جنده برئاسة مساعد الظفيري وأرسل سرية أخرى إلى الأحساء بقيادة فهد بن دغيشر، وبعدها عدا بقواته إلى الرياض في أواخر سنة ١٨٦٩م (١٢٨٦هـ)^(١).

استغل سعود عودة قوات أخيه فانتقل من البريمي إلى البحرين التي ساعده شيخها بقوات ناوشت الحامية النجدية في قطر عام ١٨٧٠م (١٢٨٧هـ)، ثم عزز قوته بعد أن ساعدته قبائل بني خالد والعجمان التي عقد معها حلفاً بعد أن استمال زعيم العجمان راكان بن حثلين، ويبدو أن سعود مناه بحكم المنطقة الشرقية، وهذا يتوافق مع أهداف رؤساء العجمان وبني خالد الذين كانوا يحاولون استعادة مركزهم القديم، كما تحالف معهم شيخ البحرين الذي كان يحلم باعادة امتيازاته في القطيف وسيهات، ويتخلص من دفع الزكاة للرياض.

توجهت قوات سعود المتحالفة إلى الأحساء (الهفوف)^(٢)، فخرجت حامية المدينة بقيادة أمير الإقليم ناصر بن جبر الخالدي المؤيد لعبدالله بن سعود لملاقاتها، فالتقى الطرفان في الوجاج، ودارت الحرب بينهما كان النصر فيها حليفاً لقوات سعود بعد أن خان رؤساء المدينة أميرها الخالدي^(٣). وصلت حامية الاحساء الى داخل المدينة

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٧٩.
(٢) الهفوف تسمية قديمة للبلدة التي كانت قديماً قصبة هجر، أما كلمة الأحساء فهي تسمية جديدة للبلدة، وتعود هذه التسمية الى ما ورثته الطبيعة للبلدة من كثرة المياه، ويقول الشيخ علي بن حبيب التاروتي.

سمعاً مهفهفة الهفوف من هجر أنغمة الصوت ذا، أم رنة الوتر
(٣) يذكر حافظ وهبة في كتابه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٤١، أن حاكم الأحساء آنذاك كان أحمد السديري، والحقيقة أن السديري كان قد توفي سنة ١٨٦٠م (١٢٧٧هـ) انظر: إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٣٢.

وتحصنت فيها، وظلت تقاوم حصار قوات سعود للمدينة فترة أربعين يوماً، مما أضطر عبدالله بن فيصل أن يرسل قوات من الرياض لمساعدة حامية الأحساء. إلا أن هذه النجيدات اشتبكت مع قوات سعود في بئر جودة في ١ ديسمبر ١٨٧٠م (رمضان ١٢٨٧هـ)، كان النصر في المعركة حليف قوات سعود^(١).

وننتج عن وقعة بئر جودة ما يلي :

أولاً : أسر قائد قوات عبدالله بن فيصل وكان وقتها محمد بن فيصل الذي يعتبر الساعد الأيمن لعبدالله، وسجن هذا في القطيف تحت رقابة أخيه سعود.

ثانياً : قتل في المعركة ٥٠٠ جندي من الفريقين، هذا ما أدى الى امتعاض الأهالي في بلاد نجد وفي المناطق الشرقية، وبخاصة ان هذه الحادثة كانت في الايام القريبة من عيد الفطر.

ثالثاً : استسلمت الأحساء بدون عناء، وأيد رؤساء البلدة الأمير سعود الذي أصبح سيد المنطقة الشرقية بلا منازع.

رابعاً : بانفصال الأحساء والمنطقة الشرقية، حرمت الرياض من طرق التموين الشرقية، لأنها فقدت المنطقة الحيوية من حيث الاستراتيجية التجارية والزراعية.

خامساً : تزايدت قوة العجمان وآل مرة وبني خالد، وبدأ الجميع يتحسسون طريقه لإعادة مجده.

(١) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٥٥، ٥٦.

— انظر رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتاب «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، الجزء الثالث، ص ٧٠.

سادساً : باتت الطريق مفتوحة الى الرياض، لأن قوات عبدالله تمزقت وحدثها وفقدت معنويتها، وضاع الكثير منها في الصحراء.

سابعاً : بدأ التدخل الفعلي في أمور نجد الداخلية من قبل العثمانيين في بغداد وبدأ تدخل آل رشيد اصحاب حایل التابعين إسمياً للرياض. وكان كلاهما يطمع في توسيع نفوذه.

ثامناً : تعتبر معركة بئر جودة بداية النهاية للدولة السعودية الثانية التي بدأت منذ هذه المعركة في التقلص والضعف حتى قضي عليها عام ١٨٩١م (١٣٠٩هـ).

تاسعاً : توقع عبدالله بن فيصل من أخيه هجوماً صاعقاً على العاصمة لذا جمع أمواله وعياله وغادر الرياض إلى حایل يطلب العون من اصدقائه آل رشيد، وبخاصة أنه كان متزوجاً من ابنة عبدالله بن رشيد المؤسس الأول لأسرة آل رشيد الحاكمة في حایل. كما قرر الاتصال بوالي بغداد عله يساعد في كبح جماح أخيه سعود^(١).

عاشراً : لم يغامر سعود ولم يتوجه لأخذ الرياض، بل ظل يثبت دعائم سلطته في الشرق، لذا عاد عبدالله الى الرياض بعد تشجيع من محمد بن هادي بن قرملة، زعيم قبيلة قحطان الذي حلق على سعود لأنه قابله ببرود عندما زاره في الاحساء، فاعتبر ذلك مهيناً لكرامته.

حادي عشر : عمت نجد مجاعة كبيرة، نتيجة لرداءة الموسم، ونتيجة لضعف الاقتصاديات ومرافق الحياة الأخرى لانشغال الناس في القتال. وقيل إن الناس أكلوا الجيف والحمير. واستمر هذا القحط حتى عام ١٨٧٢م (١٢٨٩هـ)^(٢).

(١) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٥٦.

(٢) إبراهيم بن عيسى، بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٨١، ١٨٢.

زحف سعود من الأحساء إلى الرياض عام ١٨٧١ م (١٢٨٨ هـ) ففر منها عبدالله والتجأ مرة ثانية عند قبائل قحطان في الجنوب^(١)، وكان قد أرسل أمواله ومدافعه وأسلحته مع سرية عسكرية بقيادة خطاب بن مقبل العطيفة إلى الجنوب لتكون في مأمن من السلب، غير أن سعودا التقى بها في الطريق فقتل رئيسها وعددا من جماعته واستولى على ما معهم. وبعد ذلك تقدم سعود إلى الرياض ودخلها بدون قتال، فأعمل فيها النهب والسلب جزاء لموقفها العدائي منه. وأصبح سعود الحاكم الفعلي في نجد بدلاً من أخيه عبدالله، وجاءه زعماء البلاد يعلنون ولاءهم التقليدي كعادتهم لكل من دخل الرياض^(٢).

وهكذا انتهت الفترة الأولى من حكم عبدالله بن فيصل لنجد وتوابعها، وبدأت فترة حكم أخيه سعود الذي استطاع أخذ الحكم بالقوة. وهنا تظهر الأخطار المحيطة بالدولة السعودية، وتبدأ التدخلات الخارجية في شئون الأسرة السعودية التي زال حكمها الثاني بعد حوالي عشرين سنة من حادثة بئر جوده. ومع أن عبدالله بن فيصل حاول تجميع بعض مؤيديه في مكان يدعى البرة ليقاوم أخاه سعوداً، إلا أنه هزم هناك مرة أخرى، وبعدها لم يستطع الإقامة في منطقة الرياض، وبدأ يبحث عن اعوان، فتوجه أولاً إلى زامل السليم من آل سليم وكان حاكماً على عنيزة، فرفض هذا مساعدته خوفاً من سعود، فاضطر عبدالله أن يرحل من عنيزة، فتوجه إلى حایل عند حاكمها وصديقه محمد بن رشيد، إلا أنه لم يجد منه صدراً رجباً، إذ أن هذا بدأ يطمع في ضم مناطق القصيم ويعد لتوسيع رقعة بلاده بعد التحالف مع العثمانيين. فرحل عبدالله إلى سلطان الدويش رئيس مطير وعساف أبو ثنين رئيس سبيع فقبلاً لجوئه عندهم لأنهاما يحنقان على حاكم الرياض الجديد، ويعملان كل ما في وسعهما لأقصائه عن الرياض خوفاً من نفوذه^(٣).

(١) كانت قبيلة قحطان وقبيلة عتيبة تقدمان مساعدات لعبدالله ضد سعود، انظر:

Lorimer, Gazetteer of persian Gulf, vol. 2, p. 183.

(٢) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٨.

— انظر كذلك رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتاب مجموعة الرسائل، الجزء الثالث، ص ٧٠.

(٣) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

حاول عبدالله أن يبذل قصارى جهده لإضعاف قوة أخيه سعود، فأوفد رسولا إلى العراق اسمه عبدالعزيز أبا بطين ومعه ثلاثة رسائل: الأولى إلى مدحت باشا وإلى بغداد، والثانية إلى خليل بك وإلى البصرة والثالثة إلى السيد محمد الرفاعي نقيب أشراف البصرة. وكان محور هذه الرسائل يدور حول الشكوى من أخيه ويطلب من الحكومة العثمانية مساعدته ضد هذا التأثير^(١).

وهكذا نلاحظ أن الصراع الداخلي في نجد تخطى حدودها إلى البحرين وعمان والعراق، وبذاغدا نزاعاً عاماً أكثر من كونه خاصاً، والتقت فيه عدة قوى متنازعة.

موقف العثمانيين من الحرب الأهلية :

لم تقف الدولة العثمانية من النزاع القائم موقف المتفرج، بل كانت دوماً تتحين الفرص من أجل تثبيت سلطتها في الخليج ونجد والأطراف الأخرى من جزيرة العرب وبخاصة بعد قيام الحركة الإصلاحية النجدية في نجد والزيدية في اليمن. وفي زمن الإمام السابق فيصل بن تركي اكتفت الدولة العلية بتبعيته الاسمية التي عبر عنها بدفعه أحياناً بعض الأموال للأشراف نواب الدولة في الجزيرة، حتى أن بريطانيا كانت لا تنظر إلى هذه التبعية الاسمية، وكانت دائماً تتعامل مباشرة مع الدولة السعودية، واصررت على أن حكم السعوديين متتال وذو مظهر استقلالي تام، بالرغم مما كان يدفعه السعوديون أحياناً من اتاوات^(٢).

ويبدو أن سياسة السلطان عبدالعزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦م) كانت ترمي إلى تركيز دعائم الحكم التركي في ولايات الدولة الشرقية. وهذا ما يفسره مضاعفة حاميات الدولة في كل من مكة والحجاز وتجريدها حملة لاختضاع اليمن. وكذلك تعيين مدحت

(١) Hayder, The Life of Midhat Pasha, pp. 56-59.

أمين سعيد، المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٧٣.

— انظر: رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ إلى الشيخ حمد بن عتيق في كتاب «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» المجلد الثالث، ص ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) Aitchison, collection of Treaties, vol. X, pp. 16-18.

باشا الرجل الشديد والطموح حاكماً عاماً في العراق، واطلاق يده في بسط نفوذ الدولة بأي اتجاه يراه مناسباً^(١). ومما ساعد الدولة على زيادة تفكيرها في احتلال وتثبيت سلطتها في مناطق الجزيرة افتتاح قناة السويس منذ عام ١٨٦٩ م (١٢٨٨ هـ)، فاصبح في مقدورها ارسال الحملات البحرية بجانب الحملات البرية. هذا الى جانب التنظيمات التي أعقبت حرب القرم كالتنظيمات العسكرية الحديثة^(٢). بالاضافة إلى رغبة الدولة في وقف وتحديد النفوذ الانجليزي في مناطق الخليج.

وجاء طلب عبدالله بن فيصل للنجدة من بغداد خير فرصة للدولة لتنفيذ ما كانت تخطط له، وعلى الرغم من معارضة بريطانيا وادعائها أن هذا يعكر صفو السلام في المنطقة^(٣)، إلا أن مدحت باشا جهز حملة من ٥٠٠٠ جندي بقيادة نافذ باشا، واستعان بناصر السعدون رئيس المنتفق وعبدالله بن صباح حاكم الكويت، وبني خالد^(٤)، حتى أن مدحت باشا أشرف بنفسه على الحملة، عندما جاء الى الكويت ليعرف مدى نجاح حملته^(٥)، وقبل أن يأمر الحملة بالمسير استشار السلطان العثماني في الأمر بعد أن ارسل كتاباً مفصلاً شرح فيه حالة المنطقة وطلب الموافقة له على ارسال حملة الى الاحساء خوفاً من تدخل الانجليز، فكان الرد بالموافقة. عندها استغل حالة الفوضى الضاربة في نجد، وطلب عبدالله المساعدة من بغداد. فأعلن أن سعوداً ثائر ضد الدولة، وأنه يتصل بالانجليز، وإذا انتصر على عبدالله فانه سيعمل حتماً على ضم البلاد تحت نفوذ بريطانيا وحمايتها وبالتالي تتحكم بريطانيا في العراق. وادعى مدحت باشا أن سعوداً اعتدى على أهالي العراق وقطع تجارتهم^(٦).

ومهد مدحت للحملة بأن أرسل جواسيسه إلى الأحساء ليقفوا على مدى قوة

(١) Dickson, Kuwait and Her Neighbours, p. 118.

(٢) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، ص ١٧٤.

(٣) Lorimer op. cit., vol. 1, p. 243.

- محمد أنيس والسيد حراز، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٤) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٥) أمين سعيد، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٦) انظر: جمال زكريا، المرجع السابق، ص ١٨٠.

سعود، ووطد علاقاته مع شيخ الكويت عبدالله بن صباح، وعمل على قهر القبائل العربية الساكنة في حدود منطقة الأحساء^(١).

عرفت بريطانيا وحكومة الهند نية مدحت وإعداده للحملة، وأكد هذا قنصل بريطانيا في مصر في رسالة الى وزير الخارجية البريطانية في ٣٠ ديسمبر ١٨٧٠م ذكر فيها ان الخديوي أكد له ان الحكومة العثمانية تعد حملة للسيطرة على الخليج العربي. واستطلع أرجيل «Argyl» وزير الخارجية الأمر من سفيره في الآستانه. واما حكومة الهند فعرفت عن اعداد الحملة من تقرير بعث به الكولونيل هربرت «Herbert» القنصل البريطاني في بغداد^(٢).

زودت الحملة بباخرتين هما: لبنان والاسكندرية بعض ناقلات شط العرب، وكانت الحملة من خمس كتائب مع بعض الفرسان وفرقة من المدفعية بقيادة نافذ باشا ورئيس اركانه البكباشي رجب بيك. وأبحرت الحملة من البصرة في مايو ١٨٧١م (ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ) ووصلت رأس تنورة - قرب الدمام اليوم - وفيها مصفاة وميناء لبتترول السعودية وشركة ارامكو. وراقب مدحت الحملة عن كثب، فوصل الكويت على ظهر سفينة حربية تدعى الزحاف. وهناك أخذ عدداً من سفن الغوص الكويتية وعددها حوالي ٨٠ سفينة كي تساعد الحملة في نقل الأمتعة والعتاد. وقد ساعد الكويتيون الحملة فأرسلوا قوتين: الأولى بحرية بقيادة عبدالله بن صباح والثانية برية بقيادة مبارك أخي الشيخ عبدالله المذكور. وتمكنت الحملة من الوصول الى القطيف واحتلالها دون مقاومة تذكر^(٣)، وبعدها تقدمت القوات إلى الاحساء وأحتلتها كذلك وأطلقت عليها اسم ولاية نجد، وربما يعني ذلك ترقباً في احتلال نجد لأنها الهدف الرئيس لمدحت باشا^(٤)، وهذا يفسره ما جاء في منشور مدحت باشا الذي اذاعه

(١) Blunt, Pilgrimage to Nejd, vol. 11, pp. 265-268.

(٢) انظر: جمال زكريا، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٣) سيف الدين شملان، تاريخ الكويت، ص ١٣٥.

- مجلة لغة العرب، الجزء الأول من السنة الثالثة، في رجب وشعبان ١٢٣١هـ «تموز ١٩١٣م»، ص ٣٨.

(٤) Lorimer, op. cit., vol. 1, p. 243.

- انظر مقال مجلة العرب، المجلد الأول من السنة الثالثة، ص ٣٨، «نظرة في الأحساء».

على اهالي الأحساء في ١٨ رجب ١٢٨٨هـ^(١).

وبعد أن استتب الوضع للعثمانيين في الأحساء وضحووا سياستهم الرامية الى احتلال الرياض من سعود. وصرح نافذ باشا أن غايته إقرار سيادة الدولة العثمانية على الأحساء، وأنه سيعمل على إعادة عبدالله بن سعود الى الحكم، برتبة قائمقام، وسوف تعين الدولة ولاية وقضاة في المقاطعات^(٢)، وحددت الضرائب التي ستأخذها من رعاياها بالزكاة الشرعية، كما اجرت تنظيمات في القوة العسكرية فوضعت في الأحساء خمسة آلاف جندي نظامي مع بعض الخيالة، وأبقت بعض السفن الحربية راسية لقمع أي اضطراب في المنطقة^(٣).

أشار قاسم بن ثاني على نافذ باشا أن يتقدم بقواته لاحتلال قطر، لأن هذا كان يخشى امتداد سلطة آل خليفة اعوان الانجليز، فكان لابد من أن يضع بلاده تحت حماية الترك بدلاً من ابتلاعها من آل خليفة، أو اللجوء الى حماية الانجليز. ومن الاحساء خرجت قوة عسكرية احتلت قطر واتخذت الدوحة مركزاً لها^(٤)، وبهذا امتد النفوذ التركي في المنطقة وقضى على تكتلات سعود واحلافه في المنطقة الشرقية.

وقد ترتب على احتلال الاتراك للأحساء والقطيف وقطر عدة نتائج هامة. اذ أن مدحت باشا كان قد وعد عبدالله بتعيينه قائمقاماً على نجد ولكنه حث بوعده وأعلن في منشوره أن حكم آل سعود في نجد كان يعتمد على القوة والظلم ومعنى هذا انه يريد انهاء السلطة من يد آل سعود. وبدأ يوسع شقة الخلاف بين أبناء هذه الاسرة فأطلق سراح محمد بن فيصل من سجنه في القطيف^(٥)، مما أثار موجة من الاستنكار ضد الترك

(١) انظر منشور مدحت باشا المؤرخ في ١٨ رجب ١٢٨٨هـ.

— انظر رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتاب الدرر السنية، الجزء السابع ص ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) Longrigg, Four Centuries in Modern Iraq, p. 502.

(٣) منشور مدحت باشا، المؤرخ في ١٨ رجب ١٢٨٨هـ والمذكور سابقاً.

(٤) جريدة الزوراء، عدد ٢٠٨، ٨ شوال ١٢٨٨هـ.

(٥) أمين الريحاني. المرجع السابق، ص ٩٩.

ووعودهم^(١)، ونتيجة لهذا الاحتلال تشجع الاهالي في الرياض واجبروا سعو الرحيل عنها وعينوا أميراً عليهم عمه عبدالله بن تركي، ولم تكن هذه الثورة الا لما اذاعه الترك من بيانات ضد آل سعود بوخاصة مناداتهم بعدم صلاحية للحكم^(٢). ونتج كذلك ان بريطانيا غاظها أن ترى الترك في المنطقة فأرسلت لمدحت باشا عن طريق المسئول السياسي البريطاني في البحرين عام ١٢٨٨هـ) عله يتراجع عن توسعاته التي تعكر صفو السلام في المنطقة^(٣).

وكان علينا أن نلقي نظرة سريعة على الحكم العثماني في الاحساء وذلك تقويم لحملة مدحت باشا، فقد بدت علامات التذمر في المنطقة من حكم لكثرة الضرائب الباهظة التي فرضت على الشعب، مما جعلهم يفكرون في الثورة حكم الترك وعودة الحكم السعودي^(٤)، وهذا ما توضحه الليدي آن بلانت «Blunt» عندما تذكر أن منطقة الاحساء والساحل الممتد من قطر الى الكويت نض من حكم العثمانيين لكثرة الثورات القبلية التي أدت الى تدهور الناحية التجارية، الى عودة القرصنة نتيجة لضعف سيادة العثمانيين وحامياتهم في المنطقة^(٥)، ويؤيد «Zwemer» ما ذكرته الليدي بلانت عندما يذكر أن طرق القوافل كانت غ واعتداءات البدو على التجارة متكررة^(٦). هذا من وجهة نظر غربية أما بالنسبة لا العرب، فقد ذكر سليمان الدخيل في كتيبه المسمى «تحفة الألباء في تاريخ الاح ص ٢١٧ ما يؤيد وجهة النظر الغربية هذه، وكان لهذا الوضع الذي أشرنا اليه أ الحياة الاقتصادية برمتها وبالتالي انعكس هذا على الحياة الثقافية والتعليم في ولو أن الحياة الثقافية كانت شيئاً لا يذكر وقتذاك.

وهكذا نرى أن الحكم التركي في المنطقة كان حكماً مهلهلاً، لا يعتمد

(١) أمين سعيد، المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٢) Philby, op. cit., p. 222

(٣) Lorimer op. cit., vol. 1, p. 174.

(٤) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) Blunt, op. cit., pp. 265-268.

(٦) Zwemer, Arabia, The Cradle of Islam, p. 217.

أكيدة من الدولة العثمانية لدعم نفوذها في المنطقة، وربما يعود ذلك لانشغالها فيما بعد بالحروب مع روسيا ولضعف حامياتها في المنطقة ولعدم حصولها على التأييد الشعبي الكافي فيها، إذ أن المجتمع الاحسائي كان ينقسم الى ستة وشيعة وكلهم يكرهون حكم الترك، وهناك البدو الذين لا يخضعون تماماً لأي سلطة مهما كان نوعها، بل كان همهم تأمين سلامة حياتهم المعيشية والقيام بعمليات الغزو والنهب للقري والبلدان والمدن متى سمحت لهم الظروف بذلك.

وبعد أن ألقينا أضواء على حملة مدحت باشا واستيلائه على الأحساء والقطيف وقطر كان علينا أن نعود من جديد للعلاقة القائمة بين الأخوين السعوديين التي تجددت بعد احتلال العثمانيين للمناطق الشرقية من الدولة السعودية. اذ نتج عن هذا الاحتلال قيام ثورة في الرياض ضد حاكمها الجديد سعود أدت الى عزله عن الحكم وتعيين عمه عبدالله بن تركي بخاصة بعد أن عمت المجاعة في البلاد نتيجة لكثرة الحروب القائمة فيها. وتعتبر ثورة الرياض فرصة سانحة لعبدالله بن فيصل الذي كان آنذاك موجوداً في الأحساء تحت مراقبة الاتراك بعد انكساره في وقعة البرة وذهابه الى الترك معتقداً أنهم سيعملون على إعادته للحكم. ولكن الأمور جاءت عكس ما كان يتوقع، فمع أنهم أكرموا واحتفوا به إلا أن ظاهرهم كان يخفي ما في باطنهم^(١).

قرر عبدالله ترك الأحساء والاتجاه إلى الرياض بعد أن علم بالثورة فيها، وبعد أن أخبره ضابط تركي كان ذا علاقة به، بأن الترك يريدون نفيه الى بغداد وأنهم قرروا زيادة الحاميات التركية في المنطقة دليلاً على تركيز حكمهم فيها، وهذا ما يفسره وصول الامدادات العسكرية التركية عن طريق بندر العقير الى الأحساء، وقد لاحظ عبدالله بنفسه هذه الإمدادات. وهذا يتوافق تماماً مع سياسة مدحت باشا الرامية الى تدعيم النفوذ العثماني في الولايات الشرقية. لذا صمم عبدالله بن فيصل على مغادرة الأحساء ورافقه ابنه تركي وأخوه محمد واتجهوا الى الرياض، فقابلهم الأهالي بالترحيب^(٢)،

(١) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٩.

(٢) إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٨٣.

— Philby, op. cit., p. 222

وتنازل له عمه عبدالله عن الحكم بعد أن حكم مدة شهرين فقط^(١).

ولكن هل استقر حكم عبدالله بن فيصل في الرياض؟ لا لأن سعوداً قد فر بعد ثورة الرياض إلى الدلم مركز الخرج. وهناك بدأ يكون الأعوان فيجمع جيشاً من الخرج والأفلاج والدواسر، وقرر محاربة أخيه عبدالله الذي أرسل جيشاً بقيادة أخيه محمد بن فيصل للاستيلاء على الخرج مركز المقاومة الجديدة ليتمكن من القضاء على ثورة أخيه وتحدياته. لكن هذه القوات هزمت أمام قوات أخيه سعود، وأسر عبدالله بن تركي الذي كان يرافق الحملة وسجن حتى توفي. ولم تتوقف قوات سعود بل لاحقت فلول أعدائها فحطمتهم في وقعة الجزعة عام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، وعلى أثر هذه الوقعة سقطت الرياض، مرة ثانية بيد الأمير سعود بعد أن فر عبدالله إلى الكويت وأقام في الصباحية عند قبائل قحطان المؤيدة له، وتقاطرت عليه الوفود النجدية لتقدم الطاعة له^(٢).

كان على سعود أن يرجع اقليم الأحساء الذي فقدته الدولة السعودية نتيجة الخلافات، واليك ما فعله سعود من أجل ذلك.

منذ اللحظة الأولى التي تسلم فيها سعود حكم الرياض للمرة الأولى قرر أن يعمل على إعادة اقليم الأحساء لدولته إما عن طريق السلم وأما عن طريق القوة. واران أن يدعم مطلبه هذا باظهار قوته ومدى القاعدة الشعبية التي تؤيده في نجد، فأرسل إلى بلي المقيم البريطاني في الخليج العربي رسالة يذكر فيها انه الآن حاكم نجد ومسيطر على الوضع تماماً، وغرضه هو أن يحل السلام بين السكان بعد أن سيطر على ما كان في حوزة أخيه عبدالله الموالي للترك. وان علاقته مع الحضر والبدو طيبة، وأنه يؤيد بريطانيا في كونها مسئولة وحامية لمنطقة الساحل. وربما كان سعود قد عرض على بريطانيا أن تتوسط بينه وبين الترك، والا فانه سيضع نفسه تحت حماية بريطانيا^(٣). لكن الانجليز

(١) عبدالكريم غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص ٣٩٨.

(٢) انظر رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ في كتاب «مجموعة الرسائل»، ص ٧١.

— حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) Pelly to Secretary to The Government of India, 28th September, 1871, (India office Political and Secret. Dept. Letters from Persion Gulf, Vol. 18).

هذا نقلاً عن جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، ص ١٩٤.

رأوا أن لا يتورطوا بين الأتراك والسعوديين ، لذا بدأ سعود يتدخل بمفرده فأرسل عدة انذارات للترك يدعوهم فيها للانسحاب من القطيف والمنطقة . ولم تلق انذاراته أي تغيير في موقف مدحت باشا بل بالعكس أخذ يساعد عبدالله بن سعود نكاية فيه ، وبدأ يرأسل شيخ البحرين ويقنعه بأن يسمح للترك بأن يقيموا في البحرين قاعدة لاعمالهم العسكرية ضد سعود ، لكن شيخ البحرين رفض ذلك بعد استشارة المقيم البريطاني خوفاً من أن تكون بلاده قاعدة لعمليات الترك العسكرية^(١).

وفي أوائل عام ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) عزل مدحت باشا عن ولاية العراق وخلفه رؤوف باشا . وصادف هذا التعديل توافقاً جزئياً ولفترة قصيرة بين الأخوين سعود وعبدالله الذي يش من جدوى مساعدة الأتراك . وفي ابريل من هذا العام وصل سعود الى القطيف وبرفقته أخواه عبدالله ومحمد وذلك من أجل إعداد موالين لهم في المنطقة من بدوها وحضرها عليهم يتمكنوا بهذا الضغط من إجبار قوات الأتراك على الانسحاب من المنطقة وتعود الأمور إلى سابق عهدها . وقد لاقى آل سعود ولاء من أنصارهم العجمان وآل مرة . واتفق كل من سعود وعبدالله أن يهاجما الأتراك كل من جهة عليهما يوزعان جهد عدوهم الأقوى . فكان على عبدالله أن يتوجه لمهاجمة الأحساء ، وأما سعود فيهاجم القطيف^(٢).

ولم تكن حالة الحامية التركمية حسنة من حيث الإمكانيات العسكرية وكان على قادتها في الأحساء والقطيف وقطر أن يطلبوا العون من الشيخ مبارك آل صباح صديق الأتراك . فقابل سعود هذا الإجراء بإجراء تأديبي لبادية الكويت ليتمكن من إيقاف أي اتصال مددي للأتراك . ومع هذا فقد انهزمت القوات السعودية أمام قوات الأتراك بعد

(١) Pelly to Essau Ali, 29th Septemper, 1871, (India Office Politcal and Secret. Dept. Letters from the Persian Gulf, vol. 19)

نقلًا عن جمال زكريا، المرجع السابق، ص ١٩٥ .

(٢) News Diary. 3rd April, 1872 by Sideny Smith (India Office Political and Secret. Dept. Letters from the Persian Gulf. vol, 20)

نقلًا عن جمال زكريا، ص ١٩٥ .

أن انسحب البدو من جيش سعود وتركوه نتيجة فشله في توفير المؤن والإمدادات اللازمة للجيش^(١).

ومع هذا فقد تكبد كل من الجيشين التركي والسعودي الخسائر بخاصة بعد أن فتكت بالجيش التركي الأمراض المعدية مما اضطرته للرحيل إلى البصرة^(٢). وبناء على هذا أصبح كل من الأتراك والسعوديين على استعداد لقبول المفاوضات لأن قوة السعوديين في المنطقة الشرقية كانت قوة ضعيفة قوامها البدو والحضر الذين لا يعتمد عليهم كقوة نظامية مدربة. كما أن الخلافات القائمة بين الأسرة السعودية لا تسمح لسعود ولا لعبدالله بالاستمرار في محاربة الأتراك لأن كلا منهما يترصب بالآخر ويعمل على توريطه حتى يضعفه وبالتالي يتلخص منه. هذا إلى جانب اقتصاديات البلاد السعودية، التي كان لها أثر على ميزانية الحرب من جهة وعلى مدى التأييد الشعبي من جهة أخرى، بعد ما حدث في البلاد من مجاعات لا تساعد على استمرار الحرب، بالإضافة إلى يأس سعود من مساعدة الإنجليز وحمائتهم له. وأما عن العثمانيين فإن استراتيجيتهم كانت معقدة وضعيفة، لأنها تعتمد على الامدادات من البصرة أو الكويت، والأخيرة لم تكن مضمونة تماماً. وهناك أعداء يترصبون بالترك وعلى رأسهم الإنجليز الذين يحاولون جاهدين لإثارة القلاقل ضدهم لإضعاف مركزهم الاستراتيجي في المنطقة إلى جانب العداء المكشوف مع البحرين المؤيدة من الإنجليز، زد على هذه النقمة الشعبية ضد الأتراك في المنطقة والتي كان يحسب لها حساب كبير. ولضعف الحامية العسكرية وقلة عددها، ولكثرة الأمراض المعدية التي أصابت الجيش، بالإضافة إلى أن الأتراك لم يفيدوا فائدة ملموسة من هذا الإقليم المحتل أكثر من كونه كلفهم مصروفات فادحة، حتى أنهم أوعزوا لناصر باشا السعودون متصرف البصرة عام

(١) News Dairy, 5th April, 1872, by Sidney Smith (India Office, Political and Secret Dept. Letters from the Persian Gulf, vol, 20)

نقلًا عن جمال زكريا، ص ١٩٦.

(٢) News Diary, 26th May, 1872 by Sidney Smith (India Office Political and Secret, Dept. Letters from the Persian Gulf, vo. 20)

نقلًا عن جمال زكريا، ص ١٩٦.

١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) أن يسحب القوات التركية، فسحبها وأرسل بدلا منها قوات من الأكراد والقبائل العربية^(١).

وبعد هذا التحليل للموقف كان علي والي بغداد وعلى الأمراء السعوديين أن يوافقوا على فتح باب المفاوضات، واتفق الطرفان من أجل سير الأمور وضمانها أن يرسل سعود أحد إخوته كرهينة إلى بغداد، فأرسل أخاه الصغير عبدالرحمن والد الملك عبدالعزيز آل سعود، واستقر هناك حتى عام (١٨٧٤م/١٢٩١هـ)^(٢). ومهما يكن فلم تنجح المحادثات بين الطرفين.

وعندما فشلت الحلول السلمية، عاد التوتر بين السعوديين والعثمانيين. ولكن الظروف الحاضرة كانت أميل إلى جانب آل سعود لأن الدولة خففت قبضتها عن المنطقة بعد أن رأت صعوبة بقاء قواتها التي فتكت بها الأمراض والتي تكلفها أموالا طائلة فضلا عن المناخ الرديء بالنسبة للجند، فارتفعت نسبة الوفيات بين صفوفهم، مما عجل بسحب القوات التركية من المنطقة، فكان هذا معناه أن نظرة الأتراك بدأت تختلف عما كان ينظره مدحت، أو بالأحرى أن خليفه مدحت قرر أن يسير على سياسة حماية مصالح الدولة من نفس أتباعها بدون أن تكون قد تكبدت الكثير من جندها النظامي المدرب، وهذا تراجع في تصميمها حول تثبيت سيادتها في المنطقة. ولما تولى ناصر باشا السعودون ولاية البصرة عين بزيغ بن عريعر وهو من بني خالد الأعداء التقليديين لآل سعود على الأحساء، فكان هذا يعني الاكتفاء بتعيين الرؤساء المحليين في المنطقة التابعين لإدارة البصرة وبغداد. ويبدو أن مثل هذا التعيين إجراء توازني في المنطقة^(٣) بين القوى القبلية.

وعندما خرج عبدالرحمن من بغداد وصل الأحساء عن طريق البرحين والتف حوله المؤيدون من قبائل العجمان وآل مرة فحاصر بهم الأحساء وكان فيها بزيغ بن

(١) Aitchison, vol. X, pp. 104-105.

(٢) يذكر حافظ وهبة في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ص ٢٤٢، ٢٤٣. أن عبدالرحمن ذهب مفاوضاً لا رهينة.

Philby, op., cit. p. 224.

(٣) Longrigg, op. cit., p. 303.

عريعر، عامل الأتراك، ودخلت القوات السعودية بعض أحيائها نتيجة لمناصرة الأ لال سعود كرد فعل للحكم الشديد الذي عاملهم به الترك، كإرهاقهم بالضر ومعاملتهم بالقسوة^(١). إلا أن الهجوم فشل لمجيء قوات من قبائل المنتفق من ج البصرة لإنقاذ الترك المحاصرين، وكان عدد هذه الحامية يقدر بعشرة آلاف جند كانت برئاسة ناصر باشا السعدون رئيس المنتفق آنذاك ووالي البصرة. فدارت الد على عبدالرحمن وقواته وأجبروا على الجلاء والفرار. فعاث الجند فساداً في المدينة بع .أباحوها ثلاثة أيام ولم تلق الجماعات الشيعية أي أذى^(٢).

وعلى إثر هذه الحادثة تولى ناصر باشا السعدون متصرفية الأحساء. لكنه عليها ابنه مزيدا عندما غادرها عام ١٨٧٥م (١٢٩٢هـ)^(٣).

وبعد أن يثس عبدالرحمن توجه ومعه مستشاره فهد بن صنيان إلى الرياض زعماء العجمان وآل مرة ممن ساعدوا عبدالرحمن إلى البحرين خوفاً من عقاب الترك ولم يكن حظ أخيه سعود حاكم الرياض بأفضل من حظ أخيه في النجاح بل أخذ قبائل عتيبة المؤيدة لعبدالله تغير على الرياض نفسها برئاسة مسلط بن ربيعان و نتيجة لضعف السلطة في الرياض وتعرض الطرف الغربي من الرياض لعدة غارات البدوما أربك الأهالي وضايقهم من حكم سعود^(٤). فرد سعود على هذه الأعمال به تأديبية ضد قبائل عتيبة التي حاصرت في واد ضيق قتل معظم أنصاره وأصيب ب نقل على أثره إلى الرياض وفيها توفي في ٢٦ يناير ١٨٧٥م (١٨ ذي الحجة ١٢٩٢هـ

والذي نلاحظه أن حكم سعود للمرة الثانية لم يتجاوز منطقة العارض، ك لا يزيد على سنتين فقط. ويعود فشل سعود في حكم نجد إلى الأسباب التالية: أولاً: تربص الأعداء بحكمه من كل جانب. كخلافه مع إخوته، ثم أبناء عمه

(١) Aitchison, op. cit., vol, X, pp. 104-105

(٢) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٥.

(٣) سليمان الدخيل، تحفة الألباء في تاريخ الأحساء، ص ٦١، ٦٢. مجلة لغة العرب، الجزء من السنة الثالثة/ رجب وشعبان ١٢٣١هـ تموز ١٩١٣م، ص ٣٩.

(٤) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق ٦٥.

لأن الكل طامع في الحكم والكل يريد اغتنام فرصة الفوضى ليحقق ما يريد . ومن أجل موازنة الأمور قسم البلاد إلى مناطق عين على حكمها أفراداً من العائلة السعودية . ومثال ذلك تولى سعود بن جلوي وهو من أبناء عمومة سعود منطقة العارض ، وعبدالرحمن بن فيصل إمارة الرياض ، وثنيان بن عبدالله الذي تغلب عليه فيصل على منطقة الخرج^(١) . وهذا التوزيع في حد ذاته ما كن إلا إرضاء لذوي النفوذ في البيت السعودي . ولضمان سكوتهم عن حكم سعود .

ثانياً : كان سعود قد منح مؤيديه امتيازات كثيرة ، فحصل العجمان والمناصير ومطير على أموال وسلطة كبيرة في مناطقهم^(٢) . هذا ما كانت حصيلته على أهالي المنطقة الشرقية ، مما أثار بقية الناس عليه . وخير شاهد على ذلك ثورة الرياض ضده ثم فراره وتعيين عمه عبدالله بن تركي كما ذكرنا سابقاً . وهذا ما شجع عبدالله على دخول الرياض .

ثالثاً : التشويش الذي كان يلقاه من العثمانيين جيرانه في الأحساء ، ومدى اهتمام مدحت باشا في القضاء على قوته ونفوذه خوفاً من نجاحه ، وبالتالي دخوله في الحماية الإنجليزية .

رابعاً : لقي عدة متاعب من الشمال والشمال الغربي ، من آل رشيد الذين شجعوا الفتنة وساعدو عبدالله ضده ، وانفصلت منطقة القصيم عن نجد وبدأت تجلب المتاعب لسعود . فكان لهذه العوامل جميعها أثر في فشل حكم سعود .

وهكذا انتهى حكم سعود دون أن يحقق شيئاً من ثورته ولا من انتصاراته ، بل كانت ثورته سبباً في ضياع الدولة السعودية التي أسسها الإمام فيصل بن تركي ، وكانت عاملاً قوياً من عوامل نجاح إمارة آل رشيد في حایل وشمر حتى غدت تمتد من الجوف

(١) انظر مجلة لغة العرب ، مقال جزيرة العرب ، الجزء الخامس تشرين الثاني من السنة الثالثة ١٩١٣م ، ص ٢٢١ .

(٢) رسالة من أحد الوكلاء الوطنيين في القطيف إلى المقيم البريطاني في الخليج بتاريخ ٢٤ يوليو سنة ١٨٧١م .

انظر : India Office Political and Secret Dept. Letters from the Persian Gulf, vol. 10

نقلاً عن جمال قاسم ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

في الشمال إلى الربع الخالي في الجنوب، ووصلت في غزوها إلى الكويت. هذا إلى جانب الخسائر الأخرى من الأرواح والأموال وضعف الاقتصاد وإحياء العداوات بين القبائل في معظم أجزاء الجزيرة العربية.

موقف آل رشيد من النزاع السعودي

ترجع إمارة آل رشيد في تأسيسها إلى عبدالله بن علي بن رشيد، ويرجع نسب هذه الأسرة إلى قبيلة قحطان^(١). وكان ابن رشيد هذا صديقاً حميماً لفیصل بن تركي، وقام بدور كبير في قتل مشاري الذي قتل تركي والد فیصل. وظهرت أهمية جبل شمر في عهد الإمام تركي بن عبدالله، وكان يتولى إمارتها آنذاك صالح بن عبدالمحسن الذي اختلف مع عبدالله بن رشيد، مما اضطر الأخير إلى الفرار إلى الحلة في العراق ثم إلى الرياض، وهناك دخل في خدمة آل سعود. وفي الرياض توطدت عرى الصداقة بينه وبين فیصل^(٢). ومكافأة لما قدمه من خدمة للدولة عينه فیصل أميراً على حایل وجبل شمر على أن يكون الحكم فيها وراثياً في أسرته من بعده وكان هذا الإجراء عام ١٨٣٥م (١٢٥١هـ) في فترة حكم فیصل الأولى^(٣).

ويبدو أن الجبل كان مستقلاً إدارياً تحت سلطة آل سعود، وحكم عبدالله بن رشيد المنطقة حوالي اثنتي عشرة سنة، كبداية لحكم أسرة آل رشيد التي حكمت أكثر من ٩٠ سنة^(٤). وقامت هذه الإمارة بدور خطير في الأحداث النجدية في فترة الحروب بين أولاد فیصل، إذ كان يحكم الإمارة وقتذاك محمد بن عبدالله بن رشيد الذي حكم فترة طويلة (حوالي ٢٥ سنة من ١٨٧٢-١٨٩٧م)، وبعد هذا بحق من أشهر أمراء حایل من آل رشيد على الإطلاق، إذ توسعت في زمنه إمارة حایل فشملت الجوف ووادي سرحان في الشمال. وتدخل عام ١٨٨٢ (١٢٩٩هـ) في شئون القصيم والمجمعة وسدير، واستطاع ضم جميع هذه المناطق لدولته^(٥).

(١) ضاري بن رشيد، نبذة تاريخية عن نجد، مخطوطة، ص ١٥.

(٢) عبدالكريم غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص ٣٨١.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٧٢، ٧٣.

(٤) ضاري بن رشيد، المرجع السابق، ص ١٨.

(٥) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٠٢.

وهكذا نرى أن الفتنة كانت الظروف المناسب لكل من آل رشيد والأتراك لتحقيق هدفيهما. ولم تنته الفتنة بموت سعود، بل استمرت إلى أبعد من ذلك، ففي عام (١٢٩١هـ) تولى عبدالرحمن بن فيصل إمامة نجد بعد وفاة أخيه سعود ومضى في حكمه على أتم وجه حوالي السنة وبعدها انعكست الأوضاع بالنسبة لعبدالرحمن، إذ جاء أخوه عبدالله الإمام الشرعي ومعه أخوه محمد من بادية العجمان - حيث كانا لاجئين سياسيين هناك - إلى الرياض ومعهما قوات من بدو عتيبة ومن حضر الوشم، والتقيا بقوات عبدالرحمن الذي رفض التنازل لأخيه الكبير في بلدة ثرمدا ونشبت الحرب بين الطرفين لم يصل أحدهما إلى نصر حاسم، فتفاوضا فنتج عن هذا التفاوض صلح مؤقت تركزت فيه قوات عبدالله في الشمال وظلت قوات عبدالرحمن تسيطر على الرياض والجنوب^(١). أم بالنسبة لأولاد سعود فقد وقفوا بجانب عمهم عبدالرحمن لأنه كان يؤيد أباهم في آخر أيامه^(٢).

ومع هذا فلم يهدأ الوضع المتأزم، إذ ثار أبناء سعود ضد عمهم عبدالرحمن وأخذوا يطالبون بالحكم، وانقلبوا على عمهم بعد أن كانوا يؤيدونه. ولم يستطع عبدالرحمن الصمود أمام ثورتهم بل اضطر تحت ضغطهم أن يخرج من الرياض ويلتجئ عند أخيه عبدالله في بادية عتيبة، وعاهده أن يتعاون معه ضد أولاد سعود. وهكذا انعكس الوضع السياسي في نجد فأصبح الحكم بيد أولاد سعود بدلاً من عميهم الشرعيين. وكان لا بد للعمين أن يقاوما أولاد أخيهما حتى يستردا السلطة، فجمع عبدالله قوات اتجهت من الشمال نحو الرياض. إلا أن أولاد سعود لما رأوا تصميم عميهم على الحرب، وضعف قوتهم، تركوا الرياض واتجهوا إلى مركزهم الأول، الخرج. وهكذا استطاع عبدالله وأخوه دخول الرياض بدون قتال عام ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ).

تولى عبدالله بن فيصل حكم الرياض للمرة الثالثة. وهذا الجو السياسي بعض

(١) أمين الريحاني، نفسه، ص ٦٧.

(٢) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٦٧.

الشيء لأولاد فيصل لأن كلا من محمد وعبدالرحمن أصبحا مطيعين لأخيهما الكبير^(١). ولكن الأمر لم يقف إلى هذا الحد بل ظل أبناء سعود مصدر قلق لأعمامهم، وظلوا حانقين على الحكم، لذا ظلت بوادر الحرب قائمة بين الجهات المتنازعة.

ولو القينا نظرة سريعة على وضع الإمام الحالي من الوجهة السياسية لوجدناه أضعف بكثير من موقفه الأول، لأن بوادر الخلاف قائمة، وآل رشيد يترصدون به، والقصيم تنجح إلى الاستقلال، والاقتصاد في البلاد متدهور، لذا يمكن القول إن الدولة السعودية الثانية بدأت تقترب من النهاية وتلفظ آخر أنفاسها. وقد حلل الملك عبدالعزيز آل سعود الموقف بقوله: «لم يستقم الأمر لعبدالله لثلاثة أسباب: أولاً: وجود أبناء أخيه في الخرج يحرضون القبائل عليه، ثانياً: مناصرته لآل أبي عليان أمراء القصيم السابقين على أعدائهم آل مهنا الأمراء الحاكمين في ذلك الحين. وكان هذا جهلاً من عبدالله لأنه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم. ثالثاً: ظهور محمد بن رشيد الطامع بالحكم. فقد تحالف مع آل أبي الخيل (من آل مهنا) وكانوا كلهم يداً واحدة على ابن سعود»^(٢).

وببدأ دور آل رشيد في التدخل منذ بدء الخلاف بين آل أبي عليان رؤساء بريدة قديماً وآل مهنا رؤساؤها زمن عبدالله. فعندما تولى عبدالله الحكم جاءه إبراهيم بن عبدالمحسن آل عليان وطلب منه مساعدته ضد آل مهنا. فكان هذا أغضب رئيس بريدة آنذاك، مهنا الصالح أبا الخيل، فاستغل مركزه كحاكم لبلدة بريدة فأمر بطرد بعض أفراد أسرة آل أبي عليان من البلد متهماً إياهم بتدبير مؤامرة لاغتياله. ولجأ المطردون من آل أبي عليان إلى عنيزة، ولكنهم ما فتئوا أن عادوا إلى بريدة واغتالوا مهنا الصالح عند خروجه من المسجد، وحاصروا قلعة الحكم في بريدة واستولوا عليها من حرسها. ولم تهدأ الأمور بل جمع حسن أبا الخيل (وهو ابن للمقتول) أفراد أسرته وحاصر

(١) انظر رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ في كتاب «مجموعة الرسائل»، الجزء الثالث. ص ٧٢.

(٢) انظر: أمين الريحاني في كتابه، نجد وملحقاته، ص ١٠١، فقد أورد هذا النص عن لسان الملك عبدالعزيز آل سعود.

آل أبي عليان في القصر حتى استسلموا، وتولى حسن الإمارة بدلاً من أبيه. أما إبراهيم بن عبدالمحسن آل أبي عليان الذي كان في زيارة للإمام عبدالله، فقد أقنع عبدالله بالتدخل لصالح آل عليان ووعدته بتقديم الولاء والطاعة لآل سعود^(١). ويبدو أن عبدالله كان يشك في إخلاص آل مهنا للحكم فقرر التدخل، بخاصة بعد أن بطش حسن آل مهنا بأسرة آل أبي عليان وقتل الكثير من زعمائهم، فاعتبر هذا تعدياً على سلطته كإمام للبلاد النجدية.

وعلى أثر ذلك سار عبدالله بن فيصل على رأس قواته إلى بريدة لتنفيذ قراره ضد آل مهنا، فلجأ حسن آل مهنا إلى محمد بن رشيد وطلب العون العسكري منه. فاعتنم محمد بن رشيد هذه الفرصة المواتية للتدخل وبالتالي ليوسع إمارته، فزحفت قوات شمر بقيادة أميرها محمد بن رشيد إلى بريدة ودخلتها بدون عناء لتأييد آل مهنا له، فكان هذا ما أطفأ حماس عبدالله الذي كان يعسكر في عنيزة، فقفل غائداً إلى عاصمته دون أن ينفذ قراره^(٢).

ونستخلص من هذا التحالف بين آل مهنا وآل رشيد من جهة وبين الرياض وآل أبي عليان من جهة أخرى عدة أمور هامة منها أن الرياض وحایل لم تكونا على وئام، بل كانت الأخيرة تسعى للتوسع على حساب الأولى، وكانت الرياض تريد الحد من سلطة آل رشيد ومشروعاتهم التوسعية في الأقاليم المجاورة، أو على الأقل كان على سلطة الرياض أن تحد من استقلال إمارة حایل وجبل شمر، التي كانت مستقلة استقلالاً إدارياً منذ زمن فيصل بن تركي، وهذا ما تثبته الرسائل الموجهة من الخديوية في مصر إلى حكام جبل شمر وحایل من آل رشيد^(٣). وكان هذا التحالف بداية العمل التوسعي لآل رشيد في بلاد نجد بعد أن لقوا تشجيعاً قوياً من آل مهنا، كما أن هذا كان بداية شرارة الاحتكاك بين القوتين المتنافستين في حایل والرياض. وغدا آل رشيد البؤرة

(١) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) Philby, op. cit., p. 227.

(٣) الوثيقة دفتر ١٩١٠، أوامر عربي صورة الأمر الكريم رقم ٣ ص ٢٢، بتاريخ ٧ جمادي الأول ١٢٨٠ هـ من الجناح العالي إلى الشيخ طلال بن رشيد. دار الوثائق القومية بعبدين.

التي تجمع أعداء آل سعود لتفديد من موقفهم العدائي . وكشف لنا التحالف كذلك عن القبائل المؤيدة والمعادية لآل سعود في نجد وخارجها .

وخير ما يدل على النتائج العملية للتحالف المذكور، تشجيع حسن بن مهنا لمحمد بن رشيد بالهجوم على الأراضي السعودية . فهاجمت القوات الشمرية بلدة شقراء عام ١٨٧٧م (١٢٩٤هـ)، لكنها فشلت نتيجة المقاومة . وفي السنة نفسها هاجمت قوات شمر وبريدة بدو عتية المؤيدين للإمام السعودي ونهبوا محاصيل قرية أشيقر وبخاصة محصول التمر^(١) الذي يشكل دخلاً هاماً بالنسبة للأهالي في البلدة، وهكذا أوجد التحالف السالف الذكر صعوبات قوية أمام حكم عبدالله بن فيصل الذي لم يعد بمقدوره أن يفعل شيئاً لإعادة أملاك الدولة السعودية المتضائلة بعد أن فقدت الأحساء واستقلت القصيم بزعامة آل مهنا تحت ظل حماية محمد بن رشيد . هذا بصرف النظر عن المتاعب التي يثيرها أبناء سعود ضد أعمامهم . وكان أبناء سعود قوة لا يستهان بها في منطقة الخرج .

ولما فشل آل أبي عليان من مساعدة الرياض قرروا الاتصال بآل رشيد عليهم ينصفوهم ضد آل مهنا . وذهب وفد برئاسة إبراهيم بن عبدالمحسن آل أبي عليان لزيارة محمد بن رشيد في حائل ، لكن حسن آل مهنا قطع عليهم مسعاهم ، حين كمن للوفد أثناء عودته من حائل إلى عنيزة وفتك به^(٢) ، وبذلك ضاع أمل آل أبي عليان من مساعدة آل رشيد وبالتالي ضاع أملهم في استرداد زعامة بريدة من آل مهنا .

توصل محمد بن رشيد بحسن تدبيره إلى تفاهم مع الشخصيات البارزة في معظم الأقاليم الواقعة في دولة عبدالله بن فيصل . «وبلا شك فقد كان محمد بن رشيد رجل الجزيرة العربية القوي وقتذاك، كما أنه كان من أغنى أمراء الجزيرة على الإطلاق وله مقدرة خارقة وبصيرة سياسية، لكنه يضيع التفكير في تفاهات حمقاء إذا كانت ذات

(١) إبراهيم بن عيسى ، المرجع السابق، ص ٧٤ .

(٢) Philby, op., cit. p. 227 .

أغراض تمس غروره الشخصي»^(١).

اتفق محمد بن رشيد مع أهل المجمععة ووقع معهم حلفاً دفاعياً سرياً ضد الإمام عبدالله الذي وقع في خلاف مع أهالي الوشم والمجمععة الذين ثاروا لتحقيق استقلالهما عن نجد. ولما تقدمت جيوش عبدالله المؤلفة من البوادي والحضر في وادي حنيفة، بادر محمد بن رشيد إلى نجدة المجمععة بجيش مؤلف من بوادي شمر وقبائل حرب، ولما وصلت القوات الرشيدية بريدة انضم إليها أمير البلدة حسن آل مهنا أبو الخيل ومعه جند القصيم، وزحفت قوات ابن رشيد إلى الزلفي، وكانت قوات عبدالله تعسكر في ضرماء. ولما عرف عبدالله استعداد ابن رشيد للقتال، وعرف أن قواته لا تستطيع مجابهة قوات خصمه، انسحب إلى الرياض، ودخل ابن رشيد المجمععة عام ١٨٨٢م (١٢٩٩هـ)، وعين عليها سليمان بن سامي وهو من أهالي حایل نائباً عنه، وبذلك انضمت المجمععة إلى ابن رشيد وانفصلت نهائياً عن الرياض^(٢).

وقد أثارت أطماع ابن رشيد في نجد محمد بن سعود الذي أيد عمه عبدالله وساعدته قبائل عتيبة العدو التقليدي لابن رشيد، وحشد قوات كبيرة تصادمت مع قوات ابن رشيد وآل مهنا، وكان النصر لحليف ابن رشيد الذي أجبر قوات خصمه على الاندحار إلى الخرج^(٣)، وبذلك فشل محمد بن سعود في وقف الزحف الرشيدي عن أقاليم نجد الباقية.

لقد حاول عبدالله بن فيصل عام ١٨٨٣م (١٣٠١هـ) إخضاع أهل المجمععة واسترداد سلطته عليهم، ولكنه فشل مرة ثانية أمام تحالف المنطقة مع ابن رشيد وآل مهنا، ومنيت قواته بخسائر فادحة في الأرواح والعتاد بعد هزيمتها في سهل حمادة في مراعي أم العصافير. وبعد المعركة ظل محمد بن رشيد مدة طويلة في المنطقة، فنظم شئونها الإدارية ليقوي ربطها بحایل. ويذكر لنا المؤرخ المعاصر إبراهيم بن عيسى أن

(١) Anne Blunt, op. cit., vol. 2, pp. 2-3.

(٢) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٧٥.

(٣) Philby, op. cit., p. 229.

— أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٠٣.

محمد بن رشيد دعا رؤساء بلدان الوشم وسدير لزيارته وتقديم فروض الطاعة له، وعين حكاما من قبله على هذه المناطق، وطمع بعد هذه الواقعة في الاستيلاء على مملكة نجد، وطمع أهل المقاصد والأغراض في ذلك، وأخذ يكاتب رؤساء البلدان ويبدل لهم المال^(١).

وبعد هذه الواقعة أرسل عبدالله بن فيصل أخاه محمد بن فيصل ومعه رسالة إلى محمد بن رشيد في حایل من أجل مفاوضته في شئون البلاد التي ضمها لدولته كسدير والوشم والمجمعة، فأكرمه ابن رشيد وتعهد له بأن يترك سيادة بعض المناطق كالوشم وسدير^(٢)، على أن تبقى القصيم والمجمعة مستقلتين تحت حماية ابن رشيد. ولكن الإمام عبدالله أجرى تغييراً إدارياً واسعاً في هذه الأقاليم، مما أدى إلى تدمير بعض الزعماء المحليين «وكثر على الإمارة الاختلاف وعظم الشقاق وتغلب بعض أهل البلدان على بلدانهم، وضعف أمر آل سعود بسبب تفرقهم واختلاف كلمتهم وكثرة تنازعهم»^(٣). وقال فيهم الشاعر^(٤).

متى تنتهوا عن غمرة النوم والردى	وينهض لنصر الدين منكك أكابر
وأموالكم منهوبة وبلادكم	تبوأها بالرغم منكم أصاغر
وأطفالكم هلكى تشتت شملهم	وساءت لهم حال إذا الجدد عاثر
بما لكم قد قسمتها ملوكهم	وأنتم لهم أحدثه ومساخر

وبما زاد الطين بلة هجوم أولاد^(٥) سعود على الرياض عام ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ)

(١) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٧.

(٢) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٧٧.

— الریحاني، المرجع السابق ص ١٠٢.

(٣) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٧٧، ٧٨.

(٤) من قصيدة للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى من أهالي نجد أرسلها لعبدالله بن سعود وأخوته يحضهم فيها على الاجتماع. وفيها وصف لما نتج عن الفتنة، انظر: إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٨.

(٥) أولاد سعود هم، محمد، وعبدالله، وسعد، وعبدالعزیز، وعبد الرحمن، وكان يميل دائماً إلى جابب أعمامه.

وألقوا القبض على عمهم عبدالله وزجوه في سجن الرياض فاستنجد هذا بمحمد بن رسيد. فاغتنم هذا الفرصة السانحة ليبسط سلطانه على كل نجد وينهي بذلك الدولة السعودية الثانية. فلبى محمد بن رشيد دعوة عبدالله وقاد جيشاً من الشمال وزحف إلى الرياض. لكن أولاد سعود فروا من وجه القوات الشمرية إلى الخرج كعادتهم عندما يهددهم الخطر. ودخل ابن رشيد الرياض، وأطلق سراح عبدالله المسجون بعد أن أصيب بمرض، وتفاوض مع أولاد سعود بأن تبقى لهم الخرج على شرط أن لا يعتدوا على الرياض. وبعدها عاد إلى حائل ومعه عبدالله بن فيصل بعد أن عين قائده سالم ابن سبهان حاكماً على الرياض^(١).

أما بالنسبة إلى عبدالرحمن ومحمد فقد اختلفت الروايات التاريخية في مصيرهما. فيذكر فليبي أن الكتب التاريخية لم تذكر شيئاً عن مصير ومكان عبدالرحمن وأخيه محمد^(٢). بينما يذكر أمين الريحاني أن محمد بن رشيد أطلق سراح عبدالله من السجن ونقله وأخاه عبدالرحمن إلى حائل وكان برفقتهم عشرة آخرين من آل سعود، ولم يشر إلى هوية هؤلاء العشرة^(٣) أما آرم سترونج Armstrong فيذكر أن عبدالرحمن كان رجلاً مسالماً فأبقاه ابن رشيد في مدينة الرياض^(٤).

ومهما يكن فقد اعتكف عبدالرحمن عن العمل السياسي فترة سنتين من ١٨٨٦-١٨٨٤م (١٣٠٢-١٣٠٤هـ). وأما محمد بن سعود فقد ظل بعيداً عن العمل السياسي حتى عام ١٨٩٠م (١٣٠٨هـ)، وفي هذه السنة بالذات ظهر في الرياض، وربما كان طوال هذه الفترة في الرياض دون أن يتدخل في السياسة^(٥).

(١) ضاوي بن الرشيد، المرجع السابق، ص ١١.

(٢) Philby, op. cit., p. 231.

(٣) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٤) Armstrong, Lord of Arabia, p. 24.

- فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٦.

(٥) Philby, op. cit., p. 231.

— ويذكر آرم سترونج «Armstrong» في كتابه سيد الجزيرة «Lord of Arabia» صفحة ٢٣، أن محمد بن فيصل ظل في فترة النزاع الأخوي مقبياً مع عائلته في قصر الحكم دون أن يتدخل، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك.

والواقع أن أخذ عبدالله بن فيصل إلى حایل كان بمثابة سجن أدبي له ، وكان هذا معناه نهاية حكم آل سعود في الرياض ، وهذا ما يفسره تعيين ابن سبهان نائبا عن ابن رشيد في الرياض . فكل هذه الأعمال تثبت أن ابن رشيد قد سيطر على نجد .

وفي عام ١٨٨٧م (١٣٠٥هـ) حدث خلاف بين أهالي الخرج وأولاد سعود الثلاثة وهم محمد وسعد وعبدالله . أما عبدالعزيز فكان أسيراً في حایل^(١) . فضج الناس في وادي حنيفة مما أغضب ابن رشيد فأمر بعزل ابن سبهان وتعيين فهاد بن عبادة بن رخيص^(٢) . وكان الناس قد ضجوا على ابن سبهان للطريقة التي قتل بها أولاد سعود الثلاثة .

ذهب عبدالرحمن بن فيصل إلى حایل لزيارة أخيه عبدالله الذي زاد فيه المرض وأصبح أمل شفائه متعذراً ، وهناك أشار محمد بن رشيد على عبدالرحمن أن ينقل أخاه إلى الرياض ، فنقله ومات بعد وصوله بمدة لا تتجاوز يومين في ٢٤ نوفمبر ١٨٨٩م (٨ ربيع الآخر ١٣٠٧هـ)^(٣) .

ويموت عبدالله انقضى عهد الدولة السعودية الثانية بشكل تام بعد أن عجز هذا الإمام في الحفاظ على تركة والده نتيجة للظروف غير العادية التي سادت البلاد . ويذكر فلبّي «أن عبدالله قضى ثلث حكمه لاجئاً لا وطن له ومع هذا فقد كان رجلاً ممتازاً يتمتع بدمائه الخلق ، ولكن كانت تنقصه الحكمة والدهاء»^(٤) .

تولى عبدالرحمن بن فيصل الحكم بعد موت أخيه^(٥) لأن أخاه محمد لم يكن ذا

(١) عبدالرحمن الناصر، عنوان المجد والسعد، ص ٣٣ .

(٢) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٠٤ .

(٣) إبراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ١٩٤ .

— Philby, op. cit., p. 232.

(٤) Philby, ibid., p. 232.

(٥) انظر رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ في كتاب «الدرر السنية»، مجلد ٧، ص

مطمع سياسي، وطلب هذا من محمد بن رشيد أن يعزل فهاد بن رخيص عن إمارة الرياض لتبقى السلطة جميعها بيده، إلا أن ابن رشيد قابل هذا الطلب بتحد واضح، فعزل فهاد وعين ابن سبهان العدو اللدود لآل سعود، وهذا يثبت تماماً أن الحكم في نجد أصبح بيد آل رشيد. ولم تكن سلطة عبدالرحمن سوى سلطة اسمية فقط لأن الأمر والنهي كان بيد نائب ابن رشيد.

بدأ ابن سبهان يدبر من أجل التخلص من بقايا آل سعود، وأعد يوماً لتنفيذ مخططه وهو يوم عيد الأضحى في ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، إلا أن عبدالرحمن كشف المؤامرة وعرف نوايا ابن سبهان، ولما دخل ابن سبهان للسلام عليه في قصر الرياض ألقى القبض عليه ومن معه، وظل أسيراً حتى حصار الرياض الأخير من قبل ابن رشيد فيها بعد. وبهذا نجا عبدالرحمن وأسرته من مكائد نائب آل رشيد^(١).

حاول عبدالرحمن أن يعيد سلطة الدولة على مناطق القصيم، عندما استنجد به أهالي القصيم ضد محمد بن عبدالله بن رشيد، لكن الأخير لم يمهّل هذا الحلف حتى ينضج، بل جرد حملة عسكرية قوية من البدو والحضر، واتجه لمحاصرة الرياض وذلك لإنهاء حكم آل سعود نهائياً من نجد. ولم يكن عبدالرحمن بغافل عن تحركات عدوه، بل أخذ يحض سكان الرياض حتى يستطيعوا الصمود أمام ابن رشيد. وصلت قوات ابن رشيد وحاصرت المدينة لكن حاميتها استبسلت في الصمود، فحاول ابن رشيد أن يقطع المدد الاقتصادي عنها، فأغار على قواها المحيطة بها، واقتلع حوالي ٨٠٠٠ نخلة^(٢)، ودام الحصار مدة ٤٠ يوماً وبعدها اقترح ابن رشيد أن يتفاوض مع عبدالرحمن، فوافق الآخر وأرسل وفدًا برئاسة أخيه محمد والشيخ عبدالله بن عبداللطيف قاضي الرياض كعضو محادث، وحضر المفاوضات الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن (الملك عبدالعزيز فيما بعد)، وكان عمره لا يتجاوز عشر سنوات، وتم الاتفاق على:

(١) عبدالرحمن الناصر، المرجع السابق، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) عبدالرحمن الناصر، المرجع السابق، ص ٣٨.

— فؤاد حمزة، المملكة العربية السعودية، ص ٦.

أولاً: أن يرسل ابن رشيد إلى حائل بعد فكه للحصار المفروض على المدينة .
ثانياً: أن تكون السلطة الفعلية في الرياض بيد آل سعود، دون أن يتدخل ابن فيها.

ثالثاً: أن يطلق سراح سالم بن سبهان المأسور بعد مؤامرة عيد الأضحى الماضية سابقاً . وهذا الشرط أورده حافظ وهبة عنه أخذ كل من أمين سعيد، عبد الغفور^(١) وكلهم أخذوا ذلك عن المؤرخ ابن عيسى .

ويلحق عبد الرحمن الناصر على هذا بقوله «وقع الصلح إلا أنه كان موهماً .»^(٢) ويقول فليبي «ومن المشكوك فيه أن يكون أي الجانبين قد اعتبره الا دائمة ونهائية، فقد أضاع أمير الرياض جزءاً كبيراً من بلاده ولا بد من استعادته كان ابن رشيد يحلم بزيادة ممتلكاته لتصبح له دولة حقيقية . وكان عبد الرحمن الا باخلال الهدنة»^(٣) .

قرر ابن رشيد أن يصفي حسابه مع بريدة بعد أن فشل من فتح الرياض حملة من عربان شمر وحرب والتقى بقوات القصيم في مكان يدعى القرعا، انتة أهالي القصيم عام ١٨٩٠ م، (١٠ جمادى الأولى ١٣٠٨ هـ) . إلا أن ابن رشيد الحيلة؛ فأمر قواته بالانسحاب إلى أرض سهلة حتى يراهم أهل القصيم فيلحقه وبعدها تنقض فرسانه على القوات القصيمية . ونجح بذلك وتمكن من أن يهزم القصيم بعد أن قتل من مؤخرتها حوالي ١٠٠٠ قتيل، وعرفت هذه الواقعة بإس المليداء، وكانت هذه من أكبر الخطوات الحاسمة التي مكنت ابن رشيد من الا على جميع نجد^(٤) .

ومع أن عبد الرحمن جهز جيشاً لمساعدة أهل القصيم أصدقائه، إلا أنه

(١) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٢٤٤ .

— أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٨٣ .

— أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، مجلد ١، ص ٧٨ .

(٢) عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٣) Philby, op. cit., p. 234.

(٤) عبد الرحمن الناصر، المرجع السابق، ص ٣٩ .

وصل سهل الحمادة سمع بانهم فقفل راجعا إلى الرياض . وبعدها عرف النتيجة الحتمية له فقرر أن يهاجر من الرياض ، فسار بعائلته إلى الصحراء الشرقية قرب الأحساء بعد أن بقي أخوه محمد وعائلته في الرياض . وأقام عبدالرحمن عند آل مرة حوالي سبعة أشهر ، وأرسل مبعوثا إلى شيخ البحرين وسمح لأهله بالإقامة فيها . وبعدها تفرغ للعودة ثانية إلى الرياض بعد أن أمن عائلته من الخطر^(١).

جمع عبدالرحمن قوات من بدو المنطقة واتجه إل حريملاء ، وفيها التقى بقوات محمد بن رشيد التي مزقت حشود قواته ، ومن حسن حظ عبدالرحمن أن تمكن من النجاة بنفسه ، وعاد بعدها ثانية إلى الصحراء^(٢).

ولما عرف أن الأمر فوق مقدوره بدأ يرسل العثمانيين ويفاوضهم ، وبخاصة أن هؤلاء يدعمون ابن رشيد الذي تحالف معهم ضد آل سعود لاتفاق الطرفين في الهدف ، ولأن الدولة تريد أن تقضي على سلطة آل سعود القوية في المنطقة . وقد قبل العثمانيون مفاوضة عبدالرحمن ، وناب عنه شاب لبناني يدعى الدكتور زخور عازار ، والتقى الطرفان في عين نجم قرب الهفوف في يناير ١٨٩١ م (١٣٠٨ هـ)^(٣) ويبدو أن الدولة هالها ما وصل إليه آل رشيد من نفوذ ، فرأت أن توازن بين القوى في المنطقة ، لذا فتحت باب المفاوضات مع عبدالرحمن .

ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق لأن الدولة العثمانية كانت تريد أن تضرب عصفورين بحجر ، فطلبت من عبدالرحمن أن يهاجم الرياض ويأخذها من آل رشيد ، وبعدها يصبح حاكماً عليها من قبل الدولة على أن يدفع لها ضريبة سنوية^(٤).

وقد رفض عبدالرحمن هذا الطلب إذ لم يكن لديه القوة الكافية لقهر آل رشيد ، بعد أن انفصلت عنه معظم القبائل التي سئمت من كثرة الحروب^(٥).

(١) Philby, op. city., p. 235.

— مصطفى الحفناوي ، ابن سعود ، ص ٤٠ .

(٢) عبدالرحمن الناصر ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) أمين الريحاني ، نجد وملحقاته ، ص ٢٠٦ .

(٤) ، (٥) أمين الريحاني ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

وفي عام ١٨٩١م (١٣٠٩هـ) توجه عبدالرحمن إلى قطر وأقام فيها حوالي شهرين^(١)، وهناك اتصل به حافظ باشا متصرف الأحساء وتفاوض معه على أن تدفع له الدولة راتباً شهرياً مقداره ٦٠ ليرة عثمانية، وأن يقيم في الكويت وذلك لتضمن حركاته^(٢)، ووافق عبدالرحمن وسكن الكويت^(٣) وظل فيها حتى استطاع ابنه عبدالعزيز أن يستعيد الرياض من آل رشيد عام ١٩٠٢م (١٣١٩هـ).
وأثناء وجود عبدالرحمن في الكويت كاتب نقيب أشراف البصرة عله يتوسط له عند واليها كي يضغط على ابن رشيد فينسحب من الرياض، ويرجع حكمها لأسرة آل سعود^(٤). ولكن التوسط لم يعط فائدة تذكر.

نتائج الحرب الأهلية

لا بد من دراسة النتائج المترتبة على الفتنة، وحرصاً على الدقة فقد قسمنا هذه النتائج إلى عدة أقسام: سياسية واقتصادية واجتماعية، إلى جانب بعض النتائج الثانوية الأخرى.

أولاً: النتائج السياسية:

عمت البلاد حروب شملت بلاد نجد، وامتدت إلى خارج حدودها، وظلت حالة الفوضى أكثر من ثلاثين سنة. وكانت هذه الحروب نتيجة لتحالفات القبائل المؤيدة لسعود والقبائل المؤيدة لعبدالله، مما أدى إلى عودة روح العداء التقليدي بين الجماعات البدوية والحضرية. كما أن من نتائج الفتنة ضياع الحكم السعودي الثاني، وظهور قوة سياسية جديدة ضمت جميع نجد بجانب

(١) انظر سليمان بن سحمان، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ص، ٦٠.

(٢) عبدالرحمن الناصر، المرجع السابق، ص ٣٤.

(٣) يقول الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه الضياء الشارق عن سبب اختيار الامام عبدالرحمن الكويت لسكنه ما يلي:

«... لأن الكويت قريباً من بلاد نجد والاخبار تصل اليه بسرعة وأيضاً كان فيه آمناً من تسلط الاعداء، فليس لأحد عليه فيه اتصال بما يكرهه لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد...».

(٤) انظر نص الرسالة في كتاب حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، مجلد ٢، ص ٣٤.

إقليم الجبل، وهي قوة آل رشيد. وتمكن العثمانيون من مد نفوذهم الجدي ويشكل عسكري في الأقاليم الشرقية من نجد، هذا ما حدا ببريطانيا أن تنظر للأمير نظرة جادة، فزار الكولونيل بلي البحرين وجدد تأكيدات بريطانيا حول موضوع الحماية التي كانت قد أعلنتها على البحرين عام ١٨٦١م (١٢٧٨هـ)، وظل أسطولها يربط في المنطقة كقوة رادعة ضد محاولات العثمانيين الرامية إلى التوسع في الخليج^(١).

ونتيجة كذلك احتكاك مسلح بين مبارك آل صباح شيخ الكويت وبين آل رشيد أصحاب السلطة الجديدة في نجد، وذلك نتيجة لإقامة آل سعود في الكويت التي اتخذوها قاعدة للهجوم على نجد ومحاولة لإعادة سلطتهم فيها. ومن هنا أصبحت الكويت الصغيرة محور سياسة الصحراء ومركز التنافس والتوتر الدولي في المنطقة حتى أنها غدت نقطة رئيسة في المشروع الاقتصادي الألماني في الولايات العثمانية «سكة حديد برلين - بغداد». وكان لهذا الإجراء أثره على السياسة الإنجليزية إذ تعهدت بريطانيا بحماية الكويت ضد أي اعتداء خارجي. وكان من نتائج الاحتكاك الرشيدي الكويتي السعودي وقعة الصريف في ١٧ ذي القعدة ١٣١٨هـ / ١٩٠١م^(٢).

وهناك نتيجة سياسية هامة، وهي أن الانقسامات شجعت عزان بن قيس إمام عمان، أن ينتزع البريمي من آل سعود في صيف عام ١٨٦٩م (١٢٨٦هـ). حتى أن الإمام عبدالله بن فيصل لم يستطع أن يفعل شيئاً نتيجة انشغاله بحروب أخيه، وتمردات القبائل، وانفصال بعض أقاليم الدولة، ولظروف ثانوية أخرى.

ثانياً: النتائج الاقتصادية:

امتصت الحروب كثيراً من الأيدي العاملة التي كانت سبباً في إنعاش الحياة

(١) Lorimer, op. cit., pp. 229 - 243.

— محمد سعيد المسلم، ساحل الذهب الأسود، ص ١٦١.

(٢) سيف مرزوق شعلان، من تاريخ الكويت، ص ٢٤٣ وما بعدها.

الاقتصادية والزراعية والتجارية والصناعية والرعي، كما كان للحروب نتائج كبيرة إذ قتل فيها عدد كبير من الأفراد العاملين، وبما شل الحركة الاقتصادية في البلاد بشكل عام.

كما أن التجار وقوافلهم أصبحوا في حالة من القلق وعدم الاطمئنان خوفاً من نهب البدو واعتداءات القبائل، وذلك نتيجة حتمية لضعف السلطة المركزية. وقد أثر هذا في تعطيل مرافق العمل في البلاد وكانت نتيجته أن حدثت هزات اقتصادية قوية، بخاصة في قلب البلاد (نجد)، حتى أن الناس أكلوا الجيف من شدة الجوع وعدم توافر المواد الغذائية اللازمة^(١).

وبما زاد الأمر صعوبة ضعف اقتصاد البلاد آنذاك، إذ كانت تعتمد كلية على الزراعة والرعي والتجارة، وهذه جميعها تأثرت بالأوضاع السياسية السائدة في البلاد خلال فترة الفتنة. وهكذا نرى أن الأمور التي ساعدت على ضعف اقتصاد البلاد كانت طبيعية وبشرية وسياسية انعكس تأثيرها على دخل الدولة، فاضطرت الدولة إلى زيادة الضرائب مما أرهاق كاهل الشعب، فزاد في تدمره.

ثالثاً : النتائج الاجتماعية :-

ظهرت عدة مشكلات اجتماعية نتيجة الحروب المذكورة، إذ أن الضعف الاقتصادي خلف في البلاد طبقة اجتماعية عاطلة عن العمل، فانتشرت البطالة وقل الانتاج. كما أن الحروب أوجدت أفراداً مشوهين، وذوي عاهات دائمة. فأصبح هؤلاء عالة مستديمة على المجتمع، وكان بالإمكان استغلال هذه الطاقات البشرية في الحقل الاقتصادي وفي عمليات البناء الحضاري.

وننتج عن الحروب أن تمزقت وحدة المجتمع السعودي بعد أن هيأت فيه

(١) إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٨١، ١٨٢.

أسباب الانقسام، كدخول القبائل في حروب ضد بعضها البعض، هذا ما أعاد الى الأذهان العداوات القديمة التي ظلت تلازم التطورات السياسية في المنطقة الى أن جاء عهد الدولة السعودية الحديثة فعمل عبدالعزيز آل سعود على إنهاء هذه العداوات، بعد أن شكل للبدو قرى دعيت بالهجر ودعاهم بالإخوان أي بمعنى الحليف والمعاهد لأخيه المسلم، وهذا ما سنه الرسول الكريم عندما هاجر الى المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار متمشياً ذلك مع الآية الكريمة «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.». وغدت كلمة الإخوان علماً يطلق على سكان البادية الذين تركوا سكنى الخيام واستقروا في أماكن خصصت لهم^(١).

وقد أثرت الفتنة على الحياة الثقافية والأدبية في البلاد، فشلت حركة الكتابيب نتيجة لعدم الاستقرار السياسي في المنطقة، ولم تبق سوى الكتابيب التي كانت تلازم مخيمات الجند أو التي كانت تقام في الجوامع بعد انتهاء صلاة العصر، هذا اذا كانت البلدة أو القرية في هدوء آنذاك. وعلى الرغم من هذا فقد ازدهر الشعر النبطي في وصف الحروب والأوضاع العامة.

ومن جانب آخر فقد ألهمت عواطف الشعراء، فمنهم من كان يؤيد عبدالله ومنهم من أيد سعود، ومنهم من وقف على الحياد، وأخذ يحضهما على الاجتماع بدلاً من الفرقة والخلاف بينهما عن الشقاق. وقد حللت بعض هذه القصائد الفتنة وذكرت في أبياتها مدى المساوىء التي خلفتها. فيقول الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى أحد قضاة آل سعود في قصيدة وجهها لاولاد فيصل ما يلي:

فحتى متى هذا التواني عن العلى كأنكم ومن حوته المقابر

(١) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ٣٩٣.

— جريدة أم القرى، عدد ٢١٨، السنة الخامسة في ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، مقال تحت عنوان «الهجر في جزيرة العرب».

وأموالكم منهوبة وبلادكم
وأشباعكم في كل قطر وبلدة
وأطفالكم هلكى تشتت شملهم
عما لاكم قد قسمتها ملوكها
تبوأها بالرغم منكم أصاغر
اذلا حيارى والدموع مواطر
وساءت لهم حال اذا الجدعائر
وأنتم لهم أحدىثة ومساخر^(١)

ففي هذه القصيدة صورة أدبية تعكس لنا صورة حية عن شقاق أولاد فيصل وما نتج عن هذا الشقاق.

ضعف الدولة وسقوطها :

كان لابد من أن نفرد موضوعاً خاصاً نبحث فيه عوامل ضعف الدولة ثم سقوطها، وذلك قبل أن ننتقل إلى البحث الحضاري، ونكون بذلك قد أنهينا بحث الفصول السياسية.

لقد وصلت الدولة السعودية الثانية أوج قوتها زمن مؤسسها فيصل بن تركي ونستطيع أن نقول أن الدولة مرت بفترة ٢٢ سنة وهي دولة قوية متماسكة دانت لها مشيخات الساحل المتصالح والإمارات الأخرى، من الكويت شمالاً إلى رأس الحد جنوباً^(٢). وأخذت الزكاة من هذه القوى السياسية جميعها. وبدأت كل من فرنسا وبريطانيا تتسابقان في طلب ود الدولة، وهذا ما عبر عنه الإمام فيصل لبلي عندما زاره في عاصمته في الرياض^(٣).

ولم تدم قوة الدولة المذكورة بل بدأت تتمزق وتتقلص حتى تلاشت. وما هذا الانحدار التدريجي في الدولة إلا نتيجة لنزاع الأخوة الذي ظهر على إثر موت أبيهم فيصل. ويعود ضعف الدولة، ثم سقوطها إلى عدة عوامل :

(١) أوردها كتاب عقد الدرر للأديب الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى، ص ١٢٥.

(٢) Pelly's Visit to Riyadh, p. 70.

(٣) Pelly's Visit to Riyadh, p. 52

أولاً : انقسام البيت السعودي الحاكم :

فقد نازع الأمير سعود أخاه الامام الشرعي عبدالله بن فيصل بعد تسلمه الحكم مباشرة، ويعود هذا لاعتقاد سعود أنه أحق من أخيه بالحكم، أو على الأقل هو أصلح منه. وكنا قد بينا أسباب الفتنة في الفصل الخامس من هذا البحث، وبيننا كذلك النتائج المترتبة على هذا الانقسام. ويذكر الكولونيل روس الموظف البريطاني المستول في الخليج في أحد تقاريره «أن حكم طائفة الوهابية الدنيوي يسير سريعاً نحو الاضمحلال، وأن أساطير أعمالهم الشرسة أصبحت قصصاً قديمة من قصص العهود الغابرة»^(١). ولا يهمننا ري هذا الموظف بقدر ما يهمننا وصفه قوة آل سعود بعد القوضى والاضطراب. ويعلق كتاب «عرض السعودية» على هذه الحروب الأهلية فيذكر أنها كانت مفجعة حقاً، لاسيما وأن الأخوين المتخاصمين ذومواهب، وحرصا على التمسك بتقاليد بيتهم^(٢). وهكذا كان للانقسام أثر في زوال الرخاء عن آل سعود، وأصابتهم شدة عامة^(٣).

ثانياً : أطماع الدولة العثمانية :

حاولت الدولة العثمانية بعد انتهائها من حرب القرم، وبعد فتح قناة السويس أن تبسط نفوذها على سواحل الخليج العربي، فعينت مدحت باشا على ولاية بغداد، وهي ترجومنه أن ينفذ أطماعها في المنطقة. وكانت مخططاته ترمي الى تقوية نفوذ الدولة، وإخضاع كل البلاد التي كانت تابعة اسمياً لها إخضاعاً فعلياً^(٤). وجاءت هذه المخططات متزامنة تماماً مع ضعف الدولة السعودية. وبذا بدأت الدولة تنفذ ما خططت له، فاستولت على الأجزاء الشرقية من دولة آل سعود، بحجة أنها جاءت لإخضاع الأمير سعود، الثائر ضد أخيه عبدالله الذي طلب المساعدة منها، وبحجة أنها تريد أن توقف التغلغل الإنجليزي خوفاً من امتداده من مناطق الساحل الى داخل الجزيرة.

(١) التقرير الاداري لعام ١٨٧٨ - ١٨٧٩م، ص ٦ نقلاً عن عرض السعودية مجلد ١، ص ٢٥٤.

(٢) عرض الحكومة السعودية، مجلد ١، ص ٢٣٥.

(٣) محمد كامل حته، في أرض المعجزات، ص ٢٩.

(٤) Longrigg, Four Centuries in Modern Iraq. pp. 301-302.

ثالثاً : نمو قوة آل رشيد في حایل :

ومع أن إمارة آل رشيد جاء تشكيلها في وقت مبكر لا يتعدى الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي^(١)، إلا أنها بدأت تنمو وتتقدم حتى أصبحت إمارة مستقلة استقلالاً ذاتياً تتبع الدولة السعودية الثانية. واستغل آل رشيد ومنهم محمد بن رشيد وعبد العزيز بن رشيد الفتنة الأخوية المذكورة لتحقيق أطماعهم في توسيع أرجاء منطقتهم حتى شملوا حایل وشمر ونجد، وهذا ما وضحناه بالتفصيل في دور آل رشيد من النزاع السعودي في الفصل الخامس من هذا البحث، ولا ضرورة للتكرار. ويذكر حافظ وهبة عن دور آل رشيد ومدى إفادتهم من النزاع ما يلي : «لقد انتهز محمد بن رشيد فرصة النزاع بين ولدي الامام فيصل، والاتراك من ورائه يذكون نار الخلاف، وأخذ يطوي نجداً بلداً بعد آخر»^(٢).

رابعاً : ضعف الإمام عبدالله بن فيصل :

كان الإمام عبدالله ضعيفاً ومتزمتاً دينياً، بعكس أخيه سعود الذي يبدو أنه كان متحرراً^(٣) من التقاليد والعادات المتبعة وقتذاك في نجد. فقد نفر الناس من عبدالله حتى أن جماعته وأقرباءه رأوه غير أهل للحكم^(٤)، ويذكر عنه الملك عبدالعزيز آل سعود أنه كان ضعيف الشخصية، يجهل الأمور السياسية، وسلم الحكم لأعوانه وخدمه دون أن ينظر الى الكفاءة^(٥)، وقد كان لهذا أثر عظيم في ضعف الدولة وضياعها نتيجة لضعف السلطة المركزية في الرياض.

خامساً : عدم وجود جيش منظم للدولة :

كان جيش الدولة من القبائل البدوية والحضرية، يجتمع متى أعلن النفير العام الذي يعلنه الإمام. ويمكن القول إنه لو كان للدولة جيش منظم مدرب لما استطاعت

(١) ضاري بن الرشيد، المرجع السابق، ص ٦، ٧.

(٢) حافظ وهبة، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ٢٦.

(٣) محمد أنيس والسيد حراز، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٤) مصطفى الحفناوي، ابن سعود، ص ٢٧.

(٥) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١١.

حشود البدو أن تساعد أخاه سعود، ولكانت الكلمة العليا والوحيدة للجيش. فإذا عرف عدم صلاحية الإمام عزله وعين إماماً جديداً غيره. ولكن الدولة كانت آنذاك تفتقر الى مثل هذا التنظيم، لذا يجدر بنا أن نبعد عن أفكارنا المفهوم الحديث للدولة عند دراستنا لمشكلات الدولة السعودية الأولى أو الثانية. ولو كان هناك جيش منظم لاستطاع إيقاف الزحف العثماني على المنطقة الشرقية، ولو من نفوذ آل رشيد المتزايد.

سادساً : كثرة الغزو الخارجي :

كانت الدولة تواجه صعوبات من الخارج لكثرة الأعداء الذين كانوا يترصدون بها، وكانت العلاقة مع إمارات الخليج كمسقط والبحرين وأبو ظبي وأحياناً مع الكويت، كلها علاقة حربية، مما استنزفت معه موارد الدولة وقوتها. ومن جهة الغرب كان هناك الأشراف الذين عملوا على إضعاف الدولة كذلك.

سابعاً : الاضطرابات الداخلية :

كثيراً ما أوردنا غزوات كانت تقوم بها الدولة لإخضاع تمردات البدو والقبائل ضدها، إذ إن هذه القبائل البدوية كثيراً ما كانت ترفض دفع الزكاة وأحياناً تغزو القرى والمدن الآمنة مما كان يستدعي الدولة أن تقوم بعمليات تأديبية ضدهم، وقد كلف الدولة كثيراً.

ثامناً : الضعف الاقتصادي :

كانت البلاد ذات موارد محدودة، وكان جل اعتمادها على الزراعة في الواحات وعلى التجارة مع بلدان الخارج. ومهما يكن فإن طبيعة المنطقة فقيرة اذا ما قيست بغيرها من المناطق الأخرى. فكان لهذا أثر على النظام المالي للدولة.

وهكذا كانت هناك عدة عوامل كفيفة بإسقاط الدولة، ومع هذا فقد ظلت مقومات الدولة موجودة، والمقومات التي ظلت في البلاد والتي ساعدت في المستقبل على إحياء دولة آل سعود، هي العقيدة والمبدأ. فظل الكثير من السكان مؤيدين للدعوة

الإصلاحية^(١)، محافظين عليها، وهذا ما نتج عنه قيام الإخوان زمن الملك عبدالعزيز آل سعود، وعلى أكتافهم كان ضم شمر والحجاز وعسير. ومن المقومات الأخرى اقتداء الكثير من الناس بالأسرة السعودية التي تدعمها أسرة آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب صاحبة النفوذ الديني في المنطقة^(٢)، فهذا التأييد كان له قيمته عندما حاول السعوديون إعادة أمجادهم في المنطقة. هذا الى جانب عراقة الأسرة في الحكم وكثرة حروبها مع الأجانب دفاعاً عن مبدأ العقيدة والوطنية، وهي الاستقلال عن كل أجنبي، زد على هذا كله الدعم والعون الخارجي الذي لقيه آل سعود من حاكم الكويت الشيخ مبارك لتوافقهما في الهدف.

(١) انظر: ميكوش، عبدالعزيز، مترجم، ص ٢١.

(٢) Twitchell, Saudi Arabia, p. 152.

الفصل السادس

العلاقات الخارجية للدولة في الفترة

١٨٦٥ - ١٨٩١ م

١٢٨٢ - ١٣٠٩ هـ

محتوياته

- تمهيد
- علاقة الرياض بسلطنة مسقط والإنجليز.
- الدولة ومشكلة خور العديد.
- علاقة الدولة بكل من البحرين والكويت.

الفصل السادس

العلاقات الخارجية للدولة في الفترة

١٨٦٥ - ١٨٩١ م

١٢٨٢ - ١٣٠٩ هـ

تمهيد:

يمكننا أن نقسم علاقة الدولة السعودية الثانية بالخارج في هذه الحقبة من التاريخ السعودي إلى التالي:

أولاً: علاقة الرياض بسلطنة مسقط والإنجليز.

ثانياً: الدولة السعودية ومشكلة خور العديد

ثالثاً: علاقة الدولة بكل من البحرين والكويت والموقف البريطاني تجاه هذه العلاقة.

أما عن العلاقة الأولى فيمكن أن نستهلها بذكر الأحداث القائمة بين الرياض ومسقط، وما ترتب على هذه الأحداث من نزاع كان في حالة مد وجزر بالنسبة للنفوذ السعودي في واحة البريمي، وبالنسبة لمحاولته الامتداد في أرض عمان. ولم يقف هذا النزاع عند حدود الدولتين بل تعداهما ليشمل بريطانيا صاحبة الحماية للإمارات الساحلية في الخليج. والعلاقة القائمة في هذه الفترة بالذات هي امتداد طبيعي للعلاقة التي كنا قد ذكرناها في الفصل الرابع من فصول هذا البحث. إلا أنه لطول الفترة الزمنية واختلاف الظرف السياسي، حاولنا متوخين أن نكتب مفصلاً، مما دعانا إلى فصل هذا الموضوع عن سابقه، والذي امتدت علاقته من ١٨٤٣-١٨٦٥ م (١٢٥٩-١٢٨٢ هـ).

وأشرنا هنا إلى أن الظرف السياسي يختلف عن سابقه، ونتج عن هذا التباين علاقة مغايرة كذلك. فالعلاقة الحالية هي علاقة الدولة السعودية الضعيفة بسلطنة

مسقط والإنجليز، بينما كانت السابقة علاقة الدولة السعودية القوية بمسقط والإنجليز، ويعود هذا المعيار النسبي إلى حدوث الحرب الأهلية في الدولة السعودية الثانية.

علاقة الرياض بسلطنة مسقط و الإنجليز

تحتل علاقة مسقط بالرياض أو بالعكس الجزء الهام من هذا الفصل. وأول حادث في هذه العلاقة كان حادث صور البلدة الواقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من سلطنة عمان. والحادث عبارة عن ثورة صغيرة قامت في عمان ضد السلطان السيد ثويني ابن سعيد. وتزعمت الثورة قبيلة جعلان (أبو علي)^(١). واستطاع الثوار من احتلال صور بعد أن ساعدتهم القوات السعودية. ونتج عن الحادث ما يلي، سيطرت القبيلتان على بلدة صور، وقتل شخص وجرح آخر من بين الهنود التابعين للدولة الإنجليزية في الهند، كما حدث بعض التخريب والسلب في البلدة قدرت خسائره بالنسبة لرعايا بريطانيا بـ ٧٠, ٢٧ ريال^(٢).

لنسأل عن موقف بريطانيا الناطقة بلسان سلطان مسقط، لقد احتجت بسبب الحادث، وكان احتجاجها المرسل شديد اللهجة أرسلته في ١٦ يناير ١٨٦٦م (١٢٨٢هـ) وهو من نسختين واحدة إلى الإمام فيصل، والثانية إلى وكيله في البريمي، وهو تركي ابن أحمد السديري^(٣). وجاء في الاحتجاج «أنه إذا لم يقيم الأمير السعودي بتقديم ترضية كافية للأعمال العدوانية في خلال سبعة عشر يوماً فستقوم المدرعات البريطانية بتحطيم القلاع الساحلية، ومصادرة السفن التابعة للسعوديين» وطلب

(١) نور الدين عبدالله السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، المجلد ٢ ص ٢٦٥.

(٢) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, vol 1, p. 474.

(٣) يذكر أمين السعيد في كتابه، تاريخ الدولة السعودية، المجلد ١ ص ١٦٢ أن الوكيل السعودي في المنطقة وقتذاك كان أحمد السديري. وهذا خطأ واضح، والصحيح هو تركي بن أحمد، لأن الأول توفي عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م. انظر: ابن بشر، عنوان المجد مجلد ٢، ص ٣٢.

ويذكر بلجريف في كتابه «Narrative of A Year's Journey» مجلد ٢ ص ٢٨٦ أن تعيين تركي السديري في البريمي كان من أجل حد نفوذ أسرة السديري القوية في نجد. ولكن الواقع يثبت كثيراً ما تسلمت هذه الأسرة حكم القطيف والأحساء والبريمي.

الإلذار أن تدفع الحكومة السعودية خسائر الرعايا البريطانيين وهي ٢٧,٧٠٠ ريال، وأن تتعهد الدولة السعودية بعدم القيام بمثل هذه الإجراءات^(١).

هذا بالنسبة للإجراء الذي قام به المعتمد البريطاني الكولونيل بلي، وهو احتجاج من مسئول رسمي إلى رسميين في الرياض والبريمي. ومع هذا لم تكتف حكومة بريطانيا في الهند بما قام به معتمدها في الخليج من تصرفات، بل أصدرت تعليماتها إلى بلي وإلى قائد منطقة الخليج بأن يتخذ ما يريته لازماً من الإجراءات لأجل تسوية سلمية بين الرياض ومسقط، ولكن معتمدها بلي لم يتقيد بما طلبته بريطانيا منه، بل أراد أن يستعمل القوة من أجل حل النزاع، وهذا ما وافق عليه قائد الأسطول البريطاني في المنطقة. والملاحظ أن بريطانيا كانت تريد تسوية سلمية دون أن تلجأ لحل الأمور المتأزمة بالقوة، وهذا ما عبرت عنه برسالة إلى معتمدها في الخليج، كان فحواها، أنها لا ترغب في الحلول العسكرية. ومع هذا فقد تصرف المعتمد تصرفاً فردياً. فهول الأمر بدون إجراء أي تحقيق لمعرفة أسباب الحادث ولجأ إلى استعمال القوة العسكرية لحل الأمور المتأزمة^(٢).

ويبدو أن لهجة الحكومة السعودية التي صورت موقف المعتمد البريطاني في عرضها التاريخي بشأن القضية المتنازع عليها في عمان والبريمي كانت لهجة متقدمة، متشددة، إلا أن الواقع يثبت تماماً أن بريطانيا تريد الحد من النفوذ السعودي القوي في المنطقة بخاصة بعد أن وصل ذورته زمن الإمام فيصل أكبر شخصية سياسية عرفتها الدولة السعودية الثانية.

ومع أن الإلذار الموجه من بريطانيا عن لسان معتمدها كان شديداً، إلا أن الرد

(١) Trans. of Arabic News from the Consul general (Baghdad) to the British Embassy (Constantinople) 3rd March. 1869 (F. O. 195, 803 A).

نقلًا عن جمال زكريا، الخليج العربي، ص ٩٥.

(٢) انظر عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

— شركة الزيت الأمريكية - أرامكو - شعبة البحث العربية، عمان والساحل الجنوبي، ص ٣٤.

السعودي جاء على العكس تمامًا، إذ كان بلهجة فيها التودد، فقد أصدر فيصل تعليماته إلى وكيله تركي السديري بأن يطلق سراح ما بيده من أسرى بريطانيين وإعادة ممتلكاتهم. ومع هذا لم يرض هذا الإجراء بريطانيا، بل قابلته باستنكار^(١)، وهكذا بدأت بريطانيا تتدخل في شئون جزيرة العرب بدلا من سياستها التي أعلنتها على لسان معتمدها بلي Pelly وهي - اللاتدخل - عندما زار الرياض، وقابل فيصل، وتحدث معه عام ١٨٦٥م (١٢٨٢هـ)^(٢).

ويقول لوريمر Lorimer في ذلك: «وبعد أن أدركت حكومة بريطانيا في الهند أن مصالحها الشخصية تتطلب منها التدخل بدلا من حيادها المعتاد فأوعزت لحاكم مسقط بالتصدي إلى حاكم الرياض ومقاومته بعد أن وعدته بالمساعدة بالعتاد والسفن الحربية لإعادة سلطته في البلاد التي احتلها الوهابيون^(٣)» وبالفعل فقد أخذت بريطانيا تمد السيد ثويني حاكم مسقط بالمعونة العسكرية، فزودته بمدفعين وبكمية كبيرة من ملح البارود وبأسلحة وغيرها، وذلك لمواجهة السعوديين وللهجوم على واحات البريمي التي هي مفتاح الطريق للسيادة على بلاد عمان^(٤).

ونلاحظ من قول أحد المسؤولين البريطانيين وأعني لوريمر أن بريطانيا كانت قبل حادث صور تقف على الحياد إذا ما حدث نزاع بين القوى السياسية في الجزيرة والخليج. ولكن إلى أي حد يمكن الأخذ بهذا الإدعاء إذا عدنا للفصل الرابع من البحث وألقينا ولو نظرة سريعة على مدى تدخل بريطانيا في شئون المنطقة السياسية. والحقيقة يمكن القول إن علاقة محمد علي بالخليج أو علاقة الدولة السعودية بالخليج ما هي إلا علاقات مع بريطانيا بالفعل. وأما من حيث الاسم فهي مع إمارات الخليج. وخير مثال على ذلك موقفها من النزاع السعودي البحراني أو النزاع المصري البحراني، . . . ولكن بطبيعة الحال فإن جوابها سيكون: خوفا من تغيير الوضع الراهن في المنطقة، وحفاظًا على مواصلاتها الامبراطورية.

(١) Lorimer, op. cit., vol. 1, p. 1122.

(٢) انظر: Pelly's Report, p. 51.

(٣) ، (٤) Lorimer, op. cit., p. 474.

ولما لم تتلق الحكومة البريطانية ردًا على هذا الإنذار في ٢ فبراير في العام نفسه، وهو موعد إنتهاء الإنذار لصعوبة المواصلات قامت السفينة البريطانية هاي فلاير «High Fiyer» وضربت بنيران مدافعها الدمام، الميناء السعودي في الخليج، واعتدت كذلك على بلدة القطيف القريبة منها. وبرر بلي هذا الاعتداء بأنه نتيجة لرفض السعوديين دفع ٤٠,٠٠٠ ريال كتعويض للممتلكات المنهوبة لرعاياها الهنود في بلدة صور^(١). وقد لقيت القوات البريطانية مقاومة عنيفة في الدمام من قبل الحامية السعودية المقيمة في البلدة. كما أوقع الإنجليز خسائر فادحة بممتلكات قبيلة آل على المؤيدة للسعوديين في عمان^(٢).

وفي غضون فترة قصيرة وصل الرد السعودي المؤرخ في ٢٧ يناير ١٨٦٦م (١٢٨٢هـ) مع مندوب الإمام عبدالله، المدعو محمد بن إبراهيم بن مانع الذي وصل إلى بوشهر في ٢١ أبريل ١٨٦٦م، ولما قابل مندوب الإمام عبدالله المعتمد البريطاني بلي أدلى له بالتصريح التالي: ^(٣)

أنا محمد بن عبدالله بن إبراهيم، واثق من النقاط الآتية:
أولاً: إنني نخول من الإمام عبدالله بن فيصل أن أطلب من صاحب المقيم في الخليج، أن يتوسط بين الإمام وبين الحكومة البريطانية.
ثانياً: إنني أؤكد للمقيم، نيابة عن الإمام، بأن الإمام لا يعارض أو يؤذي رعايا بريطانيا المقيمين في أراضيه.

(١) Lorimer, op. cit., pp. 1123-1124.

Trans. of Arabic News from the consul general (Baghdad) to the British Embassy (Constantinople) 3rd March, 1866 (F.O 195, 803 A).

نقلًا عن جمال زكريا، الخليج العربي، ص ٩٥.

(٢) Aitchison, Collections. of Treaties vol. 11, p. 206.

Badger, Trans., History of Imams and Seyyids Introduction and analysis, p. civ.

وردت هذه في : مجموعة المراسلات الهندية السياسية:

(٣) (India Political Collections and Despatches, vol. 88, col. 17, Fols. 12v. 13)

أخذت عن مذكرات السعودية، مجلد ٢، ملحق أ، رقم ٥.

وهذه الوثيقة مترجمة عن الإنجليزية، لأن النص العربي مفقود.

ثالثاً: وأؤكد للمقيم، نيابة عن الإمام أنه لن يتلف أو يهاجم أراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية، لا سيما مع مملكة مسقط، بخلاف تلقي الزكاة التي هي عادة منذ القدم.

الختم (محمد بن عبدالله بن مانع)
حررت هذه المعلومات بيدي في بلدة بوشهر يوم
السبت من ذي الحجة سنة ١٢٨٢هـ - ٢١ أبريل ١٨٦٦م

ونستنتج من هذا التصريح الذي لم يعثر له على أصل في محفوظات الحكومة السعودية، هو أن بريطانيا كانت تعتبر نفسها طرفاً مباشراً في الخلافات القائمة بين الرياض ومسقط، وقد اعتمدت على كونها حامية لمسقط. وهذا ما يفسره النص المذكور في البند الأول من هذه الوثيقة.

أما عن مفهوم الزكاة بالنسبة للحكومة السعودية الأولى والثانية والحكومة المعاصرة فإنه يعني المفهومين السياسي والديني، بعكس وجهة نظر بريطانيا. واعتمدت الحكومة السعودية بذلك على تصريح «بدجر Bedger» الذي كان يعمل في زنجبار^(١)، وعلى ما ذكره اتشيسون وكيل الخارجية في حكومة الهند آنذاك^(٢) وكلاهما يدعم وجهة النظر السعودية بشأن الزكاة التي كانت تؤخذ من القبائل العربية المتحالفة مع بريطانيا ولا سيما مع حكومة مسقط.

ومع أن الحكومة السعودية رفضت الاعتراف بالوثيقة الإنجليزية المذكورة لعدم توافر الأصل العربي، إلا أنه ليس بغريب أن تكون الوثيقة صحيحة وذلك إذا درسنا الظرف المحيط بحكومة الإمام فيصل في نجد. فالإمام تسلم السلطة حديثاً وهو بحاجة إلى فترة تمهيد ليستطيع القبض على زمام الأمور في الدولة، وذلك كعادة تقليدية عند

(١) Badger, op. cit., p. 106.

(٢) Aitchison, op. cit., vol. II, p. 50.

تسلم الحاكم الجديد. كما أن الإمام كان لا يريد أن يدشن حكمه بحلقة عدااء مع بريطانيا ومسقط ما دامت الزكاة مدفوعة. هذا إلى جانب ثورة أخيه، أو على الأقل ظهور أطماعه. لذا فليس ببعيد أن يعتمد عبدالله إلى الملاينة وحل الأمور بالطرق الدبلوماسية السلمية مقتديا طريق أجداده وآبائه^(١)، طالما وجد نفسه في هذا الظرف الحرج.

ويبدو أن حدة التوتر هذأت بالنسبة لبريطانيا، فقد اعتدت على القطيف والدمام وأدبت آل بوعلي وقبيلة الجنبه، وأخذت الثورة القائمة ضد ثويني بن سلطان حاكم مسقط، وضمنت عدم تدخل عبدالله بن فيصل في أمر عمان، أو بالتالي حددت أطماعه في بلاد عمان، وظهر لها أنه في وضع غير ملائم للهجوم، لذا كان جوابها على رد الإمام جوابا يدل على ارتياح كبير من تصريح ابن مانع، وعلى هذا أرسل المعتمد بلي إلى عبدالله بالكتاب التالي:

تلقيت كتاب سموكم الودي من يد خادكم ابن مانع وحاشيته. ولقد صرحتم بأنكم ترغبون في السلام، وسلمني مندوبيكم ورقة أبعث طيه بنسخة منها، بعد موافقة حكومة جلالته عليها. وإذا حدث ونشأت صعوبات فيما بعد، حول ما تدفعه مسقط من الزكاة لكم، فإن الحكومة البريطانية، لا تريد أن تتدخل في الأمر، وأن تصبح كفيلا في مسألة تهكمكم أنتم والسلطان، ولكنها لا تمنع في استخدام وساطتها لوضع تفاصيل اتفاق بينكما. وقد أبلغني مندوبيكم أنه في حالة ما إذا نشأ مثل هذا الأمر فإنكم ستكتبون إلي وتطلبون وساطتي.

إنني آمل أن يصلكم كتابي هذا وأنتم بخير. وإذا كان لديكم أي صعوبة فأرسلوا إلي مندوبا أميناً، وسأكون مسروراً دوماً لمقابلة مندوبيكم مقابلة ودية كما جرى مع محمد بن عبدالله بن مانع^(٢).

(١) صرح بلي عن العلاقة الودية بين الانجليز والسعودية في تقريره، وشرنا إلى ذلك في صفحات هذه الرسالة.

(٢) أمين السعيد، تاريخ الدولة السعودية، مجلد ١، ص ٦٤.

وإذا قارنا الحالة الداخلية لكل من مسقط والرياض نجد أن الحالتين تتقاربان في الشبه. وإليك صورة عن الوضع الداخلي لمسقط في الفترة الواقعة بين ١٨٦٥-١٨٦٩ م (١٢٨٢-١٢٨٦ هـ) وهي فترة تتشابه في الوضع الداخلي لكلا البلدين، فقد قتل السيد ثويني حاكم مسقط على يد نجله سالم، وهو نائم في فبراير (شباط ١٨٦٦ م)^(١)، كما قامت ثورة من قبل تركي بن سعيد بن سلطان أخو ثويني ضد سالم حاكم البلاد الجديد، ولكن الثورة فشلت نتيجة تهديد بريطانيا لتركى وعدم مساندتها لثورته^(٢). وعلى كل حال لم يدم حكمه طويلاً، لأن الاباضيين قاوموه وخلعوه واختاروا للإمامة عزان بن قيس أخذ أفراد آل بوسعيد. ومع أن بريطانيا كانت لا ترغب في تثبيت سلطة عزان، بل ترغب في تثبيت حكم سالم، إلا أن الأخير هرب من البلاد على ظهر سفينة البرنس أوف ويلز Prince of Wales وهكذا عين عزان بن قيس إماماً حقيقياً لبلاد عمان عام ١٨٦٨ م، ولأول مرة في تاريخ القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) يصبح للاباضية في أرض عمان إمام حقيقي^(٣).

ولنأخذ صورة ثانية للوضع الداخلي في نجد الذي يشابه إلى حد كبير الوضع الداخلي في عمان في الفترة المذكورة سابقاً. ففي عام ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ) توفي الإمام فيصل وتولى ابنه عبدالله خلفاً له. ولكن ما كاد يتربع على دفة الحكم حتى ثار عليه أخوه سعود الطامع في الحكم. واستطاع هذا الثائر أن يستولي على الرياض ويطرد أخاه عبدالله منها أكثر من مرة.

والذي يلاحظ أن الوضع الداخلي في كل من نجد وعمان متأرجح وغير مستقر نتيجة تدمير شديس من الأهالي، ونتيجة أطماع الأفراد وحسدهم، والجميع يحاول التخلص من الحاكم الأول (الإمام أو الحاكم). ولكن يبقى شيء يرجح كفة الميزان في

(١) شركة الزيت العربية الأمريكية، آرامكو، شعبة البحث العربية، المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢) Lorimer, op. cit., p. 479.

(٣) عبدالله السالمي، تحفة الأعيان، المجلد ٢، ص ٢٣٧، أحمد قاسم البوريني، الامارات السبع على الساحل الأخضر، ص ١٥٧، ١٥٨.

مسقط، وهو موقف بريطانيا المؤيد لحكومة مسقط مهما كان نوع السلطة ما دامت تسير في ركبها.

لقد خفت هجمات السعوديين بعد تعهد ابن مانع الذي ذكرناه سابقاً واكتفوا بالحصول على الزكاة المفروضة، ومع هذا فقد كانت بريطانيا تشجع ثويني على التخلص من دفع الزكاة للسعوديين المتفق عليها منذ عام ١٨٥٣ م. ويمكن القول إن ثويني منذ موت فيصل بدأ يماطل في دفع الزكاة، وبخاصة بعد أن وجد تأييداً لموقفه هذا من قبل الإنجليز. ولم يكتف بهذا بل أخذ يعد العدة للتخلص من سلطة السعوديين في البريمي، إلا أن السعوديين كانوا أذكى منه، فقد تحالف نائبهم في البريمي مع سالم بن ثويني ووعدته بالمساعدة إذا تخلص من والده. واستطاع سالم أن يقتل والده في صحار عندما جاء لينظم الحملة التي يعدها للهجوم على السعوديين، ومما يدل على اشتراك السعوديين في المؤامرة، وجود بعض الرعايا السعوديين المشتركين في عملية القتل المذكورة^(١). هذا وقد قتل النائب الوهابي في أبريل ١٨٦٩ م (١٢٨٥ هـ) أثناء جولة له في الشارقة يريد منها حل النزاع القائم بين أفراد الأسرة الحاكمة فيها^(٢). وفي رحلته هذه التقى مع الكابتن واي Way وأخبره أن ليس لديه أمر رسمي من الإمام عبدالله لمساعدة الحاكم المخلوع سالم بن ثويني. والواقع أن تركي كان قد اتصل بسالم حليفه، وكونا ائتلاًفاً من الزعماء المحليين للهجوم على الأباضيين. ولكن موت السديري أضاع هذا المسعى^(٣). وبموت السديري حرمت البريمي من رجل كفء عمل على رفاهية شعبه، وخلفه على حكم المنطقة من بعده أخوه عبدالرحمن^(٤). وهكذا نرى أن آل المطيري وآل السديري أسرتان ذواتا نفوذ في المنطقة الشرقية.

(١) شركة الزيت العربية الأمريكية، شعبة البحث، المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢) ظلت رأس الخيمة تتبع الشارقة حتى مطلع القرن الحالي (العشرين)، وأخيراً انفصلت عن الشارقة بعد عراك بين أبناء العم من القواسم حكام الشارقة ورأس الخيمة. وساعد الانجليز على هذا الانقسام وثبتوه نهائياً عام ١٩١٩ م، انظر: عبدالقادر زلوم، عمان والإمارات السبع، ص ٩٤.

(٣) آرامكو، شعبة البحث، المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.

(٤) عقود الجمان، ص ١٥٤ نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٣١.

ولم يكن سالم محبوباً عند الإنجليز ولا من الهناوية سكان الجنوب وذلك لموقفه المؤيد للسعوديين. وظل الأمر يتردى حتى ثار الأهالي ضد حكمه فاضطر أن يهرب إلى الرياض، ويلتجئ عند الإمام عبدالله، ويطلب مساعدته ضد الإمام الجديد عزان ابن قيس. ولكن انشغال عبدالله بإخضاع ثورة أخيه صرفه عن مساعدة حليفه سالم^(١).

وبعد هذا التغيير في سلاطين عمان أرسل عبدالله بن فيصل مبعوثاً إلى عزان بن قيس يطلب منه دفع الزكاة المفروضة على دولة مسقط للسعوديين، إلا أن عزان غضب، واعتقل المبعوث السعودي، وكان هذا معناه عودة الصراع بين الاباضيين والسعوديين من جديد^(٢). وقد أصبحت الظروف بجانب عزان بن قيس وضد السعوديين، فاستغل فرصة اشتداد الخلاف بين الأخوة السعوديين، حتى أن سعود بن فيصل الموجود آنذاك في البريمي اتصل بعزان بن قيس نكاية بأخيه. ونتيجة لذلك غادر عبدالله الرياض إلى الأحساء لقتال عزان بن قس ولكنه شعر أن غيابه عن العاصمة فرصة لانقضاض جماعة أخيه سعود عليه ثم خلعه، لهذا عاد إلى الرياض دون أن يقع أي اشتباك بينه وبين عزان^(٣)، وعلى إثر ذلك زحف عزان بن قيس بجيشه إلى البريمي بعد أن قامت فيها ثورة من بعض زعماء قبيلة النعيم الذين دعوا عزان ليخلصهم من حكم السعوديين، حتى أن أحد زعماء القبيلة المدعو محمد بن علي جاء إلى الباطنة وأبلغ الشيخ الغاري وهو من الزعماء الثلاثة الذين يتصرفون في شئون الإمامة في عمان عن رغبته في احتلال البريمي من قبل عزان^(٤). وقد شجع عزان في احتلاله البريمي الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبوظبي الذي كان على عداء تقليدي مع السعوديين بعكس القواسم تماماً. وفي

(١) Badger, op. cit., Introduction and Analysis, pp eviv - exv.

(٢) آرامكو، شعبة البحث، المرجع السابق ص ٤٠ - ٤١.

ARAMCO, Oman and the Southern Shore. See Appendix No. V, Zakah of payments of Tribes in the region of the Persian Gulf, p. 266.

(٣) Aitchison, op. cit., vol. XI; p. 45.

(٤) شركة الزيت العربية الأمريكية، شعبة البحث العربية، المرجع السابق، ص ٤٣، ٤٤.

يوليو من عام ١٨٦٩ م (١٢٨٥ هـ) زحف الإمام عزان بجيشه تجاه البريمي وحاصرها أربعة أيام، وأخيراً استسلمت الحامية النجدية الموجودة فيها بعد أن أعطيت الأمان على أرواحها وأموالها ودوابها^(١). وتذكر المصادر أن حلقة من المقاومة ظلت في المنطقة ضد عزان من قبل المؤيدين للحكم السعودي حتى أن بعض القرى التابعة للبريمي لم تخضع لسلطة عزان إلا بعد شهرين^(٢). وقبل عودته إلى مسقط قسم الواحة إلى ثلاثة أقسام ليرضي حلفاءه، فأعطى الظواهر للشيخ زايد بن خليفة، ومقاطعة الحلة للشيخ محمد بن علي زعيم قبائل النعيم، وأما قصر آل سعود فقد ظل للإمام عزان الذي هو رئيس للجميع. وعين محمد بن سعيد الهناوي والياً على المنطقة بأسرها، وبعدها عاد إلى مسقط. وقد أرسل عزان إلى الكولونيل بلي رسالة يشرح فيها كيف تم له احتلال البريمي من السعوديين جاء فيها:

«وهذا انقذ الله عباده من الوهابيين المعتدين، وأخرجهم منها أذلة صاغرين، ووجدنا الناس في هذه النواحي يعيشون في أسوأ حال مما أصابهم من البغي المكروه والقسوة الغاشمة. فرددنا لهؤلاء كل ما كان قد سلبه أولئك أو أعتصبوه من أملاكهم وأنعامهم». وما هذه الرسالة إلا من أجل أن يبين للإنجليز أحقيته في احتلال البريمي. وفيها يطلب العون منهم فيقول: «ولذا نطلب من فضلكم أن تلتفتوا إلينا بعين الإنصاف، وأن تحققوا رجاءنا وآمالنا العظيمة فيكم. وكل ما تطلبونه سيكون موضوع العناية بقوة وصدق فيه»^(٣).

(١) من رسالة أرسلها عزان إلى الكولونيل بلي انظر الوثيقة:

(I.O.) Sec. Letters, various vol. 15, Azzan ibn Qais to Pelly, Jumada 1st 1286 August, 1869.

وقد أوردت هذه الوثيقة مذكرات الحكومة البريطانية بشأن البريمي:

U. K. Memorial, vol 1, 77.

والوثيقة هذه من مذكرات الحكومة السعودية في مجلداتها.

(٢) أعمال وزارة الخارجية في حكومة الهند فبراير، ١٨٧٠ م، رقم ١٦٧، بتاريخ ١٨٦٩ م. انظر عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٣٢.

(٣) (I. O.) Sec. Letters, various, vol, 15, Azzan ibn Qais to Pelly, Jumada 1, 1286 August, 1869.

U. K. Memorial, vo. 1, p. 77.

انظر:

ولم تستتب الأمور في البريمي على هذا الشكل فقد حدثت منافسات بين المتحالفين حول حكم الواحة، فثارت التعيم، وحاول زايد أن يحكم بانفراد ويبذل جهده لإخراج عزان بن قيس منها. وحاول استمالة شيخ الشارقة بجانبه لكنه رفض. ولم يقف عبدالله مكتوف الأيدي تجاه هذا التحدي مع أنه كان مشغولاً بثورة أخيه، ولم يتوان عن نجدة العاصمة الإقليمية للنفوذ السعودي في أرض عمان. فتوجه في شتاء عام ١٨٦٩-١٨٧٠ م (١٢٨٦هـ) إلى الأحساء كمقدمة لمهاجمة قوات عزان المتمركزة في البريمي^(١)، ولكن عزان لم يكن بغافل عما يدور داخل البريمي وخارجها من مؤامرات تستهدف طرده منها. وفي فبراير من عام ١٨٧٠ م (١٢٨٧هـ) وصل إلى البريمي، وتباحث مع الشيخ زايد حول موضوع تعزيز نقاط الدفاع اللازمة للحفاظ عليها. وكتب في مايو من السنة نفسها إلى الوكيل السياسي في مسقط، وكان الكابتن «واي» رسالة جاء فيها «أن الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبوظبي تعهد ووعده أن يقاوم الوهابيين. وأن محمد بن عي النعيمي عاهد كذلك على الطاعة، ووعده أن شيوخ الساحل البحري سيزوروني في بلدة صحار^(٢). وعلى كل حال فإن عبدالله بن فيصل لما وصل الأحساء غير فكرته وهي مهاجمة البريمي وذلك لظروف طبيعية قاهرة، وهي ندرة سقوط المطر في منطقة الظفرة، لذا أصبحت الطريق البرية إلى البريمي متعذرة. أضف إلى هذا الأحلاف التي كان يكونها أخوه سعود ضده، وهجماته الشديدة المتقطعة على قوات عبدالله والقبائل المؤيدة له^(٣).

وفي هذا العام بالذات قامت ثورة ضد عزان بن قيس من قبل تركي بن سعيد الذي ساعدته بريطانيا بالمال والسلاح نكاية بالحاكم عزان الاباضي النزعة والذي لم يقم معها أي علاقات، كما أنها لم تلق من الإمامة أي تسامح لأن الاباضية بطبيعتها ذات عداء صريح مع الأجانب. وكان تركي عندها في الهند يحاول الاستعانة بالإنجليز،

(١) ابراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٢.

(٢) من الوثيقة التي أوردها كيلى في كتابه «Eastern Arabia Frontiers» ص ٧٨، والوثيقة عبارة عن برقية موجهة من واي إلى حكومته في بومباي، والوثيقة معنونة كالتالي:

(I.O.) Precis of Nejad affairs, p. 35, Azzan to Way, I March, 1578.

(٣) ابراهيم بن عيسى، المرجع السابق، ص ٧٣.

لكن أطاعه في ممتلكات شرق إفريقية صرفت بريطانيا عن التفكير في مساعدته وفضلت عزان عليه^(١). وأخيراً عفت عنه حكومة بريطانيا في مارس ١٨٦٩م (١٢٨٥هـ) على أن يكف عن محاولاته لاسترداد زنجبار^(٢). وغادر الهند في العام التالي، وأقام في بندر عباس على علم من بريطانيا، وأخذ يكاتب أهالي عمال الذين لا يؤيدون الإمامة^(٣). ومنها سافر إلى البريمي وانسحب منها تحت ضغط محمد علي النعيمي. وبدأت بريطانيا تخشى سلطة عزان، وأخذت تساعد تركي بشكل مكشوف. وعرض على الأمير السعودي في البريمي مبلغ ٢٠,٠٠٠ ريال إذ أمد تركي بجيش ضد عزان. ومهما يكن الأمر فقد قتل عزان في يناير ١٨٧١م على يد تركي بن سعيد، وبعدها تولى حكم مسقط^(٤). وفي السنة نفسها التي تغير فيها الحاكم في مسقط كان سعود بن فيصل قد طرد أخاه من الرياض. وبهذا يكون الحاكم الأول في كل من مسقط والرياض قد عزل.

والحقيقة إن الحرب الأهلية في نجد كانت مفاجئة حقاً، فقد سيطر الترك على الأحساء في ربيع عام ١٨٧١م (١٢٨٧هـ)، وهذه المنطقة كانت حلقة الوصل بين البريمي ونجد. فأعاق ذلك مخططات السعوديين في استرجاعها. ومع هذا فقد وصلت إلى البريمي حامية سعودية صغيرة، أرسلت بأمر من الحاكم سعود برئاسة محبوب بن جوهر الرجل المقرب من الإمام فيصل الراحل، وكان هذا من كتابه وأعضاء حاشيته البارزين. واستطاعت الحملة المذكورة أن تحتل قصر صعرا، استخلصه أحد إخوة رئيس الشارقة سالم بن سلطان الذي استغل فرصة خلاف المتحالفين في البريمي فجمع أنصاراً من آل النعيم والغفلة والخواطر وقتب والطفج، وطرد زايد بن خليفة وعزان بن قيس من البريمي وسلم قصر صعرا للسعوديين الذين أخذوا يجمعون الزكاة من القبائل

(١) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، ص ١١٠.

(٢) صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج الفارسي، ص ١٤٩.

(٣) عبدالله السالمي، تحفة الأعيان، مجلد ٢، ص ١٦٦.

(٤) عبدالله السالمي، المرجع السابق، مجلد ٢، ٢٦٦.

كالعادة^(١). ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن حكان الشارقة ودبي ورأس الخيمة، أي منطقة الساحل كانوا دائماً مساعدين لآل سعود في البريمي وكانوا كذلك أعداء تقليديين لحكام أبو ظبي ومسقط. ولقد ظل محبوب ابن جوهر فترة يمثل آل سعود في البريمي وأخذ يطالب مشايخ المنطقة بتقديم الطاعة لهم وهذا ما عبر عنه «ويدربرن»، سكرتير حكومة بمباي بالنيابة، في تقرير وجهة إلى ايتشيسون، وزير خارجية حكومة الهند في سبتمبر (أيلول) من عام ١٨٧١م (١٢٨٨هـ)^(٢). ويذكر كتاب عقود الجمان ص ١٤٦ قولاً عن محبوب بن جوهر في عام ١٨٧١م (١٢٨٨هـ)، يخاطب فيه ناصر بن خلفان أحد تجار الشارقة فيقول «الحركات ساكنة والبلاد مطمئنة بالله تعالى ثم بالإمام سعود أدام الله وجوده». وظل محبوب بن جوهر في البريمي وفي بعض حصونها بالذات حتى عام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، وبعدها انسحب بحاميته النجدية بعد أن وقع رؤساء نعيم اتفاقيات تمنحهم حق صلاحية العمل في واحات البريمي باسم آل سعود^(٣). وهكذا لم تستمر سيطرة السعوديين طويلاً في عمان والمناطق الشرقية بعد أن استولى الأتراك على الأحساء وازداد نفوذ آل رشيد في الشمال ونجد، وأصبح الحكم في الواحات مجزأ. وإليك صورة عن السيادة القبلية التي سادت في الواحات بعد اضمحلال حكم آل سعود وتلاشيها.

فقد سيطر الشيخ صقر بن سلطان آل حمود وهو من قبائل نعيم على قريتي الحلة وصعرا، ودانت له المنطقة، ودفعت له الزكاة، وتصرف بشئونها الإدارية. كما سيطر الشيخ راشد بن حمد آل بوشامس على قرى حماسا والقطارة وهيلي. ونعرف أن آل بوشامس هم فرع من قبائل نعيم. وأما قرية محضة فقد تسلم إدارتها وجبى زكاتها الشيخ عبيد بن جمعة. وحكم الشيخ أحمد الصلف قرية حفيت التي تعتبر من توابع البريمي. أما عن الحكم في قرية ضنك المشهورة فقد انقسم إلى قسمين، العلوية - أي

(١) أحمد قاسم البوريني، الإمارات السبع على الساحل الأخضر، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٢) عقود الجمان، ص ١٤٤، نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٤١ - من أعمال حكومة

الهند، سبتمبر ١٨٧١م، رقم ٤٣، من مذكرات الحكومة السعودية، مجلد ١، ص ٢٣٣.

(٣) عقود الجمان، ص ١٥٥، نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٤٥.

القسم العلوي - ويحكمه الشيخ صقر الحمود وهي من النعيم، والسفالة أي القسم السفلي - ويحكمه آل بوشامس ويتبع حكم الشيخ راشد بن حمد بن شامس حاكم حماسا. وتبقى قرية العين القريبة من البريمي نفسها فقد خضعت في حكمها وإدارتها ودفع زكاتها إلى آل عرار، وكانت تسكنها عدة جماعات قبلية كآل عرار والنجدات والكويتات والنواصر والمطاوعة والموالون لهم^(١). والذي يجدر ملاحظته أن حكم البريمي أصبح بيد قبيلة النعيم، واعتمادنا في هذا التحليل على نسبة الأماكن التي تسيطر عليها فروع هذه القبيلة التي لم تكن لتدين أو تقدم الطاعة والزكاة لحكام مسقط^(٢).

وتشير مذكرات الحكومة السعودية بشأن التحكيم في قضية البريمي أن الوضع السياسي في الواحات سادة جو المشاحنات القبلية، واعتمدت هذه المذكرات على ما جاء في التقارير الإدارية لحكومة الهند التي تصدر عن دار المعتمد البريطاني في الخليج Administration Reports ومثلت لما تذكره بمقتطفات من هذه التقارير الإدارية^(٣). إلا أن وجهة النظر البريطانية تغاير ذلك وتذكر، أن أهالي البريمي كانوا قد وقعوا اتفاقيات مع السلطان في مسقط تمنحهم حرية حكم المنطقة على شرط أن تظل تتبع هذا السلطان. وتذكر هذه المصادر نقلا عن مايلز Miles أحد الموظفين الرسميين في المنطقة أن بني ياس كانوا في عام ١٨٧٥ م (١٢٩٢ هـ) يحتلون الجيمي وقطارة وهيلي ووادي المسعودي في البريمي^(٤). وهذه المصادر تريد أن تدعم موقف حاكم أبوظبي لأن بني ياس من القبائل المؤيدة والتابعة لحاكم أبوظبي.

(١) من أقوال واعترافات أعيان آل بوفلاح من الأسرة الحاكمة في أبوظبي اليوم، مؤرخة في ٤ شعبان عام ١٣٧٤ هـ نقلاً عن عرض الحكومة السعودية، المجلد الخاص بالملاحق، ص ٢١٥ - النجدات تبين الأقوال المذكورة أنهم من نجد، أما الكويتات فهم من الكويت قديماً نزحوا منها فأقاموا في قرية العين القريبة من البريمي، وعملوا هناك بالتجارة. وأما النواصر والمطاوعة فهم من آل بوشامس فرع نعيم.

(٢) عرض الحكومة السعودية، مجلد ١، ص ٢٥.

(٣) انظر: عرض الحكومة السعودية، مجلد ١، ص ٣٤٥.

(٤) U. K. Memorial, vol. I, p. 35.

وكتعقيب على ما ذكرناه فإن المشكلة التي تناولنا بحث تاريخها ما زالت مشكلة غير محلولة، وما زالت أرضاً متنازعاً عليها بين السعوديين ومسقط وأبو ظبي. ومن حيث الوجهة التاريخية فقد وضعنا خلال الفصل الرابع وفي هذا الفصل الأسس التاريخية التي تستند عليها الدولة السعودية، بعد أن مرت البريمي بحكم سعودي، ومع أنه كان حكماً متقطعاً يعتمد إلى حد ما على مركز وقوة السلطة المركزية في الرياض. ومع ذلك كان حكم آل سعود في عمان في حالة مد وجزر فمنذ دخول جيوش سعود الكبير الإمام الثالث من أئمة الدولة السعودية الأولى حتى سقوط الدرعية، ظل الحكم السعودي في عمان قوياً، ثم حدث فيه انعطاف عندما سيطر خورشيد باشا على الدولة السعودية التي حاولت أن تنشأ في أعقاب الدولة الأولى، وبدأ الحكم السعودي يقوى ويعيد نفسه مرة ثالثة بعد تكوين الإمام فيصل الدولة السعودية الثانية. ولهذا فقد كان لآل سعود ولاء كبير في المنطقة، كما أن الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت تعاليمها قد انتشرت بدون حرج، وبذلك استندت المطالبة السعودية على عاملين هما العامل التاريخي والعامل الثقافي الديني، وكلاهما تراث لا يمحي. والحقيقة فإن النزاع القائم اليوم حول هذه المنطقة ما هو إلا نتيجة لظهور البترول فيها^(١) والملاحظ أن الأزمة والخلاف لم ينحصرا في حدود المنطقة، وإنما تعداها إلى الخارج^(٢).

(١) انظر: - The Egyptian Economic and Political Review, vol. 1, September, 1954 - August, 1955.

في مقال لحسين فوزي النجار - محاضرة في تاريخ شئون الشرق الأدنى في الكلية العسكرية المصرية في القاهرة، ص ص ١٩ - ٢٠.

- International Affairs, vol. 22, No. 3 July 1957, pp. 318-326.

The Buraimi Oasis Dispute

J. B. Kelly

- Middle Eastern Affairs February 1956, vol. VII, No. 2, pp. 56-63.

مقال بعنوان:

«نزاع البريمي» لـ

مقال بعنوان

Alexander Melamid

«نزاع البريمي The Buraimi Oasis Dispute» لـ

The Islamic Review, Woking-England, April 1960, pp. 73-77. (٢)

The Buraimi Dispute

مقال بعنوان

The British Armed Aggression

«نزاع البوريمي» - القوات البريطانية الغازية (المعتدية)

Azziz S. Sahwell

لـ عزيز سحويل

الدولة السعودية ومشكلة خورالعديد:

تقع بلدة العديد في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة قطر، وهي في رأس الخور^(١) تماماً.

والمنطقة التي نتناول البحث عنها من المناطق التي شملها الحكم السعودي، والتي كانت تدفع له الزكاة وهذا ما أشار إليه بلي في تقريره عند زيارته للرياض عام ١٨٦٥م (١٢٨٢هـ)^(٢). وبالنسبة إلى سكان هذه البلدة فهم من القبيسات أحد بطون بني ياس التي يتبعها سكان أبوظبي. وكان رئيسهم وقتذاك خادم بن نبهان. وهم يعادون خليفة ابن شخبوط وزايد بن خليفة من حكام أبوظبي، وذلك لكثرة ملاقوه من شدة الحكم المذكورين. ونتيجة لحروب وقعت بينهم وبين زايد بن خليفة ارتحل هؤلاء إلى مشيخة الشارقة ودبي فاستقبلوا باحترام من القواسم، حكام هذه البلاد والذين هم أصدقاء لآل سعود. وفي زمن سعيد بن طحنون الذي حكم مشيخة أبوظبي عام ١٨٤٧م (١٢٦٢هـ) قرروا التخلص من سلطة أبوظبي، وفي ختام موسم اللؤلؤ من عام ١٨٤٩م سارت مراكبهم إلى البدع في قطر بدلا من أبوظبي. ومعنى هذا تمرد على سعيد بن طحنون. وهناك لقوا تأييدا من قطر ومن حكام الساحل كسلطان بن سقر حاكم الشارقة ومكتوم بن بطي حاكم دبي، ووعدوهم بأن الإمام فيصل بن تركي سوف يعيد بناء ميناء العديد، ويعيد إسكانهم فيه تحت سيادته، وبالفعل فقد أرسل سلطان بن سقر إلى الإمام فيصل ينصحه ببناء خور العديد^(٣)، وظلت المنطقة مهدمة يلجأ إليها القراصنة دون أن تجرى فيها أي إصلاحات، والخلاف الآن يدور حول امتداد سلطة حاكم أبوظبي على أرض العديد والخور. والحقيقة أن بريطانيا لم تأل جهداً في تدعيم مركز محمياتها على حساب غيرها من غير المؤيدين لنفوذها. والواقع أن سجلات

(١) الخور عبارة عن خليج يمكن أن يصلح لرسو بعض المراكب، وبلدة العديد ميناء على هذا الخور، وقديماً كان الخور يطلق عليه لفظ هور ولكن عربت الأولى فأصبحت خورا. انظر: شركة الزيت العربية الأمريكية، المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا، ص ٤.

- ياقوت، معجم البلدان، مجلد ٢، ص ٤٠٠.

(٢) Pelly's Visit to Riyadh, p. 73.

(٣) جمال زكريا، المرجع السابق، ص ١١٢.

الحكومة البريطانية في الهند تشير إلى امتداد سلطة أبوظبي إلى مسافة بعيدة على الساحل وفي الداخل ولكنها لم تشمل هذه المنطقة، والصحيح هو أن هذه المنطقة يجب أن تتبع قطر التي تدعي أنها جزء من أراضيها، ولكن بلي المقيم العام الذي رأى أن شيخ قطر قاسم آل ثاني لا يعتمد عليه لأنه إما أن يؤيد آل سعود أثناء أوج قوتهم وإما أن يؤيد الأتراك. والمشكلة الآن امتداد نفوذ الأتراك بعد أن بدأ النفوذ السعودي يتقلص في المنطقة. فاعتادها على شيخ أبوظبي أمتن وأقوى وبخاصة أنه محمي من قبلها منذ سنوات فائتة^(١).

ولقد وسع بلي مساحة أبوظبي ٥٠٠ كم باتجاه الساحل فشمّل هذا الامتداد خور العديد وبلدة العديد، ومع أن حكومة الهند لم تكون مرتاحة لمثل هذا الإجراء إلا أنها لم تعارضه أو ترفضه كلياً^(٢). وبعد ذلك أوعز بلي لشيخ أبوظبي زايد بن خليفة بأن يطالب بالعديد لأنه محق في طلبه، مدعياً أن السكان هم فرع من أتباعه^(٣)، ولكن سكان العديد مع أن فيهم القبيسات وهم من بني ياس إلا أن رسالة عبدالله بن ثاني حاكم قطر^(٤) إلى سعود بن جلوي حاكم المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية تبين أن سكان العديد «يتتمون إلى رعوية آل سعود وأن العديد تابعة لهم». ولقد بينا ذلك في مناسبات عدة لبعض الرسميين». «وتبين الرسالة أن أصل السكان في العديد من نجد وتذكر الرسالة كذلك أن القبيسات لما صار بينهم وبين خليفة بن زايد نزاع شديد رحلوا عنه ونزلوا العديد مدة طويلة، وكانوا تابعين لآل سعود». وهذه الاعترافات من حاكم قطر نفسه تبين امتداد السلطة السعودية إلى العديد، حتى أن شيخ قطر نفسه يعترف لآل سعود بها فيقول في موضع آخر من الرسالة «... ولولا معرفتنا

(١) عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٤٦.

(٢) عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٤١.

(٣) الأعمال، مارس ١٨٧٢م رقم ٣٧٠، بتاريخ ٤ مارس سنة ١٨٧١م، نقلاً عن عرض السعودية ص ٢٤١.

(٤) اورد الرسالة المؤرخة في شعبان عام ١٣٧٤هـ كتاب عرض السعودية الخاص بالملاحق والتذييلات تحت ملحق رقم ١١١.

التامة أنه لآل سعود ما والله كنا نخليه ساعة واحدة لأن كيف لأهل أبوظبي وهذا موقعه منا لكننا نعرف كيفية حالته وتابعيته أنه لآل سعود. . » وحتى أنه لو أجري استفتاء شعبي في المنطقة لرفض الأهالي الانضمام إلى الشيخ زايد بن خليفة وهذا ما صرح به رئيسهم بطي بن خادم الذي خلف والده في زعامة العشائر القاطنة في العديد^(١) وتتسائل هنا ما الذي أدى ببلي أن يقوم بضم العديد إلى أبوظبي؟ يعود ذلك إلى أن سلطة آل سعود بعد أن فتح الأتراك الأحساء والقطيف وقطر ضعف أمرها نتيجة الحرب الأهلية فيما بينهم، كما خرجوا من البريمي في عمان ومن المنطقة الشرقية كلها، وحلت بدلاً منهم قوة أقوى ومركزة، وتعتبر نفسها وريثة الحكم السعودي في البلاد، لذا فخوفاً من امتداد سلطة الأتراك عن طريق قطر إلى هذا الميناء ثم بعده إلى مناطق الساحل وبذلك يضعف نفوذ الإنجليز بخاصة أنها دولة إسلامية تلقى استجابة أكثر من الدولة الإنجليزية في المنطقة، وخوفاً من أن تصبح العديد مركزاً يأوي إليه القراصنة بعد أن ضعفت السلطة السعودية في المنطقة، وخوفاً من أن يقدم رؤساء القبائل الصغيرة ولاءهم للأتراك إذا نجحت تركيا في ضم رئيس القبيسات لحمايتها. لذا فضلت بريطانيا وتتصرف معتمداً على أن تقف بجانب زايد بن خليفة حاكم أبوظبي وتسانده وتبين أحقيته في المنطقة^(٢).

ولما استولى الترك على الأحساء والمنطقة الشرقية عام ١٨٧١م (١٢٨٧هـ) عرضوا الحماية على سكان العديد باعتبار الدولة وريثة آل سعود في المنطقة، إلا أن سكان العديد رفضوها وفضلوا أن يعيشوا مستقلين تحت راية الساحل المهادن Trucial Coast ومع هذا فهم يفضلون راية الترك ترفرف على مينائهم على أن يخضعوا لسلطة شيخ

(١) أعمال حكومة الهند، مارس ١٨٧٢م، رقم ٣٧٦، مؤرخة في ٢٤ يوليو ١٨٧١م، نقلاً عن عرض السعودية، مجلد، ص ٢١٣.

(٢) Turkish Jurisdiction in the Land and Waters of the Persian Gulf, India Office Political and Secret Library B. 126, p. 318).

نقلاً عن جمال زكريا، المرجع السابق، ص ٢١٣.

أبوظبيي ، حتى أن بلي أشار بأن هذا الاعتراف من خادم بن بطي يزيد الأمر تعقيداً^(١) . ونتيجة لهذا الموقف الإنجليزي المعادي للسعوديين وقطر والدولة العثمانية فقد قرر الأتراك أن يتخذوا موقفاً أكثر حزمًا تجاه الدعم الإنجليزي لأبوظبيي . فقد أرسلت بعثة عثمانية استطلاعية برئاسة حسين أفندي قائد بحرية البصرة عام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) وكانت البعثة تتألف من أربعة من الأتراك الذين وصلوا إلى العديد وطلبوا من الأهالي دفع الزكاة للدولة العثمانية والتي اعتبرت ضريبة سنوية تؤخذ عن كل فرد يتراوح مقدارها من ٤٠ إلى ٥٠ ريالاً ، تدفع لشيخ قطر قاسم بن ثاني المؤيد للأتراك . ونتيجة لهذه الزيارة حاول الأتراك إنشاء مركز عسكري في العديد إلا أن رداءة الماء حالت دون تحقيق ذلك ، فارتحل ممثلو الترك من العديد^(٢) . وهذا الموقف العثماني عبر عنه العثمانيون برسائل كانوا قد أرسلوها عام ١٨٧٤م (١٢٩١هـ) إلى زايد بن خليفة نفسه تعلن له أن العديد تحت حمايتهم ويطلبون منه عدم التدخل في شئونها . كما أن المصادر تذكر أن بطي بن خادم كان لديه رايتان إحداهما راية الترك إذا ما جاءوا إلى العديد رفع رايتهم والثانية راية الساحل المهادن التي أعطاها بلي لوالده خادم بن نبهان . وهذا القول تثبته زيارة الكابتن الإنجليزي جفري للعديد في ١٨ أكتوبر ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ) على ظهر السفينة التي تدعى «مي فرير» فرأى راية ساحل الصلح ترفرف ، ولكنه علم أن العديد تدفع الضرائب للدولة العثمانية^(٣) ، وهذا معناه أن العديد كانت تتبع الدولة العثمانية صاحبة السلطة الجديدة في المنطقة . ونتج عن موقف بريطانيا

(١) أعمال حكومة الهند ، مارس ٢٨٧٢ رقم ٣٧٣ ، تقرير من بلي الى حكومة بومباي عام ١٢٨٨هـ في ٣١ يوليو ١٨٧١م ، نقلاً عن عرض السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٤٣ .

Turkish Jurisdiction in the Land and Waters of Perian Gulf, (India Office Political and Secret, Library B, 126, pp.6-8).

نقلاً عن جمال زكريا ، المرجع السابق ، ٢١٤ .

See: Pelly to Sec. to the Government of India, 1. 11. 1891 (India Office Political and secret Dept. Letters from the Persian Gulf, vol.19).

نقلاً عن جمال زكريا ، ص ٢١٤ .

(٢) Lorimer, op. cit., vol. 1, p.818.

(٣) Lorimer, op. cit., vol., 1, pp.818-819.

المتشدد بجانب أبو ظبي أن رئيس القبيسات بطى بن خادم أبلغ السلطات البريطانية أنه إذا لم تحترم حقوقه في العديد فسوف يطلب الحماية العثمانية^(١)، وهذا يعني أن بطى لغاية عام ١٨٧٤ م (١٢٩١ هـ) مع أنه كان يدفع الزكاة للدولة العلية إلا أنه لم يكن محميا من قبلها. وهذا ما يفسر أن بطى بن خادم يحاول جاهداً التخلص من أي تبعية ويريد أن يحكم حكماً استقلالياً فهو يحاول رفع راية الساحل المهادن وأن تعترف به بريطانيا كغيره من الرؤساء البحرينيين الذي اعترفت بهم، وذهب إلى أبعد من هذا عندما عين لمنطقته حدوداً خطها وهمياً من (رأس الحد) في الشمال إلى نقطة في الجنوب الشرقي تواجه جزيرة (صير بني ياس) في الخليج العربي، وادعى كذلك ملكية «دلم» وعدداً آخر من الجزر الواقعة في المنطقة، وكانت بريطانيا ستقابل مطلبه هذا بالاعتراف لولا امتداد العثمانيين إلى المنطقة^(٢).

وعلى كل حال ظل موقف بريطانيا دون تزحزح بالنسبة للمشكلة وظل الشيخ بطى يرفع راية العثمانيين ويطلب حمايتهم ويدفع الضرائب لقاسم بن ثاني التابع لهم، ومع ذلك فإن هذا لم يثبت وجود مشيخة منفصلة ومستقلة في العديد، وكانت المطالب العثمانية في المنطقة مطالب حمقاء لا تركز إلى أصل أو أساس. وكررت الطلب بانضمام القبيسات والعديد إلى سلطة حاكم أبوظبي لأنه أحق بها. وموقفها الحالي يعود لخوفها من أن يشجع هذا الرؤساء الصغار ويعلنون الخروج عن السيطرة البريطانية ويلجأون إلى الدولة العثمانية^(٣). لهذا كانت بريطانيا ترى أنه لا بد من ضم المنطقة إلى أبوظبي، وهي بذلك لم تتدخل مباشرة في أراضي جزيرة العرب أو حتى في شئونهم الداخلية، بل كانت تعتمد دائماً على تسخير الشيوخ الذين هم أداة طيعة في يدها. وأن توسيع أملاك أبوظبي حيث تبدأ من قاعدة قطر - حسب ما تريد - فهذا طبعاً يخدم مصالح الدولة الإنجليزية وذلك بإقامة حاجز قوي في وجه الدولة السعودية أقوى دولة في الجزيرة

(١) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق نفسه، ص ٢١٥.

(٢) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق نفسه، ص ٢٥١.

(٣) Turkish Jurisdiction along the Arabia Coast of Persian Gulf, Part 11, p.50, F. O. 78/5103.

عن جمال زكريا، ص ٢١٦.

العربية إذا ما حاولت هذه الدولة أو فكرت في امتداد سلطتها إلى المناطق الساحلية^(١). ومهما يكن فإن الدولة السعودية في ذلك الوقت غدت دولة ضعيفة وممزقة وتكان تكون محصورة في ولاية نجد. وحتى هذه الولاية كانت سيطرتهم عليها ضعيفة لتشجيع آل رشيد أقاليم سدير والوشم والقصيم على الانفصال، فأنحصرت إمارة نجد في منطقة العارض أو وادي حنيفة فقط. ولم تصل الدولة إلى هذا الضعف فحسب بل كانت تواجه صعوبات داخلية عدة، كالثورات وضعف الاقتصاديات ونقمة الأهالي الذين لا يرغبون في الحرب لنتائجها الضارة. لذا لم يبق لها القدرة على منازعة عمان من جهة ولا أبوظبي من جهة أخرى. فأصبحت المسألة مسألة قطرية عثمانية ضد أبوظبي يدعمهم الإنجليز وهكذا ظلت عوامل النزاع بين قطر وأبوظبي موجودة تساعد بريطانيا في إذكائها، فنتج عن هذا الموقف المتأزم حروب طويلة بين الدوحة وأبوظبي امتدت من ١٨٨١م (١٢٩٨هـ) حتى ما بعد عشر سنوات من هذا التاريخ، وذلك بسبب التأثيرين من بني ياس في العديد^(٢).

ولهذا يمكن أن نستخلص عدة نقاط حول النزاع بين العثمانيين حكام البلاد الشرقية الجدد وبين الإنجليز ذوي النفوذ في المنطقة. أولاً: أن الباب العالي يطلب امتداد سلطته على ساحل قطر، إلا أن بريطانيا كانت ترفض ذلك.

ثانياً: إن تركيا أقامت مركزاً عسكرياً في البدع في قطر في القسم الشرقي لشبه الجزيرة بعد سماح شيخها بذلك وكان ذلك، عام ١٨٧٢م، ولم تحتج بريطانيا على هذا الإجراء.

ثالثاً: لا تعتبر بريطانيا أن الباب العالي محتل للساحل الغربي، وراء القطيف احتلالاً فعلياً، وتمسك بتصريح عام ١٨٨٢م وهو أن جلالته لا تعترف بادعاء الباب العالي بالسيادة على ساحل قطر، ولكن ليس الوقت وقت إثارة مشكلات لأنه لا يمكن التفاهم عليها.

(١) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٢) Lorimer, op. cit., 1, p. 818.

رابعاً: لم تسمح بريطانيا للأتراك بإقامة مشروع محطة للفحم في رأس تنورة القريب من الدمام.

خامساً: حددت بريطانيا حدود مسقط بالنسبة لوجهة النظر الإنجليزية وهي تمتد من الخط الساحلي لإقليم مسقط، من رأس الخيمة إلى ما وراء رأس الحد باتجاه ظفار، وفي هذا الاتجاه لا يعتقد وجود حدود معينة. أما من الناحية الغربية فقالت بريطانيا إن حدود مسقط تمتد في الداخل حتى الصحراء العربية الكبرى^(١).

العلاقة السعودية مع كل من البحرين والكويت

إن العلاقة القائمة بين البحرين والدولة السعودية في هذه الحقبة ليست إلا امتداداً طبيعياً للعلاقة التي درسناها في الفصل الرابع من هذا البحث، والعلاقة في هذه الفترة تبدو أنها علاقة غير واضحة وأعني أنها علاقة متقطعة بعد ما حدث في نجد من النزاع الذي أثر على دور العلاقة بين الدولة السعودية وجميع الوحدات السياسية الموجودة في الخليج. كما أننا نلاحظ أن البون شاسع بين العلاقة الأولى والعلاقة الحالية، فالأولى كانت علاقة دولة قوية بالبحرين، أما الآن فهي علاقة دولة ضعيفة ممزقة بالبحرين التي تدعمها السلطات البريطانية في الخليج. ففي الأولى كانت الجيوش السعودية تحاول احتلال البحرين وتتعاون مع أفراد الأسرة الثائرين ضد حاكم البحرين^(٢)، ولولا موقف بريطانيا الصلب لاستطاعت جيوش السعوديين دخول البحرين وبدون حرج^(٣). وتعود أسباب التوتر دائماً لعاملين الأول: الاختلاف المذهبي حيث أن سكان البحرين وقتذاك كانوا لا يتجاوزن ٦٠ ألفاً، وكانت نسبة العرب فيهم حوالي ٣٠٪ حيث أن عددهم بين ١٨-٢٠ ألفاً، والباقي نسبة الفرس في الجزر^(٤) الذين

(١) رسالة من ج. ا. جودلي وكيل وزارة الهند إلى وكيل وزارة الشؤون الخارجية في وزارة الهند، لندن، في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٨٨٨، ملحق ٢٠ رقم ب من وثائق التحكيم في قضية البريمي.

(٢) أحمد محمود صبحي، البحرين ودعوى إيران، ص ١٢٢.

(٣) Lorimer, op. cit., vol.1, p.243.

(٤) أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص ١٢٢.

يرتبطون مع القطيف وسيهات وتاروت والمناطق الشمالية والشرقية من أرض الدولة برابطة المذهب الشيعي . وهم ينظرون إلى السعوديين نظرة تسلط مذهبي وسياسي . والعامل الثاني امتلاك حكام البحرين لأراضي وأملاك كثيرة في القطيف وسيهات والمناطق المطلة على جزر البحرين .

وكان لاستراتيجية البحرين أثر كبير من حيث تمسك بريطانيا بالجزر ومساندة حكامها ، فوقفت دائماً بجانبهم ضد السعوديين وقطر والدولة العثمانية . ودعمت قوتها بالسفن الحربية المربطة في المنطقة ، وفيها كانت تحاك تخطيطات الساسة البريطانيين في الخليج . بعكس شبه جزيرة قطر التي ظلب تتبع آل سعود ثم الأتراك عندما احتلوا الأحساء ، وبعدها غدت منطلقاً للأهداف التركية في الساحل .

وفي هذه الفترة تغير موقف حكام البحرين بالنسبة لحكام الرياض ، فبينما كانوا يدفعون الزكاة لهم ، فالآن وبعد الحرب الأهلية رفضوا دفعها بعد أن وجدوا الفرصة سانحة . وقرروا التدخل في شئون نجد الداخلية ، فأيدوا الثائر سعود بن فيصل ضد الإمام الشرعي عبدالله بن فيصل ، وفتحوا له صدورهم ، ودخلوا معه في تحالف ضم عمان والقبائل المؤيدة لسعود كالعجمان وآل مرة^(١) . وكان الإنجليز يدعمون هذا التحالف نكاية بالأمير عبدالله الذي اتصل بالأتراك في بغداد وطلب منهم مساعدته ، فكان أن سيطرت قوات الوالي مدحت باشا على الأحساء والمنطقة الشرقية واعتبر ذلك نكبة لبريطانيا في المنطقة . وكان هذا التحالف قد أدى بالإمام عبدالله أن يتوجه بقواته لتأديب مراكز المقاومة ، ووصلت القوات السعودية التي تدعم الإمام ضد الثائر سعود وناوشت القبائل القاطنة في المنطقة والمؤيدة لسعود^(٢) . وبعدها عاد بقواته إلى الرياض خوفاً من أن يغتنم الفرصة جماعات سعود في الرياض أو خارجها فيسيطرون على العاصمة . وكان هم الإمام أن يقضي على أعوان سعود في الداخل والخارج ، وبعدها

(١) إبراهيم بن عيسى ، عقد الدرر ، ص ٤٤ .

— نورالدين السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ص ٢٧٣ .

(٢) إبراهيم بن عيسى ، المرجع السابق نفسه ، ص ٤٥ .

يقضي على الثورة القائمة، ثم يتفرغ إلى تثبيت دعائم حكمه. وعندما قام أولاد سعود عام ١٨٧٨ م (١٢٩٥ هـ) بحملتهم ضد القطيف لتخليصها من أيدي الأتراك، ثم ينحدرون لأخذ الأحساء، معتمدين بذلك على القوات البدوية غير المدربة، والتي لا تسير على مبدأ في الحرب أكثر من كونها تريد أطعمًا تحصل عليها. وكانت هذه القبائل من العجمان وآل مرة وهي الجماعات نفسها التي كانت تؤيد سعود. إلا أن الأتراك استطاعوا أن يفكوا الحصار المضروب حول القطيف بفضل ما وصلتهم من مساعدات سريعة من بغداد. مما اضطرت الجيوش البدوية أن تهرب وتترك أولاد سعود في الميدان، فاضطر أولاد سعود إلى طلب الحماية من شيوخ البحرين الذين رفضوا أن يمنحهم حق اللجوء السياسي مسترشدين بأمر المقيم البريطاني وذلك «لعدم لياقة حماية أشخاص عرفوا مؤخرًا باتصالحهم بأعمال الاضطرابات في أراضي دولة صديقة مجاورة»^(١). ضارين بذلك عرض الحائط التقاليد والعادات العربية التي تقول بحماية المستجير.

وثمة علاقة أخرى بين آل سعود وحكام البحرين، وهي أنه عندما حاصر ابن رشيد عاصمة السعودية الرياض عام ١٨٩١ م (١٣٠٩ هـ) ذهب عبدالرحمن وأهله على الجمال إلى الأحساء، وعاش فترة بين بواديهما من العجمان وآل مرة^(٢). ومن البادية أرسل ابنه الصغير عبدالعزيز آل سعود إلى البحرين يطلب من شيخها عيسى آل خليفة أن يمنحهم حق اللجوء السياسي في بلاده، فوافق الشيخ، وبذلك انتقلت الأسرة السعودية لتعيش في البحرين^(٣) لفترة، ثم بعد ذلك غادرتها إلى قطر والكويت. ويبدو أن قبول الشيخ عيسى آل خليفة لجوء آل سعود إلى بلاده كان بعد موافقة الإنجليز، وذلك من أجل إثارة القلاقل والأتعاب لآل رشيد حلفاء الدولة العثمانية. أما عن علاقة الدولة بالكويت، فمع أن الكويت كانت دائمًا لا تتدخل في شئون نجد إلا أنها تدخلت هذه المرة، والكويت بالرغم من أنها قريبة من البصرة وبغداد، أي من أملاك الدولة

(١) من التقرير الإداري الصادر عن دار المعتمد البريطاني في الخليج لعام ١٨٧٨-١٨٧٩ م، ص ٦

نقلا عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٥٤.

(٢) عبدالرحمن الناصر، عنوان السعد والمجد، ص ٤٢. ArmsStrong, Lord of Arabia, p.28.

(٣) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٨

العثمانية إلا أنها لم تثبت عليها السيطرة العثمانية الفعلية حتى غاية عام ١٨٦٩م (١٢٨٥هـ)، ولذا كانت علاقتها بالأتراك مجرد علاقة اعتراف اسمي حافظت فيه على علاقات طيبة مع الدولة^(١)، كما أنها وازنت في علاقتها مع الإنجليز أيضاً. ولكن تغير الوضع السياسي بعد تعيين مدحت باشا على ولاية العراق، إذ أصدر هذا فرمانا يقضي جعل الكويت سنجقاً مستقلاً استقلالاً ذاتياً على شرط أن يكون تابعاً لولاية بغداد، ويشكل قضاء عثماني يكون فيه الحكم وراثياً لأسرة آل صباح^(٢). وبعدها أخذت الكويت تساعد مدحت باشا على تثبيت السلطة العثمانية في المنطقة، فساعد عبدالله آل صباح مدحت باشا في التغلب على معظم مشكلات شبه الجزيرة العربية، كإخماد الثورات التي قامت في الأحساء والقطيف بعد الاستيلاء العثماني على المنطقة^(٣). ولهذا منحه مدحت لقب باشا وقائمقام مستقلاً في شئون سنجقه، وأعفى سفن الغوص الكويتية من دفع الجمارك أو الضرائب، وسمح لها برفع العلم العثماني^(٤).

وبدأت علاقة الدولة السعودية بالكويت في هذه الحقبة عندما استعان مدحت باشا والي بغداد بعبدالله بن صباح ضد سعود بن فيصل الذي انتزع الرياض من أخيه عبدالله بن فيصل، وطلب الأخير النجدة من والي بغداد المذكور. وبالفعل لبى آل صباح النداء، فقاد الحاكم بنفسه السفن الحربية، وقاد أخوه مبارك الجيش البري، وتمكنوا مع الجيش العثماني من دخول القطيف وسيهات وتاروت والأحساء عام ١٨٧١م (١٢٨٨هـ)^(٥). ويبدو أن مساعدة الكويت للدولة تعود للتقارب الملموس بين مدحت باشا من جهة وحاكم الكويت من جهة أخرى، ولقرب الكويت من أملاك الدولة العثمانية وقواتها، لذا فهي لا تستطيع أن تقف موقفاً معادياً غير مؤيد على الأقل، ولأن الكويت مرتبطة تجارياً مع البصرة، كما أن مدن العراق من الشمال والجنوب والغرب

(١) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص ٢٥٥.

(٢) Hogarth, Penetration of Arabia, p. 240.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة الكويت.

(٤) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، مجلد ٧، ص ٢٣١.

(٥) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ١١٠.

- قدري قلعجي، أضواء على تاريخ الكويت، ص ٧٢.

متصلة تجارياً مع نجد، لذا كان يهملها أن يسود الهدوء والأمن والاستقرار ليتسنى للعمل التجاري الكويتي أن يستمر وينشط، لأن الحرب النجدية كانت قد وصلت صداها إلى خارج الحدود النجدية، أضف إلى هذا كله سخاء وكرم مدحت باشا الذي منح عبدالله بن صباح مزارع النخيل المعفاة من الضرائب في منطقة الفاو وجنوب العراق.

ونتيجة طبيعية للموقف العدائي لحاكم الكويت تجاه حاكم الرياض الجديد سعود بن فيصل، قرر الأخير أن يرد على هذا التحدي وينتقم من حكام الكويت الذين ساعدوا الأتراك وأخاه ضده، وبالتالي ضياع الأجزاء الشرقية من الدولة، هذا إلى جانب تشجيع الإنجليز لسعود نكاية بالكويت حليفة الأتراك. ففي عام ١٨٧٢م (١٢٩٠هـ) جرد سعود حملة عسكرية من أتباعه في نجد، وغادر الرياض، ووصلت طلائع قواته إلى الوفراء على الحدود الكويتية، ولكنه عاد إلى الرياض دون أن يصطدم مع القوات الكويتية التي احتشدت لتقابل هذا الهجوم^(١). ويبدو أن سعوداً رجع إلى الرياض لأسباب منها: أن الوضع الداخلي في نجد لا يساعده على الابتعاد عن العاصمة، وأعداؤه يتربصون به من الجهات كلها كالأتراك، والكويت وأخيه عبدالله ومؤيديه. هذا ويبدو أن قواته لا تستطيع مقاتلة قوات الكويت التي ستطلب العون العسكري السريع من قوات العثمانيين المربطة في البصرة أو القطيف أو الهفوف.

وقد لجأ عبدالله بن فيصل للمرة الثانية إلى الكويت فراراً من وجه أخيه سعود الذي أعاد الرياض مرة ثانية لسيطرته عام ١٨٧٢م (١٢٩٠هـ) واحتفى عند شيخها عبدالله آل صباح ومنحه هذا حق اللجوء في بلاده^(٢).

ولما لم يستطع آخر أئمة الدولة السعودية أن يقاوم مكائد ابن رشيد وعامله في الرياض، ولم يتحمل عمليات الاستفزاز التي كانت توجه إليه، وبعد خلاف مع آل

(١) سيف مرزوق الشملان، من تاريخ الكويت، ص ١٣٦.

- راشد الفرحان، مختصر تاريخ الكويت، ص ٦٨.

(٢) Dickson, Kuwait and Her Neighbours, p.127.

رشيد أدى بهم إلى دخول الرياض نهائياً، ذهب عبدالرحمن بن فيصل وأولاده الأربعة وعائلته إلى الكويت وطلب من محمد آل صباح أن يمنحه حق الإقامة في بلده، إلا أن محمد بن صباح رفض في أول الأمر، فاتصل عبدالرحمن بصديق أسرته الشيخ قاسم آل ثاني حاكم قطر، فمنحهم هذا حق الإقامة في قطر وظلوا فيها لمدة شهرين من عام ١٨٩١م (١٣٠٩هـ)، وبعدها أوعزت الدولة العثمانية للقائم مقام محمد بن صباح عن طريق توسط متصرف الأحساء أن يمنح آل سعود حق الإقامة في الكويت. وهنا يبدو موقف الدولة واضحاً من آل سعود، فهي تريد تحديد تحركاتهم خوفاً من إثارة القلاقل والدسائس لها ولصديقتها ابن رشيد. كما عينت له راتباً شهرياً قدره ٦٠ ليرة عثمانية - قل ما كانت تدفعها -^(١)، كل ذلك كان من أجل أن تستعمل آل سعود كسلاح في يدها ضد آل رشيد إذا ما ازدادت قوتهم وأحست بأن أطماعهم تهدد كيانه السياسي في المنطقة، ولتحد من حركات وسكنات آل سعود.

وفي الكويت بدأت تحركات آل سعود لاستعادة ما فقدوه. ويبدو أن الظروف السياسية ساعدتهم على تحقيق هدفهم وإن جاء ذلك متأخراً. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال، لماذا قبلت الكويت أن تمنع آل سعود حق اللجوء إلى أراضيها؟ ألم تخش أطماعهم؟ ويبدو أن قبولهم كان مربوطاً بإشارة الدولة العثمانية صديقة الكويت التي تعتبر سنجقاً تابعاً لها. أرادت الكويت أن تستغل ابن سعود في المستقبل ضد أطماع محمد بن رشيد الذي يبدو أن أطماعه كانت تتعدى نجداً لأنه ظل يبحث عن منفذ لدولته^(٢)، كما سيكون عبدالرحمن آل سعود أداة ضغط على الدولة العثمانية نفسها إذا ما ساءت العلاقة بينهما، ولربما كان ليوسف بن إبراهيم صديق عبدالرحمن وصاحب النفوذ عند محمد آل صباح أثر في ذلك^(٣) وهذه الأسباب في رأينا هي الأسباب التي

(١) أمين الرحباني، نجد وملحقاته، ص ٩١.

- Dickson, op. cit., p 128.

- عبدالرحمن الناصر، عنوان السعد والمجد، ص ٤٣.

(٢) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١٩٢.

(٣) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ١٩٢.

- ميكوش، المرجع السابق، ص ٢٥.

- Twitchell, Saudi Arabia, p. 152.

جعلت من محمد آل صباح أن يقبل ما عرض عليه من حماية آل سعود في أرضه .

وقد قويت شوكة آل سعود في الكويت، وتوطدت العلاقة بين الفتى عبدالعزيز وبين مبارك آل صباح «الذي طوق آل سعود بذراعيه»^(١)، ثم ضرب بهم عدوه ابن رشيد . فبعد أن تخلص مبارك من أخويه محمد آل صباح وجراح آل صباح، قرر صديقهما يوسف بن إبراهيم، وهو من تجار اللؤلؤ الأثرياء في الكويت وله نفوذ قوي ومحاول تسلم الحكم، أن ينتقم من الشيخ مبارك، فطاف في قطر والبصرة وحائل والحجاز محرضاً الأمراء ضد مبارك^(٢). ومن هنا بدأت العلاقة تتوتر بين عبدالعزيز آل رشيد ومبارك آل صباح، بخاصة أن الثاني كان يحترم آل سعود ويحميهم ويساعدهم بالمال والسلاح والرجال . ومن هنا حدث التصادم بين الطرفين حتى أن غارات ابن رشيد وصلت إلى أطراف العراق وتصدى لها سعدون باشا أبو عجمي رئيس عشائر المنتفق الذي كان يؤيد الشيخ مبارك ضد أعدائه . كما أن مبارك استخدم آل سعود لضرب خصمه، فقاد عبدالرحمن آل سعود عدة هجمات بقوات نجدية كويتية ضد بلدو آل رشيد^(٣). وحاول عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز استرداد الرياض . وبالفعل وصلت إليهما قواتهم وحاصرتها ما عدا الحصن فقد ظل بيد قوات ابن رشيد التي أثبت أن تستسلم لابن سعود . ونتيجة هذا التدخل ظهرت في نجد قوة تقاوم ابن رشيد وتساعد آل سعود وترسل لهم الأخبار أول بأول عن تطور الموقف في الداخل، وهذه الفئة المؤيدة كان لها أثر عظيم في المستقبل عندما دخل عبدالعزيز الرياض عام ١٩٠٢م (١٣١٩هـ).

ولم يقف ابن رشيد من هذه الهجمات موقفاً ضعيفاً بل استدرج أعداءه، مبارك وآل سعود إلى منطقة القصيم، ودارت هناك معركة قوية بين قوات الطرفين كانت قريبة من بلدة الطرفية القريبة من بريدة، في مكان يدعى الصريف، وكان النصر فيها لابن

(١) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٧٥، ٧٦.

- أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٣) أمين الريحاني، نفسه، ص ١٠٥.

رشيد، وهذا ما جعل مبارك يعدل عن التفكير في الهجوم على نجد لكثرة الخسائر التي منيت بها قواته نتيجة الانكسار في المعركة^(١). وقد عللت المصادر سبب انكسار قوات مبارك وآل سعود بالعوامل التالية:

- أولاً: زهو الشيخ مبارك وكثرة غروره بنفسه وقوته.
- ثانياً: لم يكن يعلم قوة عدوه ابن رشيد، وكان نفوذ ابن رشيد ممتدًا على رقعة واسعة من الجزيرة.
- ثالثاً: إن قوات مبارك كانت من البدو غير المدربين، وجل هدفهم الحصول على المكاسب والأطعماء الشخصية. فالبدو لا يحارب مع مبارك من أجل مبدأ القتال أو بسبب عقيدة وطنية، بخلاف جند ابن رشيد المدربة والتي استطاعت دخول بلاد آل سعود كلها.
- رابعاً: يعود كذلك لتقسيم الجيش إلى قسمين: الأول تحت قيادة عبدالرحمن آل سعود وكانت وجهته نحو الرياض، والقسم الآخر بقيادة مبارك وكانت وجهته إلى القصيم فلو انقض الجيشان على قوات الخصم يداً واحدة ربما لتغير الأمر^(٢).

ونعترف أن فشل مبارك في هذه المعركة جعله يتصل بالإنجليز أكثر ويعمل على توطيد الحماية معهم، بخاصة وأن بريطانيا بدأت تستغل العداء الكويتي الرشيدي لصالحها، ونتج عن ذلك أن عقدت مع الكويت معاهدة حماية في ٢٣ يناير ١٨٩٩م، رمضان ١٣١٦هـ^(٣). كما ذكره سابقاً.

(١) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص ١٠٥.
 - الشعلان، المرجع السابق، ص ص ١٤٣-١٤٦.
 (٢) عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ص ٧٨.
 - قدرى قلعجي، أضواء على تاريخ الكويت ص ٨٩.
 (٣) قدرى قلعجي، المرجع السابق، ص ٥٠.
 - صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج، ص ١٩٦.

وكان لوجود آل سعود في الكويت أثر كبير على شخصية عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، فأخرجت منه رجلا مدربا لكثرة اتصاله بمبارك آل صباح السياسي العجوز الذي حنكته التجارب، واتصاله برجال السياسة وبخاصة الإنجليز في الهند. وفيها تدرب على القتال بجانب أبيه والكويتيين أثناء غزوهم لمناطق آل رشيد مما جعله يتعرف على الطريق والأماكن التي تكثر فيها المياه في الصحراء، كل ذلك كان له أثر كبير على نجاحه في المستقبل. أضف إلى ذلك ما كان قد أفاده عبدالعزيز وهو يعيش في الكويت من الدهاء السياسي بعد أن عرف أن السياسة لا ترحم.

الفصل السابع

أنظمة الحكم والإدارة في الدولة

محتوياته

- تمهيد
- نظام الحكم (النظام السياسي) .
- النظام الإداري .
- النظام القضائي .
- النظام المالي .

الفصل السابع

أنظمة الحكم والإدارة في الدولة

تمهيد:

قبل أن نتناول بحث أنظمة الحكم والإدارة في الدولة، والحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها، كان من واجبنا هنا أن نشير إلى أن بحثنا ودراستنا في هذه الموضوعات اقتصرت على الخطوط العريضة دون الدخول في التفاصيل الجزئية وذلك تمشيا مع متطلبات الرسالة ومقامها.

وبالنسبة لأنظمة الحكم والإدارة في الدولة السعودية الثانية يمكن تقسيمها إلى عدة أنظمة منها: السياسي والحربي والإداري والقضائي والمالي. وسنبحث كلا منها بشيء من التفصيل حتى يتسنى لنا معرفة أجزاء هذه الأنظمة واختصاصاتها بالنسبة لجهاز الدولة العام.

إن نظام الحكم القائم في الدولة المذكورة مبني على أحكام الشرع، ودستوره القرآن والسنة وما أفتى به الأئمة الأربعة بالإجماع، لأن الحركة السلفية الإصلاحية النجدية والتي تبنتها الدولة السعودية، هي حركة إصلاحية دينية في المقام الأول والأخير^(١). وبهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب «الحق والصواب ما جاء به الكتاب والسنة، وما قاله وعمل به الأصحاب واختاره الأئمة الأربعة المقلدة في الأحكام، فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع»^(٢). لذا فإن الدولة تسير بالنسبة لأنظمة حكمها

(١) ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ص ١٨٧.

(٢) أنظر أمين الريحاني، نجد وملحقاته، ص ٣٧.

حسب الشرع وهي بذلك أهتمت بالمسائل الروحية وبقدر أقل الى الحياة المدنية، ونتيجة لذلك وبناء على تطبيق الشرع فقد قلت السرقات والفجور^(١) وغير ذلك من العادات الاجتماعية الذميمة . وقد راعت الدولة أن تسير أنظمتها سيرة إسلامية تراعى فيها مبادئ الشورى^(٢).

نظام الحكم (النظام السياسي) :

يشمل هذا النظام المناصب التالية :-

- الإمام (الحاكم)

الإمام هو الرئيس الأعلى للدولة ، وهو صاحب السلطات الفعلية فيها . ولقب الإمامة يشمل الزعامة الدينية والسياسية ، والإمامة ليست منصبا حديث العهد بل هي سلطة سياسية دينية جرى عليها الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) . فالإمام هو القائد والرئيس للمسلمين في أمورهم الدينية^(٤).

ونلاحظ أن أغلب المصادر الأجنبية لا تشير الى لقب الإمام ، بل تذكر دائما أو في معظم الأحيان لقب الأمير ، وهذا ما نلاحظه في وثائق وسجلات ومراسلات دار المعتمد البريطاني في الخليج والى ما كتبه بلي الذي زار الإمام فيصل عام ١٨٦٥م (١٢٨٢هـ) ، وكذلك فان وثائق الدولة العثمانية ودولة محمد علي تشير له بلقب أمير أو شيخ وليس بإمام^(٥).

(١) أحمد أمين، زعماء الإصلاح، ص ١٧ .

(٢) Winder, Saudi Arabia in the Nineteenth Century, p.149.

(٣) محمد شيبه بن نورالدين السالمي ، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان ، ص ٦٦ .

(٤) Major, Hennell, to The Government of Bombay, September 9, 1847 (Bahrein, Book 145, p.469, Office No.387 of 187, Cons, No.92 of 1947), ARAMCO, Dhahran.

(٥) Pelly's Visit to Wahabee Capital, vol. 14, p.85.

- أنظر وثيقة دفتر ١٩١٠ أوامر عربي ، صورة الأمر الكريم رقم ٢٩ بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٢٨٠هـ دار الوثائق القومية بعبدين .

ولقد كانت سلطات الإمام واسعة فهو صاحب الرئاسة السياسية والإدارية والقضائية والمالية والعسكرية في الدولة، وهذه السلطات الواسعة يدعمها اعتماد الإمامة في حكمها على الدستور الإسلامي الذي لا يجزؤ الفرد على مخالفته، وهذا ما يعطي الإمام صلاحية مطلقة في العمل. لذا فالإمام قائد الجيوش الغازية في أكثر الأوقات، باستثناء حالات المرض أو الزحلات أو الظروف الأخرى الطارئة، وفي هذه الحالة كان ينوب عنه ولي عهده وساعده الأيمن إنه الأكبر أو أحد أبنائه من أفراد أسرته أو أحد قواده الذي يعتمد عليه. ويبدد كذلك حق إبرام معاهدات الصلح وإعلان الحرب ضد جهة من الجهات الداخلية أو الخارجية. وهو الرئيس الذي تحل عنده المسائل المعلقة والخلافات الكبيرة كالتى كانت تحدث بين القبائل البدوية في البلاد، وهو المسؤول الأول المتصرف بأموال بيت المال (ميزانية الدولة) وليس هناك من سلطة تحاسب الإمام لأنه لا توجد سلطات تشريعية أو تنفيذية فوق سلطته.

أما بالنسبة لإقامته، فكان مركز الحكم في الرياض زمن الدولة السعودية الثانية والثالثة، أما زمن الأولى فكان في الدرعية. وللإمام ديوان في قصره يجتمع فيه مستشاروه وقضاة وأمرائه ورؤساء الأقاليم ومشايخه. والديوان Devan كلمة فارسية الأصل دخلت اللغة العربية، وهي دفتر أو السجل أو المكان الذي يوضع فيه الدفتر والسجل، وهذا في حد ذاته تنظيم فارسي أخذته الدولة الإسلامية الأولى زمن الفاروق، عمر بن الخطاب^(١). ثم نقلته الدولة العثمانية وطبقته في بلاد العرب، وهكذا نرى أن الدولة السعودية تستعمل نفس الكلمة، وينفس المفهوم، فنلاحظ أن لكل أمير من أمراء الأقاليم ديوانه الخاص.

ولي العهد:

سارت الدولة بالنسبة لاختيار ولاية العهد حسب النظام الوراثي الأسري للابن الأكبر من أولاد الإمام. ومع أن الدولة السعودية الثانية تقيدت بهذا النظام الى حد ما. إلا أنها كانت تخرج عن هذه القاعدة في بعض الحالات، فيختار أكبر أفراد الأسرة

(١) حسن وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص ٢١٥.

الحاكمة للإمامة، ومثال على هذا تعيين الأمير عبدالله بن تركي وهو من أعيان الامام عبدالله بن فيصل وإخوته إماما للدولة عندما خلع أهل الرياض سعودا عن الحكم . وكذلك عندما توفي الامامان عبدالله بن فيصل وسعود بن فيصل عين خلفا لهما اخوهما عبدالرحمن بن فيصل ولم يعين أحد أولادهما . ولهذا نرى أن وراثة الابن الاكبر للإمامة ليست أساسا لتولي الحكم^(١).

ومن سلطات ولي العهد وواجباته أنه ينوب عن الإمام في القيام بمهام الدولة أثناء غيابه في حالات الغزو أو الزيارات أو المرض . الخ . وكثيراً ما كان يعين ولي العهد أميراً على إقليم من أقاليم الدولة وذلك إما من أجل تدريبه على الأمور الإدارية والسياسية ، وإما من أجل الحفاظ على ضمان تبعية الإقليم للدولة . وبهذا يكون ولي العهد قد تسلم زمام الأمور زمن الإمام السابق ويكون بذلك قد تعرف على مشكلات الناس ومطالبهم بعد أن احتك بالمجتمع ، وكسب خبرة تصبح له عوناً في الإدارة العامة في المستقبل عند تسلمه الإمامة . وخير ما يدل على صحة هذا القول تعيين الأمير عبدالله بن فيصل زمن إمامة أبيه حاكماً على الرياض^(٢) . وكثيراً ما كان يتسلم ولي العهد قيادة الجيوش بدلاً من أبيه الإمام وذلك تدريباً له على فنون الحرب كالفروسية لأنه في المستقبل سيكون قائداً عاماً للغزو . ومهما يكن فقد كانت بيد ولي العهد سلطات وصلاحيات محدودة بقدر الإمكان .

أمراء الأقاليم :

كانت الدولة مقسمة إلى عدة أقاليم أو نواحي ، وكان يعين على كل إقليم أمير ، وأحياناً يطلق عليه لقب عامل أو حاكم^(٣) . ومنصب العامل هذا مأخوذ من حيث تنظيمه عن الدولة الإسلامية الأولى منذ أن اتسعت زمن الرسول الكريم الذي وزع عماله على ولايات الدولة الإسلامية . وقد راعى الإمام في تعييناته لهذا المركز مجاملة

(١) ميكوش (داكوبرت فون)، عبدالعزيز، مترجم ص ١٩ .

(٢) أنظر ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مجلد ٢ ص ١٢٤ Persian يذكر أيضاً تعيين سعود على الخرج .

(٣) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, vol.2, p. 1359 .

الرؤساء المحليين وذلك كعملية ترضية لكسب التأييد والطاعة في الإقليم، لأن شيوخ العشائر كانوا أصحاب النفوذ القوي في أقاليمهم، ومن جانب آخر فهم أدرى بمشكلات سكانها في كل الأمور. ومهما يكن من نفوذ هؤلاء الرؤساء المحليين، إلا أن هذا لم يعصمهم عن العزل أو النقل لإقليم آخر، وذلك نتيجة للوشايات، أو لقيام حركات تمرد في أقاليمهم، أو إذا ثبت عليه جريمة السرقة من بيت المال أو زيادة الزكاة والأعشار المفروضة، أو إذا ثبت عدم جدارته لإدارة الإقليم. ولم يكن الأمر مقتصرًا في تعيينات مراكز الأمراء على الرؤساء المحليين بل كان للإمام الحق في تعيين أي فرد يثبت جدارته لهذا المركز^(١).

ويأتي مركز الأمير في الدرجة الأولى بعد مركز ولي العهد ويده صلاحيات واسعة في الإقليم المعين عليه. فهو المشرف على الإدارة والمالية، وهو المسئول عن جمع القوات للغزو، لذا يمكن القول إن الأمير هو الممثل الأول للإمام في إقليمه، ويتمتع بسلطات واسعة فيه^(٢). ومع هذه السلطات الواسعة فقد ظلت شخصية الإمام متفوقة، فكثيرًا ما كان يجمع أمراء النواحي ويخاطبهم بمنتهى القسوة والتهديدات إذا حدثت أي اضطرابات أو فوضى في أقاليمهم. وإليك مقتطفًا من خطاب فيصل بن تركي لأمرائه فيقول «وإنكم إذا ورد أمرى عليكم بالمغزا حملتموهم زيادة لكم وإياكم ذلك فإنه ما منعني أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب في غزوهم إلا الرفق بهم، واعلموا أني لا أبيعكم أن تأخذوا من الرعايا شيئًا. ومن حدث منه منكم ظلم على رعيته فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه.». ^(٣) فهكذا نلاحظ من آخر الكلام الذي اقتطفناه مدى نفوذ الإمام على الأمراء. ويمكن توضيح مهام الأمير في الإقليم بالنقاط التالية:

- أولاً : هو المسئول العام في الإقليم والنائب عن الإمام.
ثانيًا : عليه أن يجهز رجال الغزو (القوات) إذا ما جاء أمر الإمام بذلك وأحيانًا يكون رئيس المغزا^(٤).

(١) Lorimer, op. cit., vol.2, p.1359.

(٢) عرض الحكومة السعودية، مجلد ١، ص ٤٧٠.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٤٤.

(٤) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ٧٠، ٩٠، ١٠٠.

ثالثاً: عليه جمع الزكاة والأعشار والجهادية في الإقليم بواسطة جباة يعينهم بنفسه يدعون وكلاء، وبالتالي ترسل هذه الأموال إلى الرياض.

رابعاً: إذا قام الإقليم بغزو بلاد خارجية أو حملة تأديبية ضد البدو المتمردين فعلى الأمير أن يرسل خمس الغنائم لبيت المال في العاصمة^(١).

خامساً: يوزع ما يرسله الإمام من عطايا للرؤساء والفقراء في إقليمه.

أما بالنسبة لتوزيع الأمراء في الأقاليم وأسماهم فسيأتي ذكره في بحث التوزيعات الإدارية في الدولة.

- الشورى

سايرت الدولة السعودية بقدر الإمكان مبدأ الشورى في نظام حكمها وفي مختلف مراحل تكوينها منذ حكم الإمام السعودي الثالث سعود الكبير وحتى وقتنا الحاضر. وتنقسم الشورى إلى قسمين: شورى خاصة، وأخرى عامة.

أما عن الشورى الخاصة، فكانت تضم عدداً من الأمراء والقضاة والفقهاء والقادة وبعض أفراد الأسرة الحاكمة. وتجتمع هذه النخبة من أصحاب الرأي في الرياض عندما يأمر الإمام باجتماعها، ويكون لها دور كبير في حالات الحرب، وعند تعيين ولي العهد أخذاً بمبدأ الشورى^(٢).

والشورى في الدولة السعودية الثانية غدت نظاماً واضحاً زمن الإمام فيصل بن تركي. ففي اللحظة الأولى التي تسلم فيها الحكم عقد اجتماعاً حضره مجلس شورا الذي كان يتكون من عبدالله بن رشيد أمير الجبل، وعبدالعزیز بن محمد أمير بريدة وتركي الهزاني أمير الحريق، وحمد بن يحيى بن غيهب أمير الوشم، وعدد غيرهم من الأعوان والفقهاء وبعض شيوخ القبائل، وذلك لدراسة شئون الأقاليم^(٣). واجتمع

(١) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) محمد عبدالله ماضي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، مجلد ١، ص ٣٢٦.

(٣) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٥٠.

مجلس الشورى أيضاً للتباحث ووضع الخطط اللازمة لمقاومة حملة القائد إسماعيل بيك وخالد بن سعود اللذين أرسلوا من قبل والي مصر محمد علي للقبض على فيصل وإنهاء سيادة الدولة السعودية المستقلة^(١).

وهناك نوع أعم وأوسع في مفهوم الشورى، وهي الشورى العامة التي كانت تعقد على شكل اجتماعات عامة وفي مناسبات معينة، إما من أجل دراسة بعض المشكلات المتعلقة بالأقاليم، وإما بعد حدوث فتور وتمرد قامت به بعض أقاليم الدولة. وهذه الاجتماعات كان يحضرها القضاة والأمراء والفقهاء وشيوخ القبائل والرؤساء المحليين وأصحاب الفكر والقادة وغيرهم. ويمكن القول إن هذا النوع من الاجتماعات العامة كان خير وسيلة لتدارس وجهات النظر المختلفة التي يحضرها الحضور. وخير ما يمثل هذه الاجتماعات اجتماع «وثيلان» الذي أقيم في الدهناء قرب عين ما تدعى وثيلان. اجتمع فيه فيصل بعامة المسئولين في الأقاليم^(٢). ويمكن مقارنة هذه الاجتماعات الخاصة والعامة في الدولة بالمجالس النيابية في وقتنا الحاضر.

- النظام العسكري:

إن هذا النظام يشمل إعداد القوات، وأنواعها، وطرق الحرب، والوسائل والمعدات التي يحارب بها الجندي السعودي في ذلك الوقت. والحقيقة ليس في الدولة المذكورة تنظيم عسكري بالمعنى المفهوم حديثاً وإنما كانت الدولة تعتمد على نظام النفير العام، وهذا يعني التعبئة العامة في البلاد بقسميها الحضري والبدوي. أما عن كيفية إعداد النفير فكانت تتلخص بالنقاط التالية:

أولاً: يصدر الإمام بصفته القائد العام للجيش (للغزو) أوامره إلى أمراء الأقاليم وأهمها جبل شمر والقصيم والدواسر والأفلاج والخرج وسدير والوشم والأحساء، بتجهيز غزوهم والحضور إلى مكان يكون قد عينه له سرّاً. وبطبيعة الحال فكان كل إقليم يعرف عدد الغزو المطلوب منه فإذا ما وصلت الأوامر هيأ

(١) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ٧٠.

(٢) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ٤٤.

الأمير غزوه وسار بهم إلى المكان المعين .
 ثانيًا : كان الأمير في الإقليم يمثل الإمام ، لذا عليه أن يجهز غزوه بالسلاح والعتاد والطعام الذي يكفيه على الأقل بضعة أيام .
 ثالثًا : عندما يتجمع الغزو في المكان المعين يجتمع الإمام بعدها بالأمراء ، لأنهم أحياناً كانوا رؤساء لهذه القوات المحتشدة ، وبالمساعدين والقادة ليقرروا الجهة المراد قتلها .
 رابعًا : تظل القوات الغازية في حالة النفير هذه حتى يصدر الإمام أمراً بانصراف القوات كل إلى ديارها ، وبذلك تعود الأمور إلى مجراها العادي ، ويعود كل إلى عمله^(١) .

ونلاحظ أن النفير العام المعروف في وقتنا الحاضر ليس نظاماً جديداً وإنما كانت تسير عليها الدول القديمة . ومع أن هناك تبايناً واختلافاً فإن ذلك يعود إلى اختلاف الظروف والوسائل الحاصرة . وجاء ذكر النفير عند ابن بشر حين يقول « فلما علم بذلك تركي بن عبدالله أمر على نواحي المسلمين بالنفير »^(٢) . ويقول ابراهيم بن فصيح ، « لم يكن لهم (لآل سعود) جيش منظم خاص للحرب ، بل إذا عزم الإمام على الحرب جمع النفير العام للقبائل والعشائر »^(٣) .

ونلاحظ مما تقدم أنه لا يوجد للدولة جيش منظم خاص ، بل إنها تعتبر كل مسلم من أتباعها جندياً يدافع عن بلاده ودعوته إذا ما طلب منه الدفاع أو الهجوم بأمر من الإمام . والذي يؤخذ على هذا النظام هو أن القوات فيه تكون غير مدربة ولا مهياة « إذ لا وجود للمدارس العسكرية عندهم سوى بعض التدريبات الفردية كالفروسية والرمي . . » الخ . كما أن معدّات القوات كانت بسيطة ولا تجديد فيها ، إما السيف أو

(١) أنظر مجلة لغة العرب ، الجزء الخامس من السنة الثالثة ، تشرين ثاني ١٩١٣ م ، شهر ذي الحجة ١٣٣١ هـ ، ص ٣٥٧ .

- أمين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، المجلد الأول ، ص ٧٦ .

(٢) ابن بشر ، المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ٣٥ .

(٣) ابراهيم فصيح الحيدري ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ص ١١٣ .

الرمح أو البندقية وبعض المدافع القديمة. وعلى كل حال فقد كانت القوات تنقسم إلى مشاة وفرسان وهجانة، أما بالنسبة للبحرية عندهم فهي لا تتعدى عملية نقل الجند بالسفن إلى البر وسوف نطرق هذا الموضوع فيما بعد.

وأما بالنسبة للخطط الحربية، فكانت عندهم طرق كثيرة للقتال إما أن تعتمد على المباغته أو على الهجوم المكشوف وأحياناً بواسطة الكمين، أو إلى أسلوب الكر والفر. ولكن في أكثر الأحيان كان يسود القتال أسلوب الزحف. وأحياناً عمدوا إلى قتال التعبئة وهو أن تسير القوات للقاء عدوها وهي مقسمة إلى قلب وميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة.

ولم يكن للجندي (الغازي) راتب معروف ولم تكن هناك جيوش منظمة ثابتة في الدولة، بل كانت توزع عليهم الغنائم إذا حققوا النصر. واعتمد هذا التوزيع على ما نصت عليه الآية القرآنية القائلة «واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» وعليه فيطرح من مجموع الغنائم الخمس وتوزع الأربعة أخماس الباقية على الجند المحاربين.

وعلى كل حال فقد كان بإمكان الدولة السعودية الثانية أن تجمع قوات تقدر بـ ١٠٠.٠٠٠ جندي من أقاليمها مجهزين بالسلاح والمؤن^(١)، لذا يمكن القول إن هذا النوع من الجيش هو عبارة عن جيش متطوع لا نظامي . .

أما عن أسلحته فكانت عبارة عن بنادق ومدافع من الطراز القديم قليلة من حيث العدد، ثم هناك السيوف والرماح والخناجر والتروس والدروع، وبعضهم كان يستخدم السلام من أجل التسلق على السور^(٢)، وأحياناً استخدموا الكباش لحفر السور وفتح ثغرة فيه من أجل الدخول إلى البلدة؛ ومنهم من اخترع الزحافة الخشبية التي تنقل الجند إلى جوار السور^(٣).

(١) إبراهيم بن فصيح، المرجع السابق، ص ١١٣.

Taylor Travels in Arabia, p. 6. -

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٥١، ٥٢.

(٣) محمد سيد إبراهيم وآخرون، تاريخ المملكة العربية السعودية في إطار التاريخ العربي الحديث،

وإليك جدولاً يبين ما على الأقاليم من غزو يجب جمعه عند الحاجة .

الأقاليم	عدد الغزو الواجب منه
العارض	٦٠٠٠
اليهامة	٤٥٠٠
الحريق	٣٠٠٠
الأفلاح	١٢٠٠
وادي الدواسر	٤٠٠٠
السليل	١٤٠٠
الوشم	٤٠٠٠
سدير	٥٠٠٠
القصيم	١١٠٠٠
الأحساء	٧٠٠٠
القطيف	—
لم يرد ذكر عدد غزوها في كتابات بلجريف، ويعود ذلك إلى أن غزو المنطقة الشرقية كان يؤخذ من الهفوف فقط .	
جبل شمر	٦٠٠٠
الجوف	٢٥٠٠
خيبر	٢٠٠٠
أعالي القصيم	٢٥٠٠
تيماء	١٠٠٠
مجموع القوات اللازم تجهيزها من الأقاليم السعودية	٦١١٠٠ ^(١)

(١) Palgrave, Narrative of A year's Journey, vol.2, pp.84-86.

- إبراهيم فصيح، المرجع السابق، ص ١١٣ .

هذا إلى جانب غزو البدو فكان يطلب من القبائل البدوية غزو يقدر تقريباً من ٣٠ - ٤٠ ألف جندي، فيكون مجموع ما تستطيع جمعه الدولة من القوات حوالي ١٠٠٠ ر ١٠٠٠ جندي.

السفن الحربية (الأسطول):

من المعروف أن الدولة السعودية الأولى لم تكن في حوزتها سفن حربية مع أنها كانت تسيطر على أجزاء واسعة من منطقة الخليج العربي. وإنما كانت تستعين عادة بسفن الغوص التابعة للقبائل الساحلية التي خضعت لها^(١).

ومع أن الدولة السعودية الثانية كانت في عهد مؤسسها فيصل دولة قوية سيطرت على معظم ما كان للدولة الأولى من أقاليم، ومع أنها كانت بحاجة ماسة إلى أسطول حربي حتى تواجه تحديات الوحدات السياسية في الخليج التي تمتلك السفن الحربية وسفن الغوص، وتدعم بالأسطول البريطاني في الخليج، مع هذا كله فإن المصادر التاريخية لا تشير إلى وجود أسطول حربي أو حتى سفن حربية لهذه الدولة، ولم تشير كذلك إلى المكان الذي تصنع فيه هذه السفن. وكل ما استطعنا أخذه عن هذه المصادر التي كانت أشبه بمصدر رسمي بخاصة كتابات المؤرخ المعاصر ابن بشر الذي يكتب باسم الدولة السعودية، لهذا يقول «أمر فيصل على السفن التي لأهل قطر وهي نحو ثلاثمائة سفينة أن يهيئوها، وجعل فيها رجالاً من المسلمين، ثم أمر على أولاد عبدالله ابن خليفة الجالين في البحرين يركبون في سفنهم ويقصدون البحرين»^(٢).

والذي نستشفه من قول ابن بشر هو أن الدولة السعودية الثانية كانت كالأولى تعتمد على سفن القبائل الساحلية، فعندما فتح فيصل قطر عام ١٨٥١ م (١٢٦٧ هـ) سخر سفنها لخدمة الدولة، وكذلك استخدم سفن آل خليفة الثائرين ضد حاكم البحرين واللاجئين عند الإمام فيصل. ومن هنا نلاحظ أن الدولة لم يكن لها أسطول حربي حتى في أوج وعنفوان قوتها زمن الإمام فيصل. ولو كان لها أي سفن حربية، أو

(١) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٢) أحمد علي، آل سعود، ص ١١٠.

هناك أي مكان تصنع فيه هذه السفن أو تشتري منه لما سكت المؤرخ ابن بشر الذي يتغنى دائماً بمحاسن الدولة وقوتها ومدى اتساعها . الخ .

والذي يزيدنا تأكيداً هو أن الإمام عبدالله بن فيصل عندما عزم على استرداد البريمي من قبل إمام مسقط عزان بن قيس عام ١٨٧٠ م (١٢٨٧ هـ)، لم يستطع ذلك لأنه لم يتمكن من تسيير قوات برية عن طريق إقليم الظفرة وذلك لندرة سقوط المطر في ذلك العام^(١)، ولو كان للدولة أسطول حربي أو سفن يصل عددها ٣٠٠ سفينة لقدر للقوات السير عن طريق البحر.

كما أن حكام البريمي التابعين لآل سعود كانوا في معظم الأحيان يأتون بسفن القبائل إذا ما أرادوا مغادرة البريمي إلى الأحساء ونجد . وكثيراً ما طلبوا إذنًا بالمرور من البحرين^(٢) . فلو كان للدولة سفن حربية أو أسطول كبير لكان لها ساحل بحري ترابط فيه سفنها الحربية ، ولا استطاعت أن تقبض على زمام الأمور العسكرية والسياسية في المنطقة بشكل أقوى بكثير مما كانت عليه . والذي يسترعي انتباهنا هو أن الدولة السعودية الثانية لم يكن لها جيش بري منظم سوى بعض الحاميات القليلة المربطة على الحدود، وكان جل اعتمادها على غزو الحضر والبدو، إذن كيف يمكن أن تمتلك أسطولاً حريباً وهي بدون جيش منظم؟

ومع هذا فإننا لا نعني بأي حال أن رعايا الدولة ليس لهم سفن غوص، بل كانت لهم مجموعة من الفن في العقير والساحل، ولكن لم تصل إلى مفهوم الأسطول الحربي، فهي سفن لأفراد وليس للحكومة مع أن الأخيرة تستطيع استعمالها في أي وقت، إذا كانت قادرة على فرض سيادتها على هذه القبائل .

وعلى كل فلو أخذنا وجهة النظر البريطانية، فإنه لم تصدر من المسؤولين البريطانيين في تقاريرهم أي إشارة على أن الدولة السعودية الثانية ملكت أسطولاً

(١) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٣ .

(٢) Kelly, Eastern Arabian Frontiers, pp.70, 71.

حربياً، بخاصة وأن هذا الأمر كان يهم بريطانيا كثيراً لأن القوة البحرية السعودية معناها إضعاف لقوتها ونفوذها في الخليج .

- النظام الإداري :

يشمل هذا النظام التوزيعات الإدارية في الدولة، كالأقاليم، والمناصب الإدارية وعلى رأسها أمير الإقليم، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعتبر من التنظيمات الإدارية الجديدة في الدولة .

وعندما زار وليم بولجريف شمر والرياض والأحساء عام ١٨٦٣م (١٢٨٠هـ) أعطانا لائحة بأسماء الأقاليم التي تتألف منها الدولة السعودية الثانية، فكانت: العارض، الخرج، الحريق، الأفلاج، الدواسر، السليل، الوشم، سدير، القصيم، الهفوف، القطيف، البريمي، شمر، الجوف، خيبر، أهالي القصيم، وتيما^(١).

وظلت هذه التوزيعات الإدارية سارية المفعول طيلة فترة حكم الإمام فيصل بن تركي وفي السنوات الأولى من حكم ابنه عبدالله . وبعد ذلك انقسمت الدولة وتجزأت بين العثمانيين وآل رشيد نتيجة لما حدث في الأسرة السعودية من انقسام، وهنا ظهرت بعدها توزيعات إدارية جديدة نذكر على سبيل المثال أن العثمانيين عندما احتلوا المنطقة الشرقية من الدولة قسموها إلى ثلاثة أقضية وهي: الهفوف، القطيف، قطر^(٢). أما بالنسبة لآل رشيد، فإنهم لم يعودوا إلى إجراء تغييرات إدارية في الأقاليم، إلا بعض الإجراءات المؤقتة، واستمر هذا الحال إلى أن تم إجلاء آل سعود عن نجد بشكل تام .

وقد بلغ عدد موظفي الإدارة في الدولة السعودية الثانية كما يذكر لنا إبراهيم بن فصيح الحيدري، ١٠٠٠ إداري في نجد، ٥٠٠ في الهفوف، ٥٠٠ في القطيف، ٥٠٠ في البريمي^(٣)، ولم يذكر لنا عدد موظفي الإدارة في شمر التابعة للدولة، وربما يعود ذلك لبداية انقراض عقد الدولة بعد الحرب الأهلية .

(١) Palgrave, op. cit., vol.2, pp.84-86.

(٢) الألوسي، تاريخ نجد، ص ٣٧.

(٣) الحيدري، المرجع السابق، ص ٢١٣.

الأقاليم والبلدان	اسم الأمير (الحاكم)	ملاحظات عامة
الأقاليم الشمالية من نجد		
جبل شمر (حائل)	عبدالله بن رشيد	الذي خلف صالح بن عبدالمحسن ابن علي بعد أن عزله الإمام فيصل عام ١٨٣٤م (١٢٥١هـ)
القصيم		
- عنيزة	يحيى بن سليمان بن زامل	
- بريدة	عبدالعزیز بن محمد بن عبدالله	
سدير	حمد بن يحيى بن غيهب	
الوشم	عبدالكريم البواردي	
المحمل	حمد بن مبارك	
المناطق الجنوبية من نجد		
الخرج	علي بن محمد بن عفيصان	
وادي الدواسر	الزهيري	
الأفلاج	محمد بن عبدالله بن جلاجل	
الحريق	تركي الهزاني	
المناطق الشرقية بالنسبة لنجد		
الهفوف	عمر بن عفيصان	
البريمي	حمد بن يحيى بن غيهب	
سيهات	علي بن عبدالرحيم	
القطيف	علي بن عبدالله بن غانم	حاكم سدير سابقاً . وقد خلف صقر ابن سلطان رئيس القواسم الذي كان ينوب عن آل سعود في عمان بخاصة في فترة حكم الإمام تركي بن عبدالله ^(١) .

(١) أنظر: ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، من ص ٦٢-٨٤.

وليك جدولاً بالتقسيمات الإدارية وأمرائها في فترة حكم الأمير خالد بن سعود من ١٨٣٨ - ١٨٤١ م (١٢٥٤ - ١٢٥٧ هـ)

الأقاليم والبلدان	اسم الأمير (الحاكم)	ملاحظات عامة
شمر (حایل)	عيسى بن علي	
القصيم		
- عنيزة	يحيى بن سليمان بن زامل	
- بريدة	عبد العزيز بن محمد بن عبدالله	
سدير	محمد بن أحمد السديري	خلف والده أحمد السديري الذي
الوشم	عبد الكريم البواردي	نقل إلى إمارة الأحساء .
المحمل	حمد بن مبارك	
	المناطق الجنوبية من نجد	
الخرج	فهد بن عفيصان	
الدواسر	محمد بن عبدالله بن جلاجل	
الأفلاج	محمد بن عبدالله بن جلاجل	
الحريق	تركي الهزاني	أشرف على إمارة الدواسر والأفلاج معاً .
	المناطق الشرقية بالنسبة لولاية نجد	
الهفوف	أحمد السديري	لكنه عزل عن هذا المنصب وعين مديراً لبيت المال في الأحساء، وعين خلفاً له محمد رفعت أفندي عام ١٨٤٠ م (١٢٥٦ هـ)
القطيف	علي بن عبدالله بن غانم	
سيهات	علي بن عبد الرحيم	
البريمي	سعد بن مطلق المطيري ^(١)	

ملاحظة : تعتبر هذه الفترة امتداداً طبعياً لفترة الحكم المصري .

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد، ص ٧٢-٩٢ .

اليك جدولاً بالتقسيمات الإدارية وأمرائها في فترة حكم عبدالله بن ثنيان في أعقاب الحكم المصري مباشرة من سنة ١٨٤١ - ١٨٤٣ م (١٢٥٧-١٢٥٩ هـ).

الأقاليم والبلدان اسم الأمير (الحاكم) ملاحظات عامة

الأقاليم الشمالية من نجد		
شمير (حاييل)	عبدالله بن رشيد	بعد أن عزل عيسى بن علي
القصيم		
عنيزة	عبدالله بن سليمان بن زامل	نلاحظ أن إقليم القصيم
• بريدة	عبدالعزیز بن محمد بن عبدالله	لم يحدث فيه تغيير
سدير	عبدالعزیز بن عياف	
الوشم	محمد بن عبدالكريم البواردي	وذلك خلفاً الوالده
المحمل	حمد بن مبارك	
	<u>المناطق الوسطى من نجد</u>	
ضرماء	علي بن عبدالله	
حريملاء	حمد بن مبارك	
منقوحة	سليمان بن ابراهيم	
	<u>المناطق الجنوبية من نجد</u>	
الخرج	علي بن محمد بن عفيصان	
الدواسر	عبدالرحمن بن عبيكان	
الأفلاج	محمد بن عبدالله بن جلاجل	
الحريق	تركي الهزاني	
	<u>المناطق الشرقية بالنسبة لولاية نجد</u>	
الهفوف	عمر بن عفيصان	
القطيف	أحمد السديري	أشرف فترة محدودة على البلدين
سيهات	أحمد السديري	
البريمي	عبدالله بن بتال ^(١)	

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، من ص ٩٥-١٠١.

اليك جدولاً بالتقسيمات الإدارية وأمرائها في فترة حكم فيصل الثانية من

١٨٤٣ - ١٨٦٥ م (١٢٥٩ - ١٢٨٢ هـ)

الأقاليم الشمالية في نجد

جبل شمر (حاييل) عبدالله بن رشيد
بعد وفاته عام ١٨٤٧ م (١٢٦٣ هـ)
ظل الحكم وراثياً في أسرته.

القصيم

- عنيزة
عبدالله واخوه ابراهيم أبناء
سليمان بن زامل
عزل الإمام فيصل هذه الأسرة
عام ١٨٤٧ م (١٢٦٣ هـ) وعين
ناصر بن عبدالرحمن السحيمي.
وقد جلب هذا الإجراء جلب
القوضى في الإقليم.

الأقاليم والبلدان اسم الأمير (الحاكم)	ملاحظات عامة
- بريدة	عزل مراراً لكثرة حركاته الانتفاضية ضد الرياض.
سدير	ظل حتى عام ١٨٥١ م (١٢٦٧ هـ) وبعدها عين محمد السديري.
الوشم	حمد بن يحيى بن غيهب
<u>البلدان</u>	
المجمعة	محمد بن أحمد السديري
حريملاء	محمد بن عبدالله بن جلاجل
الغاط	عبدالمحسن بن أحمد السديري
<u>المناطق الجنوبية من نجد</u>	
الخرج	سعود بن الإمام فيصل
الحوطة	إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم

المناطق الشرقية بالنسبة لولاية نجد		
الهفوف	محمد بن أحمد السديري	خلفاً لوالده الذي نقل الى البريمي عام ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ).
القطيف	عبد الله بن سعد المداوي	أشرف على إمارة البلدين
سيهات	عبد الله بن سعد المداوي	

الأقاليم والبلدان اسم الأمير (الحاكم)		
ملاحظات عامة		
البريمي	سعد بن مطلق	عزل عام ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ) وخلفه عبدالرحمن بن ابراهيم، ثم محمد بن سيف العجاجي ولكنه عاد مرة أخرى للبريمي، ثم عزل عام ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ) وخلفه أحمد السديري إلى أن توفي فخلفه ابنه تركي السديري ^(١) .

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٣، ص ١١٠ وما بعدها.

اليك جدولاً بالتقسيمات الإدارية في فترة الحرب الأهلية من
١٨٦٦ - ١٨٩١ م (١٢٨٢-١٣٠٩ هـ)

شمر متعب بن عبدالله بن رشيد خلف أخاه طلال بعد أن أصيب
بمس في عقله عام
١٨٦٦ م / ١٢٨٢ هـ وتعاقب أبناء
الأسرة على إمارة الجبل.

القصيم

ظلت إمارتها بيد أسرة آل زامل

- عنيزة

إبراهيم بن عبدالمحسن بن

- بريدة

مدلج من آل أبي عليان

انتقلت الإمارة بعد اشتباكات
دائمة إلى آل أبا الخيل وظل الأمر
حتى تدخل محمد بن رشيد فضم
الإقليم تحت حمايته.

ملاحظات عامة

الأقاليم والبلدان اسم الأمير (الحاكم)

الخرج

كان فيها أولاد سعود بن فيصل

الأحساء

محمد السديري

حتى عام ١٨٧٠ م (١٢٨٦ هـ) ثم
عزله سعود بن فيصل وعين ناصر بن
جبر الخالدي الذي ظل إلى أن
سقطت الأحساء بيد العثمانيين.

البريمي

تركي بن أحمد السديري

حتى مقتله عام ١٨٧٠ م
(١٢٨٦ هـ) ثم خلفه محبوب بن
جوهر الذي عمل باسم سعود بن
فيصل^(١).

(١) إبراهيم بن عيسى ، عقد الدرر، من ص ٥ وما بعدها.

- إبراهيم بن عيسى ، بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٤٦ وما بعدها.

ملاحظات عامة :

- تتميز هذه الفترة بكثرة تغيير حكام الأقاليم . ويعود ذلك إلى عدم استقرار الوضع السياسي في البلاد .
- تمزقت وحدة الدولة عندما فصلت عنها الهفوف والقطيف والبريمي ثم القصيم وسدير والوشم والمجمعة وبالتالي ضياع الدولة نهائياً .
- كانت الخرج جزءاً منفصلاً يؤيد الأمير سعود وأولاده .
- علينا ألا نطبق المفهوم الصحيح للتقسيمات الإدارية في الدول الحديثة ذات الأنظمة السياسية الثابتة ، بل يجب أن نتذكر دائماً أنها تقسيمات إدارية صورية ومتغيرة وهي في مجتمع بدوي يسوده نظام قبلي .
- ليس لدينا تقسيمات منظمة للأقاليم وأمرائها وإنما استخلصنا هذا كله من ثنايا صفحات المؤرخين المعاصرين للحوادث .

هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن هذه الهيئة تشبه ديوان الحسبة في دولة صدر الإسلام مع أن هناك بعض الاختلافات الجانبية . وأول ذكر لهذه الهيئة جاء في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب «المعروفة بالرسائل النجدية» فيقول «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على من قدر عليه من جميع الرعية وهو في حق الإمام أعظم ، فلا يجوز للإمام ترك الإنكار على أحد من المسلمين بل يجب عليه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القريب والبعيد . ويؤدب الغال بما يردعه وأمثاله عن الغلول من أموال المسلمين^(١)» . لذا نلاحظ أن وجود الهيئة في نظر الشيخ ابن عبد الوهاب كان ضرورياً . ولكن أمرها أخذ يتضح أكثر في فترة حكم الإمام فيصل الأولى إذ أمر بتشكيل هيئة الأمر بالمعروف في أول خطاب له القاه على الشعب . كما شدد على الأمراء في المناطق أن يعاضدوا هذه الهيئة لأنها دعم لهم كما هم دعم لها^(٢) ، إلا أن أمر الهيئة لم يدم في هذه الفترة لأن فيصلاً أسر على يد القائد خورشيد باشا ، ونفي إلى مصر عام ١٨٣٨ م (١٢٥٥ هـ) . ثم ما لبثت الهيئة أن تكونت من جديد بعد تسلم الإمام فيصل الحكم للمرة الثانية ، فقد أمر

(١) محمد بن عبد الوهاب ، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ص ٢٠ .

(٢) ابن بشر ، المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ٦٦ .

في خطاب عرشه أن يعاد تشكيل الهيئة المذكورة^(١). وما زالت الدولة السعودية الثالثة تعاضدها وتهتم في أمرها حتى وقتنا الحاضر^(٢).

أما واجبات هذه الهيئة الدينية فهي :

أولاً : الاشراف على أمور الدين وتطبيقها، إذ أن لها موظفين دينيين يدعون «مطاوعة» وظيفتهم تذكير الناس بأوقات الصلاة وعلى الجميع ترك الأعمال وبخاصة حوانيت البيع والشراء وأن يذهبوا لأداء الصلاة جماعة في المسجد. وعلى الفرد أن يواظب على حضوره. وقد أقيمت المساجد في كل حارات المدينة أو البلدة أو القرية ولكل مسجد مطوعة الخاص وعليه أن يحصي الحضور يومياً وبخاصة في صلاة الصبح.

ثانياً : الاشراف على الموازين والمكايل ومراعاة أحكام الشرع في عمليات البيع والشراء.

النظام القضائي :

القضاء هو حل المشكلات المتعلقة بأمور الدين، ويستند القضاء في حكمه طبقاً لما جاء به الشرع. لذا فقد انتشرت المحاكم الشرعية في بلدان الدولة، وبخاصة أن الدولة قائمة على دعوة دينية. كما وزعت الدولة القضاء على جميع الأقاليم. والقاضي يأتي بالدرجة الأولى من حيث الرتبة بعد أمير الأقليم مباشرة، وللقضاء كلمة مسموعة عند الحكام وعند الناس^(٣). ومركز القاضي يكاد يكون ثابتاً، فكثير من القضاة خدموا في الدولة مدة حياتهم، ويعود ذلك لأنه منصب ديني وليس سياسياً لذا لم يتعرض هذا المنصب لتغييرات واسعة كمنصب الأمير مثلاً.

(١) ابن بشر، نفسه، مجلد ٢، ص ١٠٥.

(٢) جريدة أم القرى في أعدادها ١١١ في ٢٤ رجب ١٣٤٥هـ / ٢٨ يناير ١٩٢٧م، والعدد ١١٣ / ٨ شعبان ١٣٤٥هـ، ١١ فبراير ١٩٢٧م، والعدد ١١٤ في ١٥ شعبان سنة ١٣٤٥هـ / ١٨ فبراير ١٩٢٧م.

(٣) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٣٩.

وإليك جدولاً بقضاة الدولة السعودية زمن الامام فيصل للمرة الأولى.

الأقاليم والبلدان	اسم القاضي	ملاحظات عامة
الرياض	عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب	نقل الى الخرج وخلفه في منصبه عبدالملك بن حسين بن محمد ابن عبدالوهاب
الوشم	عبدالرحمن بن حسين آل الشيخ	
الخرج	عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين	
سدير	عبدالرحمن بن حمد الثميري	
المحمل	محمد بن مقرن	
الزلفي والغاظ	عبدالعزیز بن عثمان بن عبد الجبار بن شبانة	
ومنيج		
عنيزة	عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين	
بريدة	محمد بن عبدسليم ومحمد بن عبدالله بن سليم	
جبل شمر	عبدالعزیز بن عثمان بن عبد الجبار	
الحوطة	علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب ثم خلفه عيد بن حمد	
الدواسر	جمعان بن ناصر	
الهفوف	عبدالله الوهيبي	
القطيف	محمود الفارسي ^(١)	

والذي نلاحظه أن عدداً من القضاة كانوا قد خدموا القضاء زمن والد فيصل في فترة حكمه الثانية، ولما تولى الحكم خالد بن سعود وعبدالله بن ثنيان ظل توزيع القضاة كما هو، وذلك لأن منصب القاضي ليس منصباً سياسياً يتحمل المسئولية الملقاة على السياسيين.

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢ من ص ٦٧-٨٤.

وإليك جدولاً بالقضاة زمن حكم فيصل للمرة الثانية^(١)

الأقاليم والبلدان	القاضي	ملاحظات عامة
الرياض	عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ	كان قد شغل منصب قاضي الرياض وفي الوقت نفسه كان إماماً وقاضياً للقوات الغازية.
منفوحة	عبد الله بن جبير	
الوشم	عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين	ثم نقل إلى القصيم
سدير	عبد الرحمن الثميري	
المحمل	محمد بن مقرن	
الخرج	عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ	
عنيزة وبريدة	عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين	الذي كان في منطقة الوشم
جبل شمر	عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الجبار.	
الحوطة	علي بن حسين آل الشيخ.	
الدواسر	جعان بن ناصر	
المهوف	الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ مبارك	
	والشيخ أحمد بن مشرف في أواخر أيام فيصل بن تركي	
القطيف	محمود الفارسي	
البريمي	ناصر بن علي العريني	

أما عن قضاة عهد الفتنة والحرب بين أولاد فيصل فقد ظل معظم للقضاة في مراكزهم. هذا وكما ذكرنا من قبل فإن الدولة تجزأت بعد احتلال العثمانيين وآل رشيد لبعض أجزائها. وبالنسبة للعثمانيين فقد أعلن مدحت باشا في منشوره أن الدولة سوف

(١) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٨٤ وما بعدها.

- إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٩ وما بعدها.

تعين قضاة على بلدان الأحساء ونجد^(١)، ولكن لم تستطع الدولة دخول نجد بل تركتها تتنازعها الأقدار نتيجة الحروب التي نشبت بين أفراد الدولة من جهة وبين آل سعود وآل رشيد من جهة ثانية.

النظام المالي :

إن النظام المالي في الدولة السعودية الثانية يعني بيت المال، وبيت المال يمكن تقسيمه الى واردات ومصروفات .
أما واردات بيت مال الدولة، فتتكون من الآتي :

- الزكاة :

الزكاة فريضة إسلامية سنها الشرع من أجل الفقراء وكذلك من أجل تقوية الدولة، وقد اهتمت الدولة السعودية الثانية بأمر الزكاة لأن بيت مالها يعتمد كلياً عليها، لذا فقد شدد فيصّل كثيراً في خطاباتهِ على وجوب دفعها في أوقاتها المحددة^(٢).

والزكاة كانت تؤخذ عن كل ١٠٠ صاع من الحبوب ٥ أصاع أي بمقدار الخمس^(٣)، وكذلك تؤخذ زكاة التمور. وبالنسبة لزكاة البادية فكانت تؤخذ عن الابل والأغنام حسب الوجه الشرعي. أما بالنسبة للمزروعات فكانت تؤخذ من المزروعات التي كانت تسقى بمياه المطر والعيون، فيؤخذ من كل المزروعات نسبة ١٠٪^(٤).

والزكاة عادة تجبى من الإقليم، والمسئول الأول عن جبايتها هو أمير الإقليم فهو يعين وكلاء أو جباة أو محصلين يجمعون الزكاة من إقليمه، وهو بدوره يرسلها إلى بيت المال في الرياض.

(١) منشور مدحت باشا، المؤرخ ١٨ رجب ١٢٨٨هـ.

(٢) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٦٦.

(٣) إذا كانت الأرض تسقى من الأنهار والمطر يؤخذ عنها ١٠٪.

(٤) إبراهيم بن فصيح الحيدري، المرجع السابق، ص ٢١٢.

وإليك جدولاً بمقدار ما كانت تدفعه الأقاليم من الزكاة للدولة زمن حكم فيصل للمرة الثانية :

الأقاليم والبلدان	الزكاة بالريال	ملاحظات عامة
العارض	٥,٠٠٠	
اليامة	٦,٠٠٠	
الحريق	١٠,٠٠٠	
الأفلاج	٢,٠٠٠	
الدواسر	٤,٠٠٠	
السليل	٣,٠٠٠	
الوشم	٦,٠٠٠	
القصيم	١٢,٠٠٠	
الهفوف	١٥٠,٠٠٠	
القطيف	٥٠,٠٠٠	
جبل شمر	١٦,٠٠٠	
مجموع ما يؤخذ من أقاليم الدولة ^(١)		٢٦٤,٠٠٠ ريال

هذا إلى جانب ما كانت تأخذه الدولة من زكاة من القبائل البدوية، وقدرت زكاتها بحوالي ١١٤,٠٠٠ ريال (دولار)^(٢).

هذا إلى جانب ما كانت تدفعه مناطق الخليج للدولة، فقد دفعت مسقط ٦,٠٠٠ ريال، ودفعت البحرين ٤,٠٠٠ ريال، ودفعت شيوخ الساحل من رأس

(١) Palgrave, op. cit., vol.2, pp.84-86.

(٢) Lorimer, op. cit., vol.2, pp.1359-1359.

الخيمة إلى أبو ظبي ١٢,٠٠٠ ريال، ودفعت صحار (القسم الساحلي من عمان) مبلغ ٨٠٠٠ ريال^(١).

والملاحظ أن هذه الإمارات والمشيخيات كانت تدفع الزكاة مادامت الدولة السعودية قادرة على أخذها، وكثيراً ما كانت ترفض هذه الإمارات دفع هذه الزكاة مما يضطر الدولة السعودية أن تأخذها بأسلوب القوة إذا كان بإمكانها.

وعلى كل حال يمكن القول إن الدولة السعودية كانت تتقاضى من الزكاة ما يزيد على أربعمئة ألف دولار سنوياً^(٢) وكان مقدار الزكاة يخضع للتطورات الاقتصادية والسياسية في الدولة، فاحياناً كانت ترتفع وحياناً كانت تنخفض. ويعلل لوريمر أن سبب الانخفاض في مقدار الزكاة يعود إلى الحروب في البلاد^(٣).

- العشور :

وهي الضرائب أو الجمارك التجارية التي تؤخذ على البضائع، وهذه الجمارك كانت موجودة في زمن الدولة الإسلامية الأولى منها عمر بن الخطاب. لذا فقد أخذت الدولة السعودية الثانية الأعشار من البضائع التي تدخل البلاد من الخارج^(٤). وليس لدينا سجلات رسمية تحصى لنا كمية ومقدار العشور التي كانت تجمعها الدولة سنوياً.

- مكاسب المعركة :

وهي ما يؤخذ في المعركة من أسلاب الحرب عند اندحار العدو أو انكساره. وحصة بيت المال تساوي خمس الغنائم وأما الباقي فيتوزع على المحاربين كل حسب كفاءته ورتبته ومقدرته^(٥). وذلك حسب ما نصت عليه الآية القرآنية ﴿واعلموا أن ما

(١) Pelly's Visit to The Wahabee Capital, pp.187, 188.

(٢) Palgrave, op. cit., vol.2, p.85.

— Lorimer, op. cit., vol.2, p.1358.

(٣) Lorimer, ibid., vol.2, p.21.

(٤) Lorimer, ibid., vol.2, p.21.

(٥) ابن بشر، المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٣٧.

غنمتم من شيء فإن لله خمسة للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل».

- ضريبة الجهادية :

وهي ضريبة تؤخذ من السكان كبذل عسكري ، وذلك من أجل تزويد القوات الغازية بالعتاد والمؤن والأسلحة . والذي يدلنا على صحة وجود هذه الضريبة التي تعتبر جديدة من نوعها ما جاء به منشور مدحت باشا بعد احتلال الأتراك للأحساء ، فيذكر المنشور أن الدولة العثمانية لا تفرض على الأهالي سوى الزكاة والأعشار فقط^(١) . وفي إعلان للقائد نافذ باشا لأهالي الأحساء جاء فيه إن «الرسومات التي تؤخذ من الأهالي من قبيل جهادية وخدمات للمأمورين على التحصيل وغيرها مثل الزيادة في الخرس . . قد أمرنا بإلغائها وعدم أخذها»^(٢) وهذه الضريبة الغيت في أيام الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود .

- المصروفات :

كانت واردات الدولة تضيق عن مصروفاتها ، فهي تدفع رواتب الإداريين والقضاة ، وتمنح المنح والهديا للعلماء ، وكذلك تدفع رواتب لبعض قوات الحدود «الحاميات» وكمصروفات للفقراء^(٣) ، وما جاء ذكرهم في الآية القرآنية السالفة الذكر ، هذا إلى جانب بعض المشروعات العمرانية كبناء القصور ومصروفات البلاط والحاشية وما ينفق على دور الأيتام^(٤) .

(١) من منشور مدحت باشا المؤرخ في ١٨ رجب ١٢٨٨هـ .

(٢) من إعلان نافذ باشا المؤرخ في ١٦ جمادى الأولى ١٢٨٨ (أنظر الملحق الخاص بالوثائق) .

(٣) إبراهيم بن فصيح ، المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٤) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٣٨ .

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة

محتوياته

- المجتمع السعودي .
- الزراعة
- التجارة
- الصناعة
- النقود
- الأوزان والمكاييل

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة

الحياة الاجتماعية

- المجتمع السعودي .

ينقسم المجتمع السعودي إلى قسمين من حيث نمط معيشته ومسكنه ، الحضر والبدو . أما الحضر فيتميزون عن البدو في أنهم سايروا ركب الحضارة النسبي وتأقلموا مع جو بيئتهم الحضرية ، وفضلوا عيش الاستقرار على الترحال والأسفار ، فاستقروا وبنوا البيوت من الحجارة والطين ، منها ما هو على شكل طبقات ومنها ذو طبقة واحدة ، محاطة بسور عال حتى لا ترى الحريم فيه . بينما حافظ البدو على حياة الأجداد وبذلك فضلوا البادية على المدينة والقرية ، استهوتهم عيشة الترحال وكثرة الأسفار من مكان إلى آخر طلباً للعيش وبحثاً عن الماء من أجل حياتهم ومواسيهم . وسكنوا في بيت من الشعر صنعوه بأيديهم ، فهم بذلك تحدوا طبيعة الصحراء القاسية وتأقلموا بجوها ورضوا بما منحتهم إياه من أسباب العيش^(١) .

وكان لابد من ظهور بعض الفروق في المجتمع السعودي نتيجة هذا التقسيم ، فالجماعات الاولى (الحضر) عملوا في حقول الزراعة والتجارة والصناعة ، وحافظوا على مستوى معين من التعليم والثقافة . بينما ظلت الجماعات الثانية تعيش حياة غير مستقرة ، تعمل في الرعي ، وقوتها اليومي من اللبن والحليب والسمن والزبد واللحوم ، وهذا ما أعطتهم إياه الأغنام والإبل ، ونتيجة لعدم الاستقرار وظروف الحياة الصعبة عند هذه الجماعة انخفضت نسبة التعليم حتى وصلت الى الصفر ، ومع أنهم جماعات متصفة بحدة الذكاء الا أن ذلك يختفي نتيجة ندرة التعليم والثقافة عندهم . ومع هذا فقد حافظوا على صفاء الإنسان العربي الأصيل من حيث الكرم والشجاعة والمروءة والشهامة والتقيد بالأخلاق والعقيدة .

(١) خير ما يعطينا وصفاً لحياة الحضر والبدو كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، مخطوط ، ص ٤٩٥ ، ٤٩٧ .

- قبائل المجتمع السعودي .

إن كلا من البدوي والحضري في المجتمع السعودي ينتمي الى قبيلة معروف نسبها ، وحافظ كل منهم على صفاء ونقاوة هذا النسب بقدر الإمكان ، ومع هذا لا يخلو المجتمع المذكور من أخلاط شتى من العجم والهنود والجاويين والتكارنة سكان افريقية الغربية .

وأهم قبائل هذا المجتمع هي :

- القبائل التي تقطن أواسط وشمال نجد وهي :

عنزة ، وتنسب الى أسد بن ربيعة وتعتبر من أكبر قبائل الجزيرة على الإطلاق ، تقطن في نجد والحجاز ووادي السرحان وفي البادية السورية في الشمال حتى حمص وحماة وحلب ولها عدة أفخاذ خارجة عن جزيرة العرب . ويعود نسب آل سعود الى هذه القبيلة العدنانية^(١) .

عتيبة ، وهي من القبائل ذات العدد الكبير، تأتي بعد قبيلة عنزة، وهي من أقوى قبائل المنطقة الوسطى (نجد) ويكاد لا يزاها أحد في السلطة، تقطن في منطقة ممتدة من سفوح جبال الحجاز الشرقية الى مكان يدعى الخرابين درب (طريق) الحج ونجد، هذا من الغرب والشمال . أما من الجنوب فتصل حتى ديرة سبيع والقبائل الجنوبية، ويبلغ عدد التابعين للدولة حوالي ١٢,٠٠٠ نسمة^(٢) .

مطير ، وتدعي هذه القبيلة أنها من مضر، وهي مجموعة من القبائل المتحالفة منها

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ١٧٠ .

- إبراهيم الحيدري، عنوان المجد، ص ٢٠٥ .

(٢) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٧٩ .

- إبراهيم الحيدري، نفسه، ص ١٩٢ .

Palgrave, op. cit., vol.2, p.84. -

Lorimer, op. cit., vol.2, p.176. -

القحطاني والعدناني، تقطن هذه من حدود الكويت حتى منطقة القصيم غربا
والى ديار العجمان وبين خالد جنوبا. ويبلغ عدد التابعين لآل سعود حوالي
٦٠٠٠ نسمة.

حرب ، وهي قبيلة قحطانية في الغالب، وهي من أحلاف عدة وليست منحدره من
سلالة واحدة، تقطن في نجد والحجاز، وديرتها تمتد من جنوب بندر ينبع
والقنفذة وتمتد شرقا الى داخل نجد قرب وادي الرمة، ومن الجنوب حتى
درب الحج من بريده الى مكة. وعدد التابعين لآل سعود ١٤,٠٠٠
نسمة^(١).

شمر ، وهي مجموعة من القبائل ترجع الى طي القحطانية تقطن شمال نجد في منطقة
جبل شمر من جبلي أجا وسلمى حتى القصيم، ومن هذه القبيلة ينحدر آل
رشيد حكام حائل وجبل شمر، وعدد التابعين للدولة السعودية في عنقوان
شبابها ٨٠,٠٠٠ نسمة تقريبا كانوا تحت حكم آل رشيد التابعين لآل
سعود^(٢).

الشرارات ، قبيلة تقطن في شمال نجد وتتخطى حدود شبه الجزيرة الشمالية وتدخل بلاد
الشام، وهي من عدة فروع، ويبلغ عدد التابعين لجبل شمر ثم آل سعود
حوالي ٤٠,٠٠٠ نسمة^(٣).

الحويطات ، وتقطن هذه في منطقة تيماء في الشمال وتصل حتى الكرك في الأردن وتمتد
الى وادي السرحان حتى خليج العقبة وسيناء، وهي من ثلاث بطون^(٤).

(١) إبراهيم بن فصيح الحيدري، نفسه، ص ٢٠٦.

- فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٢) Palgrave, op. cit., vol.2, p.86.

- فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٦١.

(٣) فؤاد حمزة، نفسه، ص ١٥٧.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.86.

(٤) فؤاد حمزة، نفسه، ص ١٤٤.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.86.

بنو عطية، وتعرف باسم العطاونة والمعازة نسبة الى معز بن أسد أخي عنز صاحب عنزة. وتقطن هذه في الشمال من حرة العويرضي حتى حرة المواهيب وهي من عشرة عشائر. ويتنسب منها لطاعة آل سعود حوالي ٦,٠٠٠ شخص^(١).

معاذوطي والوهادية، وهي قبائل تقطن الشمال وعدد من يتبع آل سعود من الاولى ٤٠٠٠ نسمة ومن الثانية ٨٠٠٠ نسمة ومن الثالثة حوالي ٨٠٠٠ نسمة^(٢).

هذا عن أهم قبائل نجد في الوسط والشمال، أما عن أهم القبائل التي تقطن الجنوب من بلاد نجد فهي كالاتي :

الدواسر، وهي متحضرة نسبيا ومنتشرة في ربوع منطقة الدواسر والأفلاج في الأقاليم الجنوبية من الدولة السعودية. وهي مشكلة من أحلاف ينتمون لعدنان وقحطان^(٣). ويقدر رعية آل سعود بحوالي ٥,٠٠٠ نسمة.

سبيع، تقطن وادي سبيع في الجنوب من اطراف عسير الشرقية الشمالية ونجد قرب إقليم الوشم وتمتد غربا الى وادي تربة ورنية. وعدد رعية آل سعود يبلغ حوالي ٣,٠٠٠ نسمة^(٤).

قحطان، وهي من أقدم القبائل العربية، محافظة على العادات والتقاليد العربية الموروثة، تقطن ما بين نجران وعسير وجنوب نجد، وهي قبائل متحضرة

(١) Palgrave, ibid., vol.2, p.86.

ـ فؤاد حمزة، نفسه، ص ١٤٨.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.86. ـ

(٢) Palgrave, op. cit., vol.2, p.86.

(٣) الحيدري، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.84. ـ

(٤) الحيدري، المرجع السابق، ص ٣٠٥.

فرع منها في نجد والآخر في عسير، وأما من يتبع منهم رعوية آل سعود زمن الدولة المذكورة فيقدرون بحوالي ٦٠٠٠ نسمة^(١).
السهول، وهي قليلة العدد ومنتشرة في أطراف الرياض وسائر أنحاء منطقة العارض، أي تنتشر في قلب الجزيرة (نجد)^(٢).

الفضول، وهي تدعي أنها من بني خالد، غير أن نسبها الصريح يتصل بطي وتقطن منطقة العارض والحريق والحوطة في الجنوب^(٣).

أما عن القبائل التي تقطن في الشرق فهي كالآتي:

العجمان، وهي بدوية، تقطن في ساحل الخليج وتنتقل بمواشيها في منطقة واسعة في المنطقة الشرقية، ولها أفخاذ كثيرة، تصل أحيانا في ترحالها إلى إقليم الخرج جنوب مدينة الرياض. وتعتبر هذه القبيلة من القبائل المحبة للغزو متفقة بذلك مع أبناء عمها آل مرة. وينسب منها حوالي ٦٠٠٠ نسمة لرعوية آل سعود^(٤).

آل مرة، من القبائل العربية القديمة المعروفة بشدتها، وهي بعيدة تماما عن الركب الحضاري، تقطن ما بين الأحساء والرياض حتى الخرج وتصل شرقا إلى بندر العقير على الخليج العربي وإلى منطقة الجافورا وواحة يبرين من الأجزاء الشرقية، وتنحدر إلى أواسط الربع الخالي في بعض الأحيان، وهي من ثلاثة أفخاذ. ويبلغ عدد رعوية آل سعود منهم حوالي ٤٠٠٠ نسمة^(٥).

(١) Palgrave, op. cit., vol.2, p.84.

— فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٢) الحيدري، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٣) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٨٧.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.187. —

(٤) Lorimer, op. cit., vol.2, pp.1355-1356.

(٥) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٩٤.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.84. —

بنو هاجر، وهي قبيلة فحطانية تقطن جنوب ديرة العجمان حتى قطر، ولها أفخاذ كثيرة ويبلغ عدد رعايا آل سعود فيها حوالي ٤٥٠٠ نسمة^(١).

بنو خالد، من أقدم القبائل العربية المعروفة، ولها عدة بطون ضد آل سعود فرع آل حميد ومنهم آل عريعر المشهورون بحروبهم ضد آل سعود في الدولة السعودية، ويقال إنهم ينتسبون إلى عقيل بن عامر، ويقول فيهم الشاعر ابن مشرف:

فلا تنس جمع الخالدي فانهم قبائل

شتى من عقيل بن عامر^(٢)

المناصير، وهي قبيلة تسكن الربع الخالي ولهم فرع في عمان وآخر في قطر، وهم أكثر حضارة من آل مرة ولكنهم أقل بأسا منهم، وهي من عدة أفخاذ^(٣).

الظفير والعوازم، فالأولى تقطن بين العراق ونجد وعدد أفرادها في السعودية قليل. أما الثانية فهي من القبائل المشكوك بنسبها، إذ أنها ليست من القبائل العربية الصريحة الدم، كما أن القبائل العربية لاتعترف بها من حيث أصالة نسبها. وهي تشبه تماما الصلبة في بلاد نجد، وتقطن هذه قرب ديرة مطير والعجمان، أي بين الكويت وساحل الخليج، وهي تتألف من فخذين رئيسيين^(٤).

وهكذا نكون قد أوردنا مع بعض التوضيح القبائل الهامة من سكان الدولة السعودية الثانية، كما بينا عدد هذه القبائل من وجهة الإحصاء التقريبي، واعتمدنا في ذلك على بلجريف الذي زار الدولة كما أشرنا من قبل وبالطبع فإن بلجريف لم يجر إحصاء لهذه القبائل وإنما استقى معلوماته من ألسنة المسؤولين في شمر وحایل والرياض والأحساء، لذا كانت تقديراته قريبة نسيا من الصحة، والسبب في ذلك يعود لعدم

(١) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.84. -

(٢) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٤٦.

Palgrave, op. cit., vol.2, p.84. -

(٣) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٤) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٨٣.

توافر الإحصاءات الدقيقة في ذلك الوقت . ونلاحظ أن بلجريف أعطانا إحصاء تقريبا لعدد سكان البدو فكان حوالي ١,٤٩٠,٠٠٠ نسمة كما أعطانا عددا لسكان الحضر فكان حوالي ٢٥٢,٥٠٠ نسمة^(١).

واليك جدولا بتوزيع الأقاليم وعدد البلدان التابعة لكل إقليم ثم عدد سكانه :

الإقليم	عدد بلدانه وقراه	عدد سكانه	ملاحظات عامة
العارض	١٥	١١٠,٠٠٠	
اليامة	٣٢	١١٠,٠٠٠	
الحريق	١٦	١٤٠,٠٠٠	
الأفلاج	١٢	٤٥,٠٠٠	
وادي الدواسر	٥٠	١٠٠,٠٠٠	
السليل	١٤	٣٠,٠٠٠	
الوشم	٢٠	٨٠,٠٠٠	
سدير	٢٥	١٤٠,٠٠٠	
القصيم	٦٠	٣٠٠,٠٠٠	
الأحساء	٥٠	١٦٠,٠٠٠	
القطيف	٢٢	١٠٠,٠٠٠	
جبل شمر	٤٠	١٦٢,٠٠٠	
الجوف	١٢	٤٠,٠٠٠	
خير	٨	٢٥,٠٠٠	
أعالي القصيم	٢٠	٣٥,٠٠٠	
تيما	٦	١٢,٠٠٠ ^(٢)	
مجموع قرى وبلدان	٤٠٢	١,٤٩٠,٠٠٠	
أقاليم الدولة ومجموع سكانها			

(١) Palgrave, op. cit., vol.2, pp.84-86.

(٢) أخذ هذا الإحصاء عن : Palgrave, op. cit., vol.2, pp.84-68.

وإليك جدولاً بأسماء قبائل الدولة وعدد أفرادها

القبيلة	عدد أفرادها
العجمان	٦,٠٠٠
* بنو هاجر	٤,٥٠٠
بنو خالد	٣,٠٠٠
مطير	٦,٠٠٠
عتيبة	١٢,٠٠٠
دواسر	٥,٠٠٠
سبيع	٣,٠٠٠
قحطان	٦,٠٠٠
حرب	١٤,٠٠٠
عنزة	٣,٠٠٠
آل مرة	١٤,٠٠٠
عائلات متفرقة	١٠,٠٠٠
شمر	٨,٠٠٠
الشرارات	٤,٠٠٠
الحويطات	٢,٠٠٠
بنو عطية	٦,٠٠٠
معاذ	٤,٠٠٠
طسي	٨,٠٠٠ ^(١)
مجموع أفراد القبائل التابعة للدولة	٢٤٤,٥٠٠

(١) أخذت هذه المعلومات عن: Palgrave, op. cit., vol.2, pp.84-86.

أعمال السكان :

كان سكان الدولة يعملون إما في الزراعة وإما في التجارة أو الرعي أو الصناعة اليدوية . ويكثر السكان الذين يعملون في الزراعة في الواحات المتعددة في البلاد كواحة الخرج وسدير والقصيم والأحساء والقطيف والأفلاج والدواسر، وفي الشمال في جبل شمر حيث كثرة الأمطار لارتفاع المنطقة . ويعود هذا لأن الواحات تتوافر فيها عوامل وجود الزراعة كالماء الكثير والتربة الصالحة . وأما عن الرعي فيكثر في المناطق العشبية ذات الماء المتوافر في مناطق البادية وبعض أجزاء من الصحراء . ويقتصر هذا العمل على رجال البدو . وأما عن التجارة فمتوافرة في المدن والبلدان الكبيرة نوعاً ما والتي تقع على الطرق التجارية أو طرق قوافل الحجيج كالأحساء والرياض وبريدة وعنيزة وحائل^(١) . وبالنسبة للعمل الصناعي اليدوي فهو متوافر في المدينة والبلدة أكثر من القرية والبادية . كما أن العاملين في الحرف كان عددهم قليلاً لأنهم كانوا يحتقرون الحرف كالحدادة والنجارة وغيرها^(٢) .

العادات والتقاليد :

إن العادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمع السعودي كانت مطبوعة بالطابع الإسلامي وتسائر تعاليم الدعوة السلفية، ومع هذا فإن للبدو طابعا وعادات تميزهم عن الحضر، إذ انتقلت اليهم عادات بواسطة التسلسل من السابق الى اللاحق، فتوارثوها فصارت عندهم كالقانون .

وقد أهمل هذا المجتمع جميع الأعياد ما عدا عيد الفطر وعيد الأضحى وهما ما جاء بهما الإسلام الحنيف . واعتبر سواها من البدع التي دخلت الى الدين الإسلامي^(٣) . وكانت لديهم ألعاب للتسلية منها ركوب الخيل الذي يعتبر عندهم من

(١) Lorimer, op. cit., vol.2, pp75-76.

(٢) Doughty, Travels in Arabia, vol.2, p.373.

(٣) أحمد أمين، المجمع السابق، ص ٥٨ .

أهم ألعاب التسلية وكانوا لا يركبون الا الخيل الأصيلة التي كانت عندهم مكرمة ومعززة فلا يخدمها الا صاحبها بنفسه . ومن تسلياتهم المفضلة الصيد ، وكانت لديهم بنادق صيد تسمى عندهم (التفق أو البندق)^(١) . وكانوا يخرجون جماعات للصيد إما في الصحاري طلبا للأرناب البرية أو للغزلان وإما بين الأشجار في الواحات . وكانوا يخرجون عادة وقت الربيع . ومن الألعاب الأخرى كانت عندهم لعبة الكرة وسباق الأرجل وكذلك المصارعة ، وعندهم العرضة النجدية ، التي ما زالت معروفة الى الآن في نجد ، وهي لا تقام الا في المناسبات الخاصة وقت الأعراس أو بقصد التسلية والترفيه . والعرضة النجدية عبارة عن صف طويل من الرجال يتقدمهم واحد أو أكثر يحمل بيده سيفاً ويقوم برقصات منتظمة أمامهم وهم بدورهم يؤدون واجبهم بشكل حركات منظمة كذلك ، والجميع يتقنون هذه اللعبة^(٢) .

أما عن طعامهم في الحواضر فهو على ثلاث وجبات منها الإفطار وفيه يتناولون السوائل كالشاي والقهوة أو اللبن مع بعض التمور أو العسل ، ويدعون ذلك في نجد (بالتريق) وأما في الغداء فهم يتناولون الأرز المطبوخ باللحم أو الكبسة وهي أرز باللحم ، وأحياناً عندهم أكلة الهريس والجريش (الفريك) ، وأحياناً يأكلون المرقوق والقرصان وهو نوع من الثريد ، والخضرة الغالبة عندهم هي القرع . وطعام العشاء يكون في الغالب من أنواع الطبخ .

أما عن البدو فوجباتهم تختلف بحسب حال الإنسان الشخصية ، ويكون العشاء عندهم من الوجبات الرئيسية .

وبالنسبة للمشرب ، فعندهم القهوة السادة (بدون سكر) وهي مفيدة كعملية هضم خاصة بعد ما يأكلون الكثير من الكبسة أو الهريس أو الفريك . الخ . والقهوة عندهم لا تحرق حتى تسود ، بل تبقى محافظة على لونها الأصفر . ويكثر من الهيل الثمين

(١) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٥ .

(٢) أخذنا هذه الألعاب وأنواع التسلية المذكورة عن فضيلة الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال الذي عمل في القضاء مدة أربعين سنة في مدن مختلفة في السعودية .

عليها، وأحيانا يضيفون عليها الزعفران أو القرنفل، وتقدم على شكل قطرات قليلة في الفنجان وعلى عدة مرات حتى يهز الضيف الفنجان.

وأما عن لباسهم فهو اللباس العربي الأصيل، ثوب طويل أبيض اللون وعليه في غالب الأحيان «الجاكتة» وعلى الرأس غترة بيضاء أو مخططة، ويلبس عليها العقال (الشطافة) ويكون مصنوعا من الصوف أو الحرير، ويرتدي الفرد فوق الجميع عباءة أو ما يدعى عندهم بالمشلح^(١).

ومن حيث الحالة الصحية في هذا المجتمع، فهي ذات مستوى منخفض، إذ يندر أن تجد في المدينة طبيبا أو مستشفى، وخير ما يؤكد لنا صحة هذا أن الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي لما نقل الى حائل ليعيش فيها كأسير عند محمد بن رشيد، مرض هذا الإمام ولم يكن هناك طبيب يعرض عليه، سوى ان الامير ابن رشيد اغتنم فرصة مرور طبيب فارسي مع قوافل الحجيج فعرض عليه المرض وقرر أنه مصاب بمرض خطير^(٢). وكان يدخل البلاد بعض الأطباء الاوربيين منهم من يأتون على شكل رحلة أو لغاية سياسية كرحلة بلجريف^(٣). أو قد يكون ممثلا لجمعية من الجمعيات التبشيرية في البلاد الأوربية أو العربية. لذا فقد انتشرت الأمراض الكثيرة كالحمى والملاريا والتيفوئيد^(٤). وغيرها من الأمراض الفتاكة في ذلك الوقت وبخاصة مرض الطاعون والكوليرا والجذام.

التعليم:

إن الحياة العلمية في الدولة السعودية الثانية كانت لاتتعدى العلوم الدينية كالفقه

(١) خير ما يعطينا صورة صادقة عن عادات المجتمع السعودي، هو عبدالله عبدالجبار في كتاب التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية، ص ١٢٧-١٢٩.

(٢) Armstrong, Lord of Arabia, p.24.

(٣) Palgrave, op. cit., vol.2, p.119.

(٤) Lorimer, op. cit., vol.2, p.75.

والتوحيد والتفسير والقراءات وبعض العلوم اللغوية والاجتماعية الأخرى كالنحو والصرف وعلم الكلام والتاريخ الى جانب المرحلة الدراسية الأولى كالقراءة والكتابة . اما بالنسبة للعلوم العصرية فقد كانت نادرة في البلاد .

ونتيجة ذلك ظهرت في البلاد مجموعة من الشيوخ والعلماء الأفاضل ، لهم كتب ورسائل وفتاوى في أمور الدين ، وكان على رأس هؤلاء أسرة آل الشيخ في نجد وهي صاحبة الزعامة الدينية في البلاد ومن علمائها المعاصرين لفترة بحثنا ، الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب وأخوه عبد الملك وكانا من قضاة جنوب نجد كالحريق والحوطة ، وهناك كذلك عبدالرحمن بن حسن بن عبد الوهاب وحمد بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أسرة آل الشيخ التي ساهمت في نشر التعليم الديني في البلاد .

وظهر علماء أفاضل كان لهم كذلك أثر في نشر التعليم في البلاد ، ومن علماء نجد المشهورين عثمان بن منصور من علماء سدير ، وعثمان بن عبد الجبار ، وعبدالرحمن الثميري من المجمععة ، وحمد بن عبدالعزيز الدوسري من بلدة ثادق ، وسليمان بن بليهد من البكيرية ، وإبراهيم بن عيسى وقد اختص بالتاريخ وله كتاب عقد الدرر ، وبعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان . وقد أفاد بكتاباته هذه الجميع فائدة كبيرة لأن تاريخه يعد مكملًا لابن بشر عن تاريخ نجد وتوابعها . وكذلك الشيخ المؤرخ النجدي عثمان بن بشر ، صاحب كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد الذي أخذنا عنه الكثير ، وهذا الشيخ من المؤرخين المدققين . وفي الشمال اشتهر العالم عبدالعزيز المرشدي في بلدة حایل^(١) . أما في المناطق الشرقية ، فقد اشتهرت في الاحساء أسرة آل مبارك وعلى رأسها العالم الفاضل عبداللطيف بن الشيخ آل مبارك ، وهو مالكي المذهب ، ومن قضاة الامام فيصل في مدينة الاحساء مركز المنطقة الشرقية ، وتوفي في عام ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ) . وظهر من أفراد هذه العائلة عدد من العلماء حافظوا على سمعة بيتهم العلمي نذكر منهم محمد المبارك وعبدالعزيز المبارك وعبدالرحمن المبارك . وهناك العالم والشاعر المعروف بديوانه ، وهو ابن مشرف ، عالم مالكي وله ديوان شعر

(١) أخذنا أسماء هؤلاء العلماء من فضيلة الشيخ الفاضل محمد بن عبد المحسن الحيال . الذي أشرنا إليه في مجال آخر .

عرف باسم «ديوان ابن مشرف» ومنظومة في الفقه تدعى (غرر الفتاوى) واشتهر في الإقليم كذلك محمد بن عبدالرحمن بن كثير وغيرهم من علماء الأحساء^(١).

هذا الى جانب عدد كبير من علماء الشيعة في القطيف وسيهات وتاروت وغيرها من مراكز الشيعة في الدولة. ومن العائلات الشيعية المشهورة بالعلوم الدينية عائلة آل عمران وآل عبدالجبار وهاتان العائلتان تقطنان بلدة القطيف. ومن العلماء كذلك الشيخ سلمان آل عبدالجبار وناصر الجارودي ومحمد بن عبدالجبار وأحمد بن صالح طوق ومحمد بن نمر ومن اللذين عملوا في الأدب والعلم محمد أبو عزيز وأحمد بن صالح القديمي وعبدالمحسن التاروتي وغيرهم^(٢).

ومهما يكن في الأمر فقد انتشرت المدارس (الكتاتيب) في مدن وبلدان الدولة. فقد وجدت فيها مجموعة من كتاتيب القراءة والكتابة، وبعض الكتاتيب العليا الخاصة بتدريس العلوم الدينية والاجتماعية واللغوية^(٣).

ويذكر الألوسي أن الأحساء كانت تضم عشرين مدرسة تعلم الصبيان حفظ القرآن والقراءات والتجويد، بجانب بعض العلوم العصرية كالْحساب، وفيها ثلاثون مدرسة أخرى كانت تدرس العلوم العربية والدينية^(٤). حتى أن زويمر (Zwemer) حل مسؤولية انخفاض نسبة التعليم في المنطقة الشرقية فيما بعد عام ١٨٧١ م (١٢٧٨ هـ) الى وجود الحكم التركي في المنطقة التي سيطر عليها بعد الحرب الأهلية بين أولاد فيصل، وذكر هذا بأن الاتراك اهتموا التعليم ولم يبق من المدارس في عام ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) الا ثلاثة مدارس فقط. وكان عدد المتعلمين في الإقليم حسب إحصاءات الأتراك ٣٤٥٠ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ٢٥٠,٠٠٠ أي ان نسبة

(١) أخذنا أسماء هؤلاء العلماء من الشيخ الفاضل يوسف بن راشد المبارك، وهو مدير المكتبة القطرية في الأحساء.

(٢) محمد المسلم، ساحل الذهب الأسود، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) أشار الكاتب "Armstrong" في كتابه "Lord of Arabia" ص ٢٠ إلى وجود المدارس في الرياض.

(٤) الألوسي، المرجع السابق، ص ٣٨.

المتعلمين لا تتجاوز ١٥ ٪^(١). ويذكر مؤرخ الخليج «لوريمر» أن التعليم في منطقة القصيم كان منتشرا ومتقدما نسبيا نتيجة وقوع الإقليم على الطرق التجارية، فيذكر أن عدد المدارس في بلدة بريدة كانت سبعا تدرس فيها القراءة والكتابة والأمور الدينية واللغوية الأخرى. وفيها خمس مدارس للبنات، تعلم كذلك القراءة والكتابة وبعض أنواع التدبير المنزلي كالخياطة، وكانت توجد في بلدة عنيزة أربع مدارس منها واحدة للبنات، هذا الى جانب التعليم المنتشر في المساجد بعد انتهاء الصلوات^(٢).

ويمكن القول إنه كانت في البلاد السعودية حركة تعليمية دينية لغوية اجتماعية ولكن كانت بصورة نسبية ولا تتعدى نطاق مجتمعيها. وليس لدينا في الواقع من المراجع الكثيرة التي تكتب عن التعليم في حقبة بحثنا هذا، لذا فقد اضطررنا ان نستعين ببعض رجال العلم الثقة في البلاد السعودية.

المرأة في المجتمع :

إن المرأة السعودية امرأة محتشمة تتمشى مع تعاليم الدين الحنيف. فهي لا ترى في النهار الا نادرا^(٣). أما بالنسبة للنساء البدويات فيمكن رؤية وجهها لانها لا تغطيه مثل المرأة النجدية أو امرأة الخليج، حتى ان كثيرا من النساء البدويات يارسن البيع والشراء في الاسواق العامة في بلدان الدولة. وعلى كل فإن لباس المرأة السعودية الحضرية أو البدوية لباس محتشم يغطي جميع الجسم ماعدا اليدين والقدمين، وتلبس فوق ذلك عباءة سوداء.

والمرأة السعودية لا تجتمع بالرجال بتاتا إلا اذا كانت محجبة، ماعدا الازواج أو المقربين المحرمين بالنسبة للمرأة. وفي كل بيت من بيوت العائلات السعودية القديمة وحتى الآن بيت خاص للحريم وآخر للرجال^(٤).

(١) Zwemer, Arabia The Cradle of Islam, p.117.

(٢) Lorimer, op. cit., vol.2, p.75, 326.

(٣) Lorimer, op. cit., vol.2, p.75.

(٤) دليل مصر والمملكة السعودية، ص ٥٦٨.

وقليل من النساء السعوديات من تعرف الكتابة والقراءة، وكانت نسبة مدارس البنات تصل الى الصفر في ذلك الوقت، حتى أن الحكومة السعودية الحديثة لاقت الكثير من الصعوبات عندما افتتحت أول مدرسة للبنات^(١).

وللرجال الحق في الزواج من أربع زوجات على أن يعدل بينهم وإلا فواحدة وهذا ما جاء به الشرع، بالإضافة الى الجواري التي كانت تكثر في البلاد (وماملكت ايمانكم). لذا فان تعدد الزوجات في نجد شائع، وقل ان تجد رجلا لم يتزوج أكثر من امرأة. كما قل أن تجد في نجد والأقاليم الشرقية والشمالية من الدولة امرأة لم تتزوج باكثر من رجل، ولا يرى كل من الرجال أو النساء في ذلك غضاضة^(٢).

وبهذا نكون قد اكملنا بحثنا الاجتماعي عن شعب نجد وتوابعها في الشمال والشرق وهو جزء من الحياة الاجتماعية العامة في شبه الجزيرة العربية حيث تتقارب العادات والتقاليد والثقافة والتعليم..

الحياة الاقتصادية :

تشمل الحياة الاقتصادية جميع مرافق البلاد الزراعية والتجارية والصناعية ويتبع ذلك طرق التجارة والنقود التي يتداولها الناس ثم المكاييل والموازين في البلاد.

الزراعة :

تكثُر في البلاد التي شملتها الدولة الواحات الزراعية كواحات القطيف والأحساء والدواسر والأفلاج والخرج والوشم وسدير والقصيم، إلى جانب الأراضي المرتفعة الصالحة للزراعة كبلاد جبل شمر، ففي هذه الأقاليم الزراعية غدت نسبة السكان الذين يعملون في الزراعة عالية.

(١) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص ٤٨١.

(٢) أمين سعيد، ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، ص ١٢٤.

- دليل مصر والمملكة السعودية، ص ٥٦٨.

والزراعة متوقفة على الحنطة والشعير والذرة والسمسم والأرز من حيث أنواع الحبوب . أما الخضروات فوجدت الأنواع الكثيرة كالطماطم والبطاطا والقرع والخيار . الخ . أما زراعة أشجار الفواكه فتكثر في الأراضي المرتفعة إلى جانب نسبة قليلة من الواحات المذكورة، ومن الفواكه المتوفرة «البرتقال والليمون والتين والعنب والبطيخ والشمام وغير ذلك» . وأهم مزروعات البلاد أشجار النخيل ، لأن النخيل يحتاج إلى مياه كثيرة وإلى جو حار، وهذا متوافر في بلاد جزيرة العرب لذا فقد إهتم السكان بزراعة النخيل وبخاصة أنه يعتبر من الأغذية الهامة عندهم^(١) .

أما عن طريقة الزراعة عندهم فهي طريقة بدائية، إذ يستعملون المحراث الخشبي في الحراثة تجره الإبل ، لذا كانت الإبل من الحيوانات الرئيسة التي يعتمد عليها في البلاد . ومع هذا كانت تكثر عندهم أنواع أخرى من الحيوانات غير الجمال مثل الخيول والحمير^(٢) . إذ أن الاحساء تشتهر بحميرها الكبيرة الحجم والبيضاء اللون وتدعى بالحساوية نسبة للمنطقة، هذا إلى جانب الماشية والأغنام .

التجارة:

تأتي التجارة في الدرجة الثانية بعد الزراعة، والتجارة كانت على نوعين، تجارة داخلية وتجارة خارجية . أما الداخلية فهي عمليات البيع والشراء في أنحاء بلاد الدولة ، تتمثل هذه بالدكاكين والمحلات التجارية والأسواق التي تنشر في كل مدن وبلدان الدولة . وقد توافرت في الأسواق معظم الحاجيات كالمواد الغذائية والملابس والبضائع الأخرى الكمالية كأنواع الصياغة الفضية والذهبية . الخ .

أما عن التجارة الخارجية فكان سكان الأحساء والعارض والقصيم وشمر يجوبون بلاد الخارج من أجل التجارة، وكانت عندهم رغبة ملححة في السفر^(٣) . فتاجروا مع الهند

(١) مجلة لغة العرب، ج ٢، عن شهر شعبان ١٣٢٩ / آب ١٩١١ م.

Lorimer, op. cit., vol.2, p.1354. -

(٢) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص ٣٩٧.

(٣) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص ٥١٣.

بالخيول وجلبوا البضائع منها كالبن والسكر والهيل والقرنفل والفلفل والكركم، وكل هذه البضائع مرغوبة عند الأهالي^(١). وكانت البضائع تأتي عن طريق القطيف أو البحرين أو العقير وعن طريق بنادر اليمن^(٢)، وكان للتجارة في الدولة وكلاء في البصرة وجدة وصنعاء والبحرين والكويت وغيرها من البنادر التي تمر فيها التجارة. ومنهم من كان يتاجر مع اليمن وتأتيهم البضائع عن طريق الدواسر في جنوب نجد بعد أن تأتي من صنعاء إلى نجران. وأهم تجارتهم من هذه المنطقة كانت القهوة واللادن كما جلبوا الطباق (التبغ) من بلاد فارس مع ان التبغ كانت تحاربه الدعوة السلفية بشكل قاطع^(٣).

ومنهم من تاجر مع بلاد الشام والعراق ومصر، لذا يمكن القول إن البضائع المتنوعة كانت تعم أسواق الدولة منها المحلي ومنها المستورد من الخارج. ولا بد لنا من ذكر طرق القوافل التي كانت تنتشر في ربوع الدولة وتصلها بالخارج.

أولا : طريق تأتي من الأجزاء الشرقية من الدولة، من الأحساء إلى الرياض ثم إلى مكة المكرمة، وكانت القوافل التجارية وقوافل الحجاج الآتية من فارس وأحيانا من بلاد العراق تسلك هذه الطريق.

ثانيا : طريق من الكويت إلى بريدة في القصيم ثم إلى مكة وهي طريق تأتي من الشرق تقطع الأجزاء الشمالية من أراضي الدولة حتى القصيم وتتابع مسيرتها إلى مكة.

ثالثا : طريق من النجف ثم الزبير ثم الكويت إلى حائل، وهذه الطريق تدعى بدرج السلطاني وقد سلكت هذه الطريق الليدي آن بلانت Anne Blunt عندما زارت شمر مع زوجها عام ١٨٧٩م وكتبت كتابها المشهور Nejd Pilgrimage to

(١) Lorimer, op. cit., vol.2, p.1356.

- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص ٨١٤.

(٢) Lorimer, op. cit., vol. 2, p.1356.

- لمع الشهاب، ص ٥١٥.

(٣) Pelly's Visit to Wahabee Capital, p. 188.

(حجاج إلى نجد) أو (رحلة إلى نجد) حسب ترجمة محمد أنعم غالب الذي ترجم جزءاً من الكتاب إلى العربية تحت إشراف دار اليمامة السعودية التي تصدر مجلة العرب ومركزها الرياض .

رابعا : وهناك طريق من الزبير في العراق إلى بريدة في القصيم .

خامسا : طريق من الجوف في الشمال إلى حائل في جبل شمر، وهذه الطريق تصل جزيرة العرب ببلاد الشام^(١) .

أما الطرق الداخلية التي كانت تسير فيها القوافل فكانت كالآتي :

أولا : من حائل إلى بريدة وعنيزة في القصيم وهي من الطرق المهمة في مواصلات نجد لأنها تربط عاصمة جبل شمر ببلدان القصيم الرئيسة .

ثانيا : طريق من حائل إلى القصيم تربط الأجزاء الشمالية بوادي حنيفة وعاصمة البلاد .

ثالثا : طريق من الرياض إلى الأحساء، وأخرى من الأحساء إلى وادي الدواسر في الجنوب، وثالثة من الدواسر إلى الرياض^(٢)

وظلت هذه الطرق عبارة عن طرق داخلية تربط أجزاء البلاد بعضها بعضاً، ولم تكن الطرق معبدة، وإنما كانت طرقاً معروفة لدى المسافرين إذ يسافرون جماعات وذلك خوفاً من اعتداء قطاع الطرق من البدو، ومع أن الدولة كانت شديدة عليهم وحريصة على استتباب الأمن إلا أن الحوادث الكثيرة تثبت اعتداء البدو على القوافل التجارية

(١) أنظر : Lorimer, op. cit., 2 pp.1315-1333.

Great Britain, Foreign Office, Arabia p.43. -

(٢) Lorimer, op. cit., vol.2, pp.1331-1345.

الداخلية والخارجية وحتى على قوافل الحجاج.

أما بالنسبة للطرق المائية للدولة فكان لها منفذ على الخليج العربي كبنادر العقير والدمام والقطيف، وأحياناً كانت تأتي البضائع من الغرب والجنوب عن طريق البحر الأحمر بواسطة بنادر جدة وينبع والقنفذة، لكن سلامة هذا الطريق كانت تعود إلى علاقة الدولة السياسية بالأجزاء الغربية.

الصناعة:

لم تكن الصناعة في الدولة تتعدى الحرف المهنية البسيطة، أو ما يحتاج إليه الناس في حياتهم اليومية كالصياغة والحداة والنجارة والمصنوعات الفخارية، وكان الأهالي يعيرون العمل في الصناعة^(١). وإن أهالي المنطقة يفضلون العمل بالزراعة أو بالتجارة أو بالرعي على أن يشتغلوا في الحرف، وربما يعود ذلك إلى ما في عمل الصناعة من أسلوب الخدمة للغير، لذا فمعظمهم يترفع عن القيام بأي عمل صناعي أو حرفة يدوية، لهذا كانت نسبة العاملين في الصناعة قليلة وتجدهم دائماً من أصحاب الجنسيات الأجنبية الخارجة عن جزيرة العرب بشكل عام.

النقود:

كانت النقود المتداولة بين الناس في الدولة نقوداً أجنبية خارجة عن الدولة، وحاول آل سعود أن يضربوا النقود العربية الخالصة إلا أنهم لم ينجحوا. ومن بين النقود المتداولة عندهم قديماً نقد يدعى الطويلة^(٢). وهي من فضة ومن نحاس، وطبعاً قيمة الطويلة الفضية أثمن من الطويلة النحاسية لاختلاف المادة المصنوعة منها. وعندهم كذلك الريال والمثقال ويساوي (٥) جرامات فضة^(٣).

ومن النقود المتداولة عندهم المتليكات ومفردها متليكة وقد طبعوها بطابعهم الخاص وكتبوا عليها اسم الحاكم ولكنهم فشلوا في المحافظة على استمرار تداول هذا

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٣٢.

(٢) أنظر مقال في مجلة لغة العرب، العدد ٨ للسنة الثالثة في ربيع الأول ١٣٣٢هـ / شباط (فبراير) ١٩١٤م، ص ٣٩٤، ٣٩٥.

(٣) مرعي بن يوسف الحنبلي، غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، ص ٥٠.

النقد الذي حاولوا سكّه، وذلك نتيجة الانقسامات الداخلية في الدولة^(١).

وقد تفضل سماحة الشيخ يوسف بن راشد المبارك مدير المكتبة القطرية بالأحساء فأعطانا معلومات عن النقد المتداول قديماً مثل :-

- الأحمر ويساوي ١/٢ ليرة عثمانية، وهذا يستعمل في بلاد نجد وهو من الذهب.
- والمحمدية، وهي بعض النقد المتداول كذلك في نجد.
- القرش ويساوي ١/٣ ريال فرنساوي. وكنا قد أشرنا أعلاه الى قيمة الريال الفرنساوي.
- البارة، وهي عملة تركية، كانت تستعمل في المناطق الشرقية وبخاصة بعد فتح الأتراك الأحساء.
- المجيدية، وهي عملة تركية استعملها الناس في المناطق الشرقية^(٢). هذا بالنسبة للنقد الذي كان يتداوله الناس في أقاليم الدولة السعودية الثانية.

الأوزان:

توجد في أقاليم الدولة الأوزان التالية :-

- الوزنة وهي عبارة عن ثقل ٦٤ ريالاً فرنساوياً موزونة معاً. وهذه منتشرة في نجد وتساوي ثميناً في الأحساء لأن الأخيرة لاتستعمل الوزنة. وأحياناً كانت الوزنة

(١) مجلة لغة العرب، العدد ٨، السنة الثالثة في ربيع الأول ١٣٣٢هـ / شباط / فبراير ١٩١٤م، ص ٣٩٥.

(٢) من مسودات تتعلق ببحث النقد من إعداد يوسف بن راشد، محفوظة في مكتبته الخاصة بالأحساء.

تساوي وزن ٥٢ ريالاً فرنسائياً والبيع والشراء في نجد كله بالوزنات ما عدا اللحوم فكانت تباع بالنسبة لأعضاء الذبيحة.

- المن ويساوي ٣٣ وزنة في إقليم نجد، وأما في الأحساء فيساوي ٢٤ قياسية والقياسة = ٢٤ رطلاً انجيزياً، والرطل الإنجليزي يساوي عندهم ٤٠ تولة، والتولة تساوي ٢,٥ مثقال أوروبية هندية. أما اليوم فالقياسة تساوي عندهم ١١ كجم. والمن يستعمل لأوزان التمر خاصة.

- القياسة في القديم كانت تساوي ٤ أصواع، والصاع يساوي ٢ ثمين والتمين يساوي ٤ ربعات، والربعة تساوي وزن ١٢ ريالاً فرنسائياً. ويوزن بالقياسة كل شيء.

- الموسمية، خاصة لوزن الأرز ومقدارها (١٠) قياسات. وهناك موسمية خاصة لوزن الحنطة وهي تساوي (١٢) قياسات^(١).

- الميثقال وهذا عرفناه سابقاً ويستعمل لوزن الذهب والفضة وسائر الأشياء الثمينة.

- الصاع، وهو يستعمل لكيال الحنطة وغيرها.

- المد ويساوي ثلث الصاع^(٢) وفي بعض الجهات ربع الصاع.

ونلاحظ أن معظم هذه المكايل المذكورة منحوتة من الخشب حتى تحافظ على بقائها وتكون خفيفة الحمل عند الوزن.

(١) أخذت هذه الأوزان عن الشيخ يوسف بن راشد المذكور سابقاً، وعن مجلة لغة العرب، عدد ٨، السنة الثالثة، ربيع الأول ١٣٢٢هـ (شباط/فبراير) ١٩١٤م ص ٣٩٥.
(٢) مجلة لغة العرب، عدد ٨، السنة الثالثة، ربيع الأول ١٣٣٢هـ/شباط (فبراير) ١٩١٤م ص ٣٩٥.

الملاحق

الوثائق
وشجرة حكام آل سعود
في الدورين الأول والثاني

ملحق رقم (١)

دفتري ٧٤، معية تركي، وثيقة رقم ٤٨٩، ص ٨٠

من الجانب العالي

إلى حبيب أفندي

بما أن فيصل بن تركي شيخ نجد أظهر التمرد بامتناعه عن اعطاء بعض لوازم الجيش، فقد لزم أن يسير عليه رجلاً ومعه الف خيال عربي والف من عسكر البيادة (المشاة) المغاربة، واستحسننا أن يكون ذلك المأمور بالسير عليه اسماعيل بك ضابط المحروسة السابق وكتبنا الى ناظر الجهادية نعلمه بالكيفية فاذا علمتم هذا فان مطلوبنا منكم أن تعدوا ثلاثين شاباً أقوياء البنية من الاغوات القواصة والخدمة الداخلية وتعطوهم مصروفات الطريق ومراتبهم المتركمة لهم إن كان لهم مرتب مستحق وأن ترسلوهم ليكونوا في معية المومي اليه.

في ٢٩ محرم سنة ١٢٥٢هـ^(١)

(١) من الوثائق التاريخية بعابدين.

ملحق رقم (٢)

Major S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay, November 6, 1848, enclosing letter from Moollah Hussein, Agent at Sharjah to Major Hennell, September 24, 1848.
(Bahrein Archives, Book 159, pp. 498-506, Office No. 57. of 1848. Cons. No. 60 of 1848), ARAMCO

رقم المكتب ٨٧ بتاريخ ١٨٤٨
رقم القنصلية ٩٠ بتاريخ ١٨٤٨
من الميجر س. هنل المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي
الى هـ. ملت، المحترم
السكرتير العام للحكومة، بومباي
الدائرة السياسية.

سيدي :

لي الشرف أن أقدم لكم بقصد تعريف صاحب الشرف الحاكم ومجلسه الخلاصة المترجمة المرفقة طية برسالة وصلت من الملا حسين الوكيل الشارقي مؤرخة في ٢٤ سبتمبر (ايلول) وفيها يذكر تفاصيل التحالف الذي يجري عقده بين قبائل عمان بتحريض الشيخ سلطان بن صقر بقصد طرد جنود الشيخ ابن طحنون شيخ بني ياس من منطقة البريمي التي احتلها منذ وقت قصير، ويسرني أن أقول أيضاً إن الملا حسين يذكر أن الخليج الفارسي لا يزال في هدوء وأن البحر خال من القلاقل.

أشك شكاً عظيماً فيما اذا كان سيف بن حمود بن شيخ صحار سيشارك باخلاص في التحالف الذي نظمه الشيخ سعيد بن طحنون شيخ ابو ظبي فحسب بل واعادة السيادة الوهابية الى نجد. فان الهجوم الذي لا رحمة فيه والذي شنه العجاجي وكيل الوهابيين على جوار صحار، واعمال القسوة التي ارتكبتها الجنود النجديون آنئذ لا بد أن تكون عالقة في ذهن شيخ هذه المناطق التي خربها الهجوم ولا بد أن ذلك سيحمله على عدم تقديم المساعدة لاعادة الوهابيين الى عمان.

يبدو أن الشيخ سعيد بن طحنون يظهر حذقاً وهمة في إعداد العدة لمواجهة العاصفة المقبلة وتقول الأخبار الواردة من البحرين إن الحملة النجدية غادرت الاحساء يوم ٢٥ اكتوبر (تشرين الأول) تحت قيادة قائدين معروفين هما مطلق بن بتال وسعد بن مطلق . قيل إن القوة تتألف من ١٤٠٠ هجان ، ٢٠٠ فارس وعدد من الرجالة البدو .

ولكنني أرى أن في هذا مبالغة عظيمة ولست على يقين من أنها غادرت الاحساء فعلا لأن مصدر المعلومات محمد الشيببي (الأمين الخاص للشيخ سلطان بن صقر) ولا يمكن الاعتماد على أقوله .

لي الشرف
التوقيع اس . هنل
المعتمد البريطاني السياسي
في الخليج

ملحق رقم ٣

دفتر رقم ١٩٠٨ أوامر عربي ص ٩٥

صورة الأمر الكريم رقم ٤٢

بتاريخ ٢٥ الحجة سنة ١٢٨٠ هـ

أمر كريم

الى : حضرة الأمير فيصل أمير ولايات نجد

أمر كريم منطوقه غب أهدي تلسيمات زهية زاهرة وأسدي تحيات بهية تبلغها هذه النميقة المعلنة بأكيد المحبة المراسلة المنبأة عن خالص الصحة فالباعث لتحريره هو إلا تبدي بما يجب من المعلوماتية بصحتكم والثاني والاعلام بما نعلم أنه بالمكاتبة عنه تهتز همتمكم المعلومة الى تلقيه والسعي في مقتضياته بما لا يمكن استقصاؤه بالوصف وهو كما لا يخفي حضرتكم ما حل بجهة اليمن من تمرد بعض الأشقياء وما تجمعوا عليه من الشغب والفساد وسلب الراحة والامنية ومن المقرر المعلوم أن درء المفاصد مقدم على جلب المصالح وتلك الجهة وان لم تكن تحت حكومة هذا الطرف لكن بالنظر لو صلة الارتباط بالدولة العلية، يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر ما يمكن في تأديب من تعدى ويغني وسلك سبيل الضلال وغوى هذا فضلاً عن أمر اتحاد الأمم الإسلامية هو بما يعضد أمورها وواجب على الجميع الاتفاق في درء الأشرار والاشقياء وانقيادهم الى طريق الرشيد لأجل الأمن العام ودوام الراحة للرعايا وبداعي هذا المهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور بخصوص وعساكر تقمع هذه الفتنة اخاد نيران تلك الحركة الغير مرضية ومن القديم المأكد ومثبوت انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء ما يلزم لها من الأشغال فزيادة لإظهار ذلك أردنا إحاطة حضرتكم بما حصل به الشروع من هنا وغاية المأمول ان ما يلزم الى العساكر المرسلة من هذه المساعدات من جهة جانبكم سواء كان في أمورهم أو قضاء لوازمهم يصير اجراء بوقته وما يبرز من هممكم هذا المقصد المستحسن يكون داعياً لظهور ثمرات اجتهادكم واعلان نسبة المحبة المأكدة من السابق لهذه الجهة هذا مالزم اعلام حضرتكم به والسلام.

تحريراً.

ختم

اسماعيل صادق^(١)

(١) من دار الوثائق القومية التاريخية بعابدين.

ملحق رقم ٤

إعلان

من نافذ باشا إلى أهالي الأحساء

المرسومات التي تؤخذ من الأهالي قبل هذا من قبيل جهادية وخدمات للمأمورين على التحصيل وغيرها مثل الزيادة في الخرص (*) كون أنها مخالفة لأحكام الشريعة المحمدية ومضرة بحق الأهالي والرعية ومراد الدولة العلية ترفيه أحوال تبعته وزيادة ثروتهم ونعيمهم قد أمرنا بلغوها وعدم أخذها ونهبنا المأمورين بعد تحليفهم على الخرص أن يكون في نصابه وأن لا يكون فيه زيادة أو نقصاناً يوجب ضرر الأهالي وغدر بيت المال وأن لا يأخذوا درهماً واحداً زيادة عن استحقاق بيت المال الشرعي وأن لا يقبلوا من أحد شيئاً لأنفسهم من قبيل خدمة وغيرها كلياً كان أو جزئياً والذي يتبين عندنا أنه ارتكب ذلك فقد أوعدناه بالمجازات الشديدة وحذرناه عن اجرائها وارتكابها غاية التحذير ولأجل اعلام كافة الأهالي وتبشيرهم بهذا الأمر المورث بحقهم الرفاه حررنا هذا لاعلان نسخاً متعددة وأرسلناها ووزعناه على القرى والبلاد ليكون معلوم الجميع خاصاً وعاماً ليؤمنوا من ذلك الخصوص أن لا يعطوا أحداً شيئاً زيادة عن الزكاة والاعشار الشرعية الراجعة الى بيت المال ويستهلوا بالدعوات الخيرية لدوام وبقاء إمام الدولة العلية وأن يشتغلوا بتعمير أملاكهم وتكثير زراعتهم وتوسيع دائرة محاصيلهم وتجاراتهم وأن يكونوا آمنين مطمئنين من كافة الوجوه التي توجب بحقهم الضرر والخسار ليكون معلوم الجميع .

توقيع
نافذ باشا

في ١٦ جمادي الأول سنة ١٢٨٨ (١)

* الخرص : زكاة التمر.

(١) أخذ هذا الإعلان من فضيلة الشيخ يوسف بن راشد المبارك، مدير المكتبة القطرية بالأحساء.

ملحق رقم ٥

من الشيخ عبدالله آل ثاني الى أمير المنطقة الشرقية
الدوحة في ٤ شعبان ١٣٧٤هـ

بن جلوي حفظه الله تعالى ودام بقاءه لجناب الأجل
بن صاحب السمو المعظم الأخ العزيز المحترم .

ثم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وجزيل بره وهباته على الدوام والاستفسار
عن أحوالكم لازالت على المنهج المرضي مستقيمة وعنا ولله الحمد بأجمل الأحوال أوزعنا
الله وإياكم شاكر نعمة ورزقنا جميعا المزيد من فضله وإحسانه . كتابكم الكريم المؤرخ
في ٢٧ رجب وصل أوصلكم الله رضاه . ولقد أسرنا غاية السرور صحة سلامتكم
الغالية لازالت نعم الباري عليكم متوالية وأسمعنا الله عنكم ومنكم ما يسر الخاطر،
بخصوص استفهامكم عننا نعلمه عن حالة العديد وسكانه أدام الله وجودك أن
مالاشك فيه أن جميع من سكن العديد في الماضي منتمون الى رعوية آل سعود وأن
العديد تابعاً لآل سعود ولقد بيننا ذلك في مناسبات عديدة لبعض الرجال الرسميين عن
اعتقادنا ومعلوماتنا هذه في معظم المذكرات ، أما عن سكانه فالذي أذكر أن أول من
سكنه أناس يقال لهم بني حماد والعييدل وهم حادرين من نجد واستقاموا فيه مدة طويلة
وجرى بينهم نزاع وتطور الى قتال بينهم وبعد ذلك خافوا ورحلوا ونزلوا قطر مدة ومنها
تحولوا الى اطراف فارس وهم لاشك حادرين من نجد وانسابهم محفوظة وبعد هذا نزلوا
الكبيسات لما صار بينهم وبين خليفة بن زايد نزاع شديد ورحلوا عنه ونزلوا العديد مدة
طويلة وكانوا تابعين لآل سعود ولم يستطع خليفة يتعرضهم وكان قد نوى غزوهم ولكنهم
استعدوا له بالقتال ولم يستطع غزوهم وكانوا يعرضون استعدادهم لمقابلة خليفة وكانوا
يقولون في شيلاتهم الحربية (عند العويجاء بانضارب البن تحت دولة خليفة) وهذا
العويجاء ورأس العديد يسمى العويجا ويقوا ساكنين وآمنين اثناء مدة خلافتهم مع خليفة
وهم في جوار آل سعود كذلك سبق أن جرف ساحل العديد سفينة كبيرة من الهندونهبوا

سكان العديد أموالهم والإنجليز طلبوا استرجاع الأموال بواسطة الوالد رحمه الله وقال لهم بأن سكان العديد يرجع أمرهم الى آل سعود ولا لنا عليهم سيطرة وخاطبوا زايد بأن هؤلاء تابعين لآل سعود وبعد ذلك الإنجليز حاولوا يرسلون باخرة حربية ليستقموهم منهم ويسترجعون الأموال ولكنهم عرفوا عن ذلك قبل وصول الباخرة ووصلت الباخرة ولم تجدهم هناك وهذه الأدلة كلها تثبت أن العديد لم يكن في يوم من الأيام ينسب الى أبو ظبي وأهلها ولو معرفتنا التامة أنه لآل سعود ما والله كنا نخليه ساعة واحدة لأن كيف لأهل أبو ظبي وهذا موقعه منا لكننا نعرف كيفية حالته وتابعيته أنه لآل سعود. أما في وقت الترك فكان فيه مدير يسمى خلف شاولش وكانت رئاسته في الأحساء يتبع مركز الأحساء وهذا ما تذكره معلومات ومعرفتنا الحقيقية، وهذا ونسأل الله الكريم إعادة الحق الى نصابه وإزالة القباس الناجل، هذا مالزم مع ما يبدو لكم من لازم بكمال المعنوية يقضي سلامنا الأخوان الكرام والابن المحروس ومنا الوالد علي والد أحمد وإخوانه يسلمون والله يحفظكم ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ختم
عبدالله بن قاسم آل ثاني^(١)

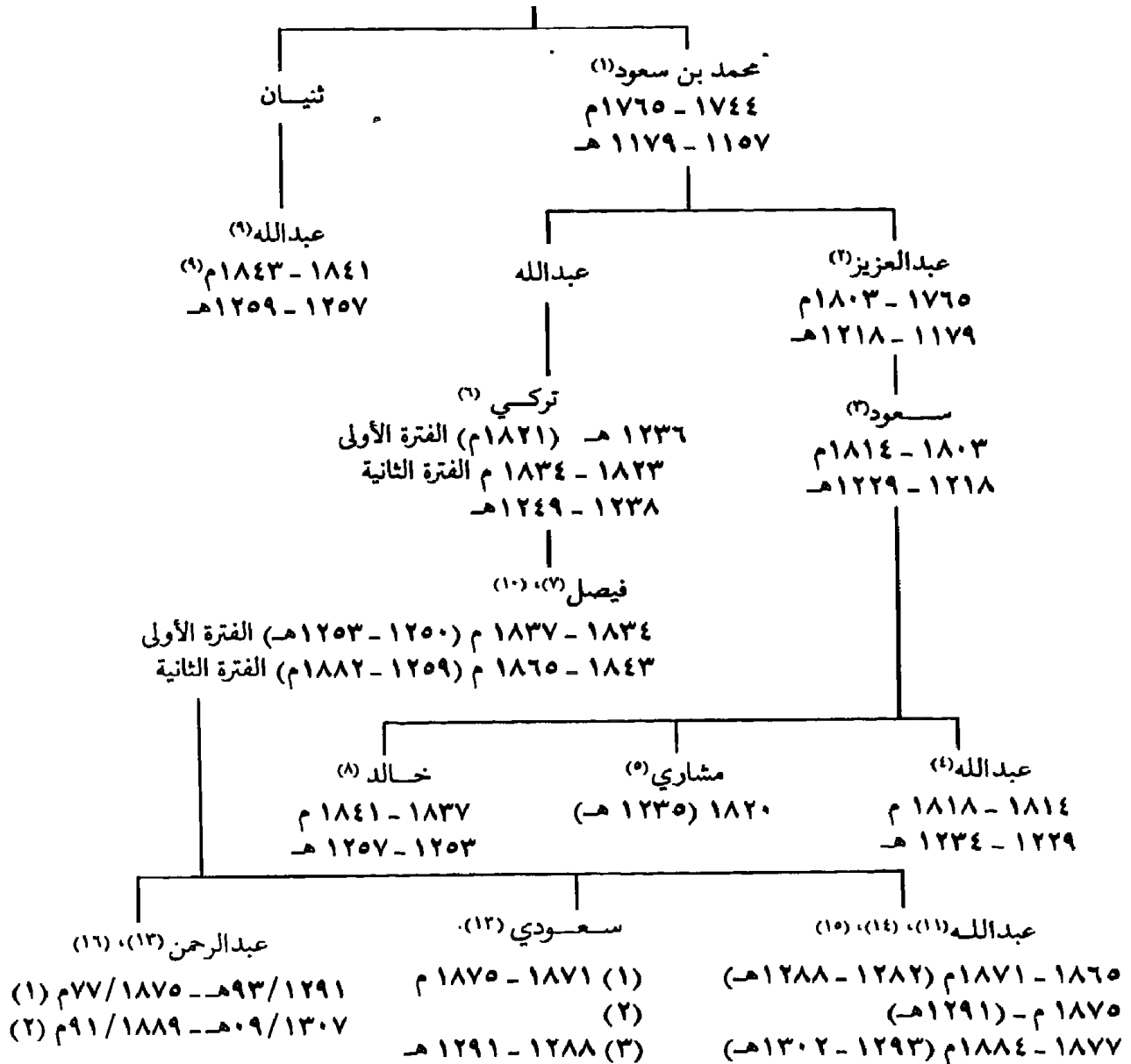
(١) من وثائق عرض الحكومة السعودية في الجزء الخاص بالملاحق، ملحق ١١١.

حكام آل سعود في الدورين الأول والثاني

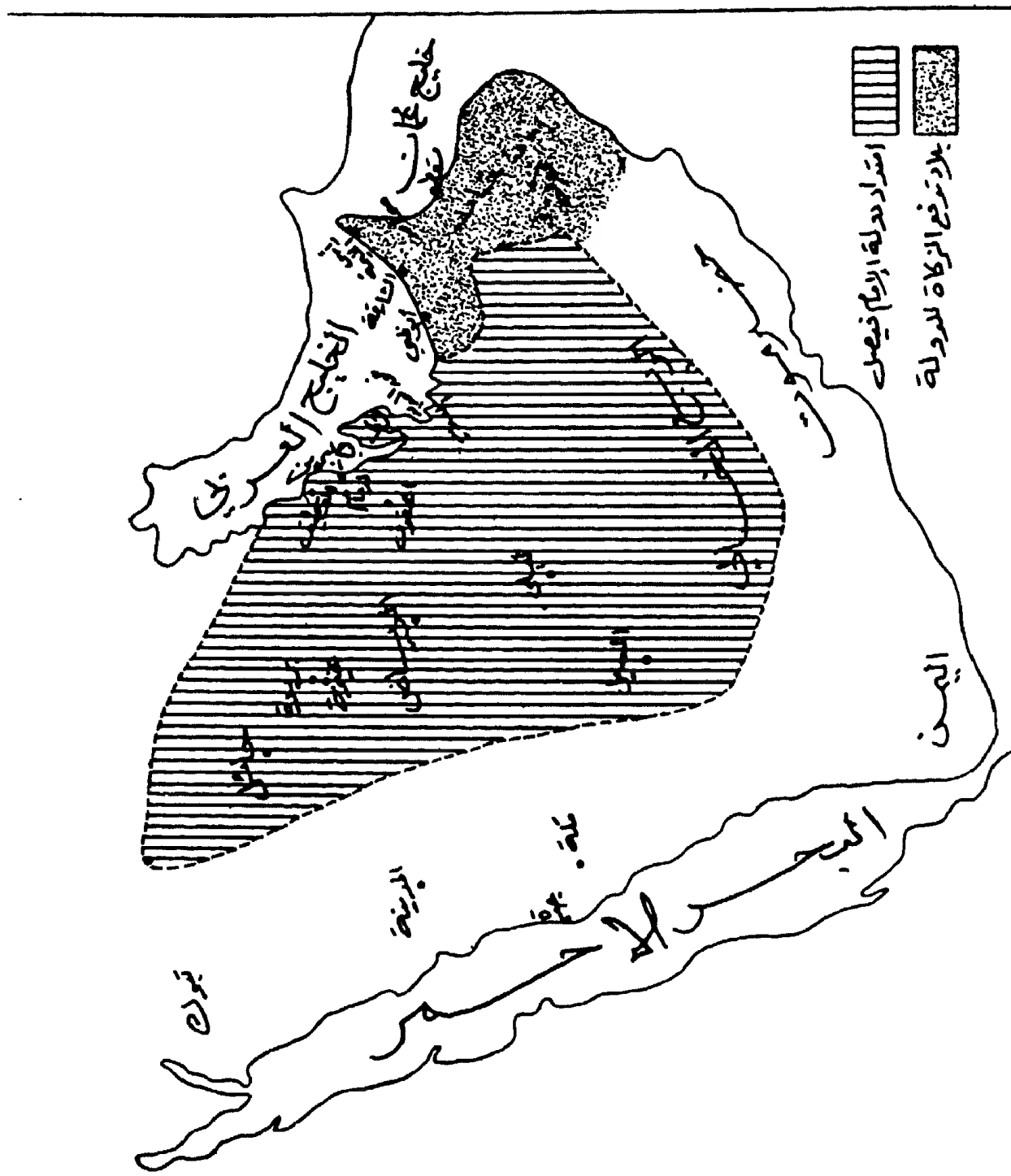
من ١٧٤٤ - ١٨٩١ م
١١٥٧ - ١٣٠٩ هـ

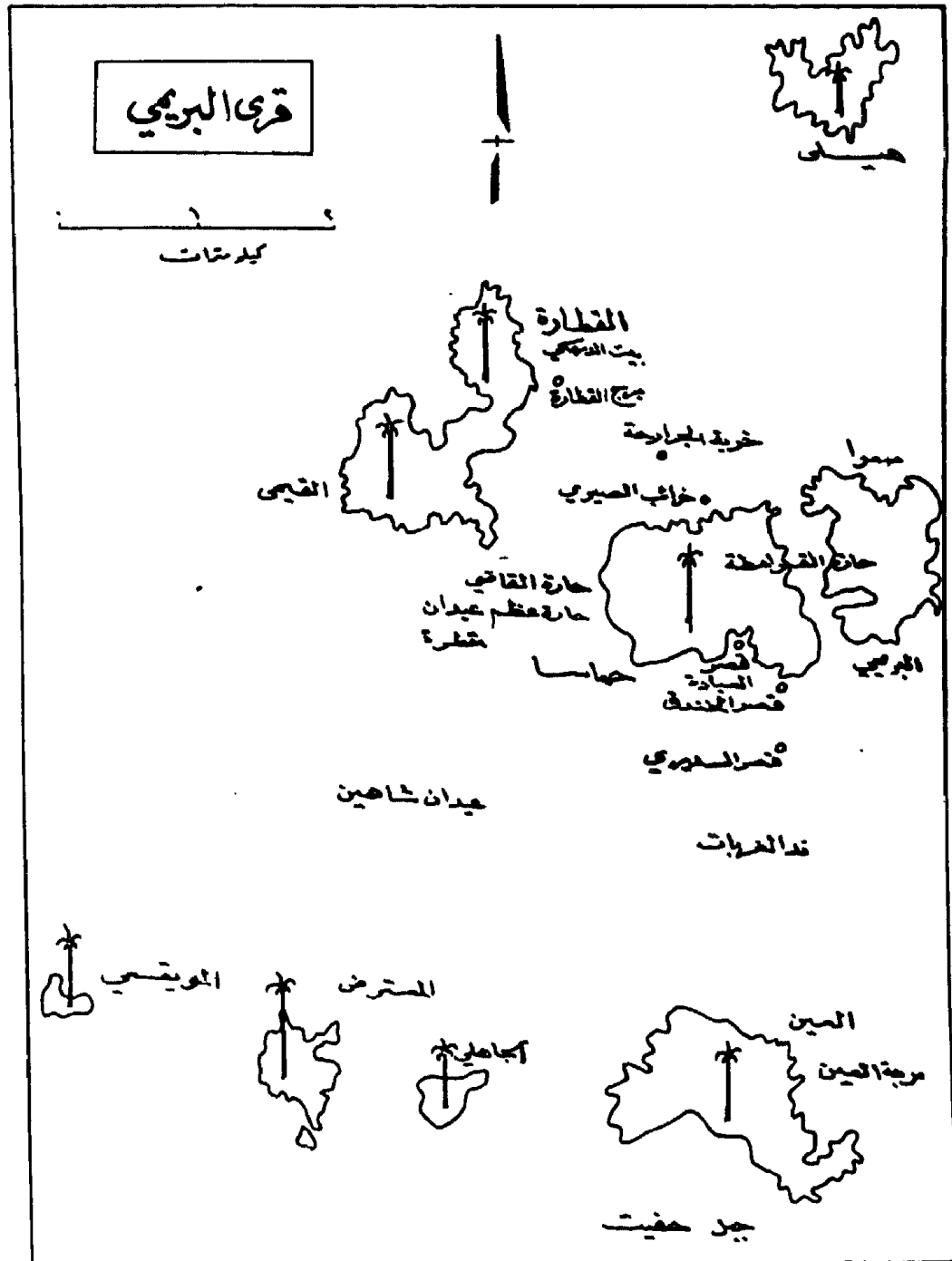
الجدول مرتب حسب توليهم الحكم ، ويبين مدة حكم كل واحد منهم

سعود بن محمد بن مقرن

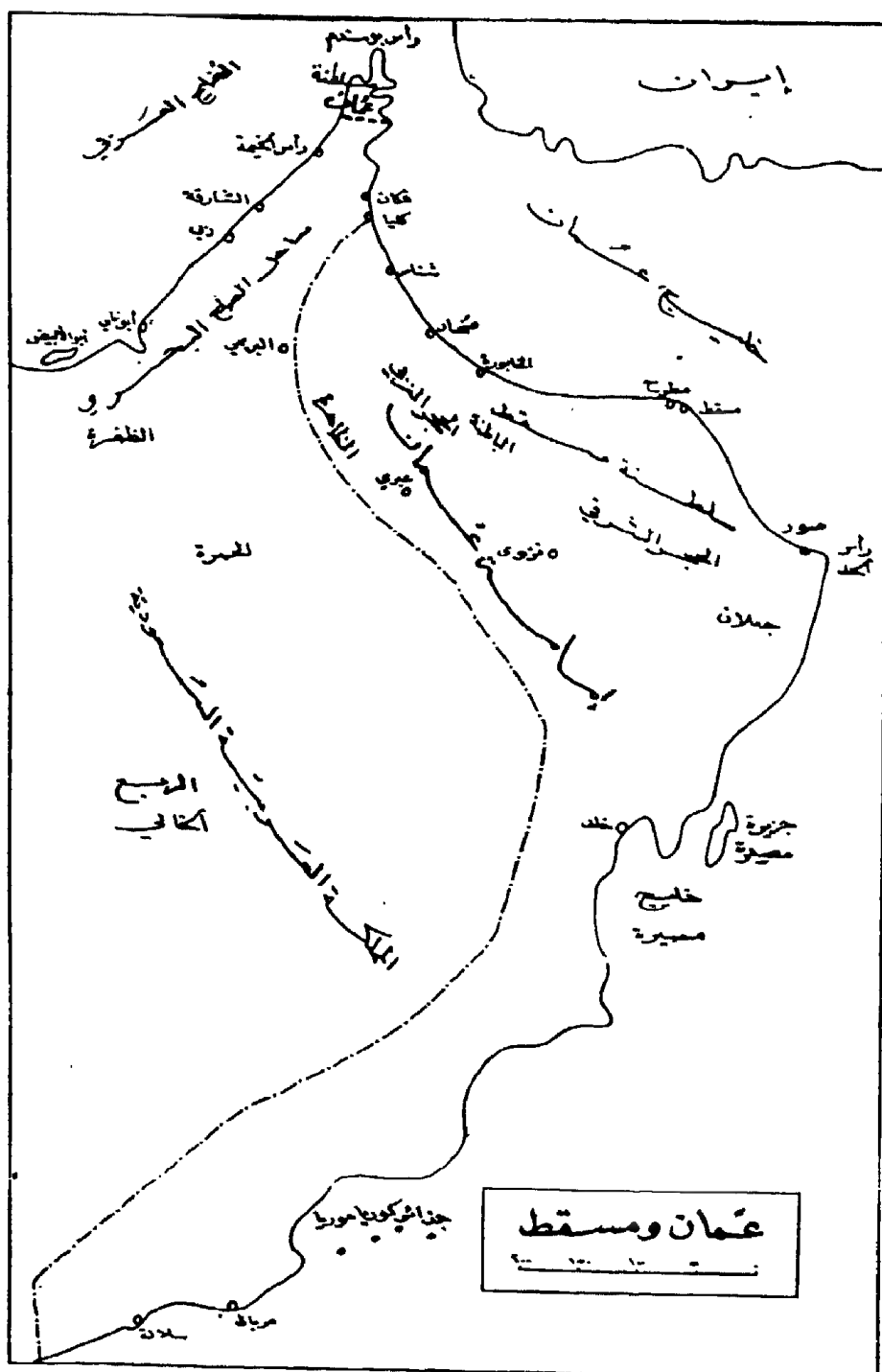


الخرائط

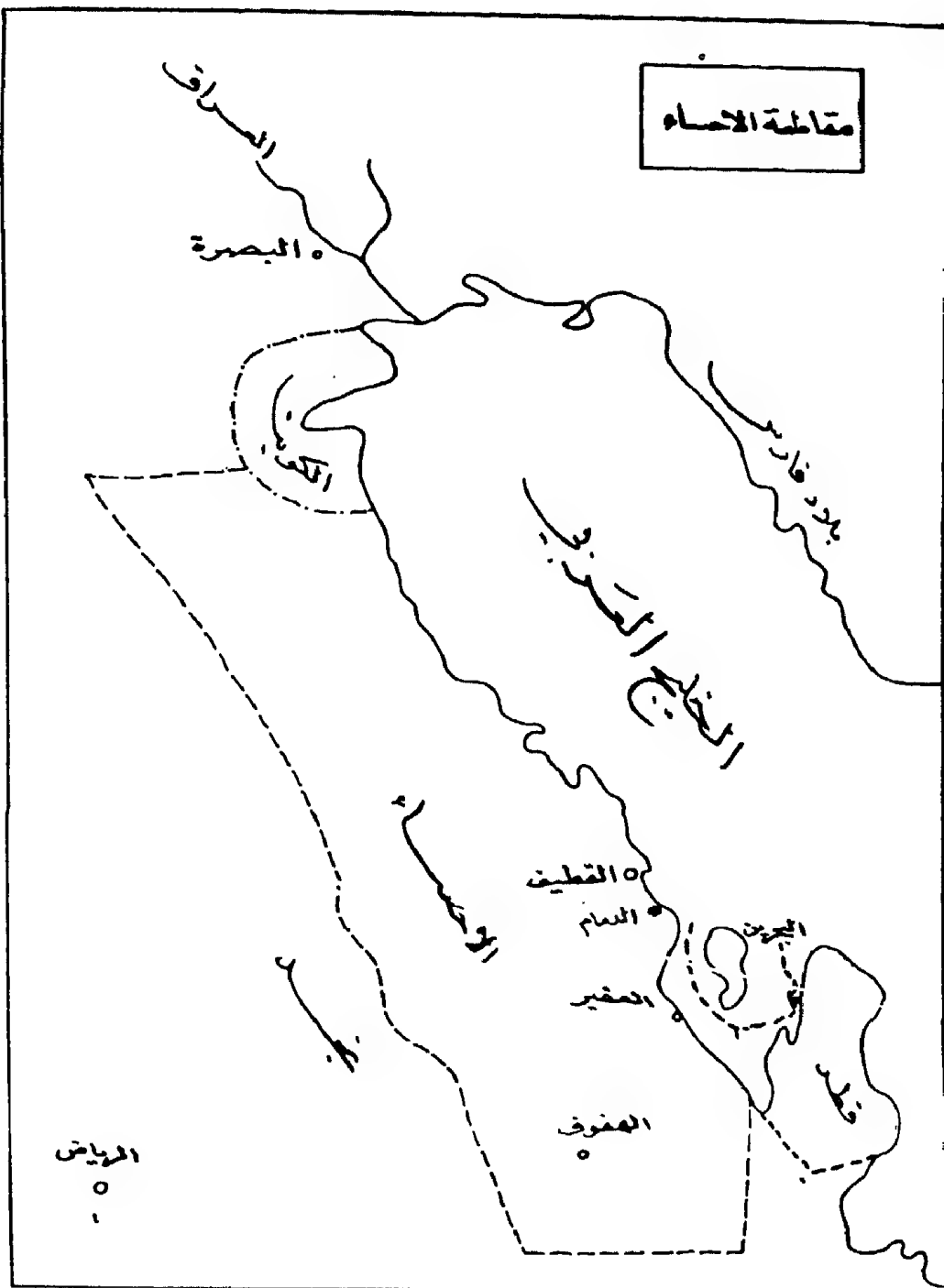




أخلاق من عرض المودية مجلد ١ ص ٣١



أخذت من مؤلف كتابي الصحفي من وزارة المعارف السردية



الوثائق والمصادر العربية

مصادر البحث

الوثائق

- وثائق دار الوثائق القومية التاريخية بعابدين وهي :
محافظ الحجاز
محافظ بحر برا
الأوامر الكريمة الصادرة عن ديوان الخديوية في مصر
بند متفرقات وقد أشرنا إلى جميعها في الحواشي .
وهذه الوثائق تبحث في علاقة الدولة التركية والمصرية بجزيرة العرب .
 - بعض الوثائق الموجودة في حوزة رجال التاريخ والأدب .
 - وثائق عرض حكومة المملكة العربية السعودية أمام هيئة التحكيم الدولية لتسوية النزاع الاقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، عرض حكومة المملكة العربية السعودية، الجزء الأول (الأساس)، الجزء الثاني والثالث وثائق، طبعت في القاهرة في ٣١ يوليو ١٩٥٥م، ١١ ذي الحجة ١٣٧٤هـ .
- من الوثائق التركية التي استخدمت في البحث :

- وثيقة دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٤٨٩، ص ٨٠، مؤرخة في ٢٩ صفر ١٢٥٢هـ، من الجناح العالي إلى حبيب أفندي - محافظ الحجاز - دار الوثائق القومية بعابدين .
- مضمون ما جاء في الوثيقة دفتر ٧٠، معية تركي، رقم ٤٣٦، ص ٧٤ المرسلة، من جناح الخديوي إلى حسين بك مدير النصف الأول من الوجه القبلي، مؤرخة في ٢٨ محرم سنة ١٢٥٧هـ دار الوثائق القومية بعابدين .
- مضمون ما جاء في الوثيقة دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٨٧١، ص ١٥٢، مؤرخة في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢هـ، من الجناح العالي إلى باقي بك، دار الوثائق القومية بعابدين، والوثيقة دفتر ٧٠، معية تركي، رقم ٤٠٧، ص ٦٧، مؤرخة في ١٩ محرم سنة ١٢٥٢هـ من الجناح العالي إلى عباس باشا، دار الوثائق القومية بعابدين، والوثيقة دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٨٠٩، ص ١٤٢، مؤرخة في ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢هـ من الجناح العالي إلى حبيب أفندي بعابدين .

- مضمون الوثيقة دفتر ٧٧، معية تركي، رقم ١٠٣، ص ١٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجناح العالي إلى أحمد باشا، والوثيقة دفتر ٧٤، معية تركي رقم ٦١٧، ص ١٠٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ، من الجناح العالي إلى الخزينة، دار الوثائق بعابدين.
- مضمون الوثائق دفتر ٧٧، معية تركي، رقم ١٠٤، ص ١٥، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجناح العالي إلى إسماعيل بك بعابدين، والوثيقة دفتر ٧٨، معية تركي، رقم ١٦٣، ص ٤٦، مؤرخة في ٢٠ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجناح العالي إلى سليم باشا بعابدين.
- الوثيقة دفتر ٧، معية تركي، رقم ٤٠٧، ص ٦٧، مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٢هـ، من الجناح العالي إلى إسماعيل بيك محافظ الحجاز، دار الوثائق القومية بالقاهرة.
- وثيقة محفظة ٢٦٢ حمراء، رقم ٩٠، مؤرخة في شوال ١٢٥٣هـ، من خورشيد باشا إلى المعية السنية، عابدين.
- الوثيقة رقم ١٠٦ حمراء، محفظة ٢٦٢، ومؤرخة في ١٢ ربيع الأول ١٢٥٣هـ، دار الوثائق القومية بعابدين.
- وثيقة رقم ١١٩، حمراء محفظة ٢٦٢، عابدين، مؤرخة في ٢٠ رمضان ١٢٥٣هـ من خورشيد إلى صاحب الدولة.
- انظر كذلك: المرفق مع الوثيقة رقم ١٩٦، محفظة ٦٢ حمراء، المؤرخة في ٢٥ شعبان سنة ١٢٥٣هـ من يحيى بن سليمان إلى خورشيد باشا.
- وثيقة رقم ١١٩ حمراء، محفظة ٢٦٢، مؤرخة في ٢٠ رمضان سنة ١٢٥٣هـ، عابدين من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة.
- وثيقة محفظة ٢٦٢، عابدين، حمراء رقم ٩٠، مؤرخة في غرة شوال سنة ١٢٥٣هـ، من خورشيد باشا إلى المعية السنية.
- وثيقة محفظة ٢٦٢، رقم ٢٦٥، مؤرخة في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٥٣هـ. من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، عابدين.
- وثائق عابدين، محفظة رقم ٦٧٠ - حجاز ١٢٥٥، صورة المرفق العربي رقم ٣ للوثيقة العربية رقم ١٩٤، حمراء بتاريخ ٢١ ربيع الآخرة ١٢٥٥ (٥ يونيو ١٨٤٠م)، رسالة من هنل إلى سلطان بن صقر حاكم الشارقة.
- محفظة رقم ٢٧٩ عابدين، وصورة المرفق العربي للوثيقة التركية ٨٧/٢٨ أصلية حمراء، مؤرخة في ١١ ذي القعدة سنة ١٢٥٥هـ من سعيد بن سلطان إلى أحمد باشا. وكذلك: محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، الوثيقة التركية رقم ٨٧/٢٨ أصلية حمراء بتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ، من أحمد باشا إلى باشمعاون جناب الخديوي.

- هناك عدة وثائق تبين مدى الصعوبات المالية والعسكرية التي كانت تواجه العسكر في الجزيرة العربية ، ونذكر بعضاً منها:-
- الوثيقة ، دفتر ٧٤ ، معية تركي ، رقم ٦١٧ ، ص ١٠٥ ، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ في الجنب العالي إلى الخزينة دار . عابدين .
- الوثيقة دفتر ٧٤ ، معية تركي ، رقم ٧١٨ ، ص ١٢٥ ، مؤرخة في ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٥٣هـ من الجنب العالي إلى الخزينة دار - عابدين .
- الوثيقة ، دفتر ٧٧ ، معية تركي ، رقم ١٠٤ ، ص ١٥ ، مؤرخة في ١٩ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجنب العالي إلى أمير اللواء إسماعيل بك ، عابدين .
- الوثيقة ، دفتر ٧٨ ، معية تركي ، ص ٤٦ ، رقم ١٦٣ ، مؤرخة في ٢٠ صفر سنة ١٢٥٢هـ من الجنب العالي إلى سليم باشا ، عابدين .
- الوثيقة ، محفظة ٢٦٩ ، عابدين حجاز ، مؤرخة في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ ، غرة ٣٢ أصلية من بلاد غامد ، غرة ١٢٦ حمراء من أحمد باشا سر عسكر الحجاز إلى صاحب العطوفة زكي بك وكيل شوري المعاونة .
- محفظة ٢٦٩ ، عابدين ، غرة حمراء ٢٨ ، ورقة عدد ٢ ، مؤرخة في ٥ محرم ١٢٥٦هـ ، رسالة من أحمد شكري سر عسكر الحجاز ، إلى خورشيد باشا ، سر عسكر نجد ، الأمر الموجه في ١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ .
- ما جاء في ملحق الوثيقة ، رقم ٧٥١ ، دفتر ٧٤ ، صفحة ١٣٠ ، مؤرخة في ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٥٢هـ ، من الجنب العالي إلى حبيب أفندي ، محافظ الحجاز ، دار الوثائق القومية بعابدين .
- أنظر الوثيقة ، محفظة رقم ٢٧٠ - عابدين ، رسالة من خورشيد إلى باشمعاون الجنب العالي في ٣ شعبان سنة ١٢٥٦هـ ، وردت في ٢٥ شعبان ١٢٥٦هـ ، غرة ١٤٩ حمراء .
- وثائق عابدين ، محفظة رقم ٢٧٠ ، حجاز ١٢٥٥هـ ، صورة المرفق العربي رقم ٣ الوثيقة العربية رقم ١٩٤ ، حمراء بتاريخ ٢١ ربيع الآخرة ١٢٥٥هـ - ٥ يونيو ١٨٤٠م .
- وثيقة ، دفتر رقم ١٩١٠ ، أوامر عربي ، صورة الأمر الكريم رقم ٤ ، ص ٢٩ ، بتاريخ ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٠هـ من الجنب العالي إلى الشيخ فيصل بن تركي ، محافظ الحجاز بعابدين .
- دفتر ١٩١١ - أوامر كريمة ، صورة الأمر الكريم رقم ٦ بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٨١هـ ص ٣٢ من الخديوي إسماعيل باشا إلى فيصل أمير نجد ، عابدين .
- دفتر رقم ١٩١٠ ، أوامر عربي ، صورة الأمر الكريم رقم ٤ ، ص ٢٩ بتاريخ ٧ جمادى أول ١٢٨٠هـ من الخديوي إسماعيل إلى الشيخ فيصل بن تركي .
- دفتر رقم ١٩٠٨ ، أوامر عربي ، ص ٩٥ ، صورة الأمر الكريم رقم ٤٢ ، بتاريخ ٢٥ ذي

- الحجة سنة ١٢٨٠هـ، من الخديوي إسماعيل إلى فيصل بن تركي، دار الوثائق القومية بعابدين.
- وثيقة بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٨٢ هـ (بدون رقم)، ومقيدة بسجل رقم ٢٣، عابدين، ص ٩٣، بند متفرقات من خديوي مصر إسماعيل باشا إلى محمد بن عايض، أمير عسير.
- الوثيقة دفتر ١٩١٠، أوامر عربي صورة الأمر الكريم رقم ٣ ص ٢٢، بتاريخ ٧ جمادى الأول ١٢٨٠هـ من الجناب العالي إلى الشيخ طلال بن رشيد، دار الوثائق القومية بعابدين.
- وثيقة دفتر ١٩١٠ أوامر عربي، صورة الأمر الكريم رقم ٢٩ بتاريخ ٧ جمادى الأول ١٢٨٠هـ، دار الوثائق القومية بعابدين.

المصادر والكتب العربية :

- إبراهيم بن صالح بن عيسى
- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم، وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ)، أشرف على طبعه الشيخ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، بيروت ١٩٦٧م.
- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر الهجري، القاهرة ١٣٧٣هـ.
- إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، مطبعة دار منشورات البصري، بغداد ١٩٦٢م.
- ابن بطوطة
- رحلة ابن بطوطة، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
- أبو محمد بن أحمد الهمداني
- صفة جزيرة العرب، قام بنشره وتصحيحه ومراجعته وتحقيق بقاعة المؤرخ محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٣م.
- أحمد السباعي .
- تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٦هـ.

- أحمد أمين
زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة
١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.
- أحمد بن زيني دحلان
خلاصة الكلام في أمراء بيت الله الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ.
- أحمد بن علي بن مشرف
ديوان الإمام أحمد بن علي بن مشرف، طبع على نفقة حضرة صاحب العظمة
الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، مطابع العروبة، الدوحة، (بدون).
- أحمد حسين
مشاهداتي في جزيرة العرب، القاهرة ١٩٥٠م.
- أحمد عبدالغفور عطار
صقر الجزيرة، ٣ أجزاء، مطابع المؤسسة العربية للطباعة، جدة، طبعة ثانية في
١٠ محرم ١٣٨٤هـ.
- أحمد عزت عبدالكريم وآخرون.
تاريخ العالم العربي في العصر الحديث، مكتبة مصر ١٣٧٨هـ، ١٩٥٨م.
- أحمد عسه
معجزة فوق الرمال، بيروت، ١٩٦٦م.
- أحمد علي
آل سعود، مكة، ١٩٥٧م.

- أحمد قاسم البوريني
الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، بيروت، ١٩٥٧م.
- أحمد مصطفى أبو حاكمه
- محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨م.
- تاريخ الكويت، الجزء الأول، القسم الأول، لجنة تاريخ الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٧م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية. وهي مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا الحاضر. جمعها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الغاصمي، الجزء السابع، مطبعة أم القرى الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
- المملكة العربية السعودية، العلاقات الخارجية
دليل اقتصاديات المملكة العربية السعودية، مطبوعات الشرق الأدنى.
- إلياس الأبوي
تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا، من ١٨٦٣هـ — ١٨٧٩م
مجلدان، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٣م، ١٣٤١هـ.
- أمين الريحاني
تاريخ نجد وملحقاته، وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، دار الريحاني للطباعة والنشر، طبعة أولى، بيروت ١٩٥٤م.
- أمين سعيد
- تاريخ المملكة العربية السعودية، ٣ أجزاء، توزيع دار الكاتب العربي، طبعة أولى، بيروت، (بدون).

- ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ، دائرة معارف سياسية شرقية في جزئين مع ملحق خاص ، مطبعة عيسى الحلبي بمصر ١٩٣٣م .

- الخليج العربي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، (بدون) .

● لوثرروب ستودارد
حاضر العالم الإسلامي ، تعليق وحواشي الأمير شكيب أرسلان ، ترجمة عجاج نويض ، جزء ١ ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣هـ .

● بنواميشان
سيرة عبدالعزيز آل سعود ، ترجمة عبدالفتاح يسن ، بيروت ، (بدون) .

● بولس سلامة
ملحمة عيد الرياض ، طبعة ثانية منقحة ، دار الشمالي للطباعة ، بيروت ، في ١٣ شعبان ١٣٨٠هـ ، كانون ثاني ١٩٦١م .

● جان جاك بيربي
الخليج العربي ، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز ، نشر المكتب التجاري ، بيروت طبعة أولى ١٩٥٩م .

● جمال زكريا قاسم
الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٨٤٠ - ١٩١٤م) القاهرة ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٦٦م .

- دولة بو سعيد في عمان وشرقي أفريقية ١٧٤١ - ١٨٦١م ، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٨م .

- حافظ وهبة
- جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٥٥ م.
- خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة ١٩٦٠ م.
- حسن إبراهيم وأخوه
النظم الإسلامية، يبحث في النظم السياسية والإدارية والمالية والقضائية وفي نظام الرق عند المسلمين في كل العصور، طبعة أولى، مكتبة النهضة المصرية ١٣٥٨ هـ، ١٩٣٩ م.
- حسين خلف خزعل
تاريخ الكويت السياسي، جزء آ١ ١٩٦٢ م.
- حميد بن محمد بن زريق
الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين، مخطوط، موجود في مكتبة شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران.
- خير الدين الزركلي
الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين، عشرة أجزاء، طبعة مزيدة ومحملة بالخطوط والرسوم، بيروت، (بدون).
داكويرت فون ميكوش،
عبدالعزیز، نقله عن الألمانية أمين رويحة، بيروت، ١٩٥٣ م.
- دونالد ولبر
ایران ماضيها وحاضرها، ترجمة الدكتور عبد المنعم محمد حسنين وراجعه وقدم له إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة مصر، القاهرة ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م.

- راشد عبدالله الفرحان
مختصر تاريخ الكويت، مراجعة عبدالله زكريا الأنصاري، مكتبة دار العروبة
القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- رسول عبدالوهاب العسكر
البريمي إمارة عربية سعودية، ماهو الخلاف العربي السعودي البريطاني القائم حول
هذه الإمارة العربية، طبع بمطبعة الراعي ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م.
- ساطع الحصري (ابوخلدون)
محاضرات في نشوء الفكرة القومية، القيت هذه المحاضرات في قاعة الجمعية
الجغرافية بالقاهرة بدعوة من كلية الآداب عام ١٩٤٨م، طبعة رابعة، دار العلم
للملايين، بيروت ١٩٥٩م.
- سعود بن هذلول
ملوك آل سعود مطابع الرياض - الرياض، (بدون).
- سليمان الدخيل
تحفة الألباء في تاريخ الاحساء، مطبعة الرياض، بغداد ١٩١٢م، ١٣٣٤هـ.
- سليمان بن عبدالوهاب
الصواعق الإلاهية في الرد على الوهابية، طبع بنفقة مكتبة التهذيب بميدان الأزهر
بمصر، (بدون).
- سليمان بن سحمان
الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، مطابع الرياض، ١٣٧٦هـ،
١٩٥٧م.

- سليم طه التكريتي
الصراع على الخليج العربي، من السلسلة السياسية، وزارة الثقافة والإرشاد،
بغداد ١٩٦٦ م.
- سيد محمد ابراهيم
الحياة الاجتماعية بالملكة العربية السعودية، مكتبة مصر بالقاهرة، طبعة أولى
١٣٨٠ هـ، ١٩٦٠ م.
- سيد نوفل
الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي، جزء آن معهد الدراسات العربية،
القاهرة، الأول عام ١٩٦٠ م والثاني ١٩٦٦/١٩٦٧ م.
- سيف الدين مرزوق شملان
من تاريخ الكويت، مطبعة نهضة مصر، طبعة أولى، ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩ م
- شركة الزيت العربية الأمريكية، إدارة العلاقات، شعبة البحث، المناطق الشرقية
في مقاطعة الحسا.
لا توجد من هذا الكتاب سوى نسخة واحدة بالعربية، وواحدة باللغة الإنجليزية.
والكتاب مطبوع على آلة ستانسل في الظهران في ٢ ربيع الثاني، ١٣٦٥ الموافق ٣١
يناير ١٩٥٠ م.
- عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، القاهرة ١٩٥١ م.
- شهاب الدين أحمد حجر العسقلاني
- الدرر الكامنة في أعيان المائة، (بدون) الثانية، حققه وقدم له محمد سيد جاد الحق،
٥ أجزاء، القاهرة دار الكتب الحديثة (بدون)

- صلاح الدين المختار
تاريخ المملكة العربية السعودية، ماضيها وحاضرها، جزءان، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٢٧٦هـ، ١٩٥٧م.
- صلاح العقاد
- التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٥م
- الاستعمار في الخليج (العربي)، القاهرة، ١٩١٦هـ.
- ضاري بن الرشيد
نبذة تاريخية عن نجد، مخطوطة، كتبت بيد وديع البستاني في مدينة بومباي في الهند، وموجودة على شكل فوتوغراف في مكتبة شعبة البحث العربية التابعة لرامكو بالظهران.
وقد طبعت بإشراف حمد الجاسر مدير دار اليمامة في الرياض وبيروت عام ١٩٦٨م.
- عباس العزاوي
العراق بين احتلالين، المجلد السابع، بغداد ١٩٥٥م.
- عباس محمود العقاد
الإسلام في القرن العشرين، القاهرة، (بدون).
- عبد البديع السيد صقر
دليل قطر الجغرافي، مطابع دار العباد، بيروت، (بدون).
- عبد الحميد الخطيب
الامام العادل، القاهرة، (بدون).

- عبدالرحمن الجبرقي
كتاب الآثار في التراجم والأخبار، ٤ مجلدات، مصر ١٣٢٢هـ.
- عبدالرحمن الرافعي
عصر محمد علي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.
- عبدالرحمن الناصر
عنوان المجد والسعد، مخطوط، جزء آن، موجود في مكتبة شركة آرامكو.
- عبدالرحمن نصر
عاهل الجزيرة، عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، (بدون).
- عبدالعزيز الرشيد
تاريخ الكويت، وضع حاشيته وأشرف على تنسيقه يعقوب عبدالعزيز الرشيد، بيروت، (بدون).
- عبدالقادر زلوم
عمان والإمارات السبع، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- عبدالكريم محمود غرايبة
مقدمة تاريخ العرب الحديث، (من ١٥٠٠ - ١٩١٦م)، العراق والجزيرة العربية، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- عبدالله عبد الجبار
التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، محاضرات ألقاها على طلاب قسم الدراسات الأدبية واللغوية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٥٩م.

- عبدالمعين عثمان بشناق
الدليل العام للمملكة العربية السعودية، ١٣٧٦هـ/١٩٥٨م.
- عثمان بن بشر النجدي
عنوان المجد في تاريخ نجد، جزء آ، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٩٣٠م.
- فؤاد حمزة
- البلاد العربية السعودية، مطبعة أم القرى ١٣٥٥هـ.
- قلب جزيرة العرب، المطبعة السفلية ومكتبتها، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.
- في ربوع عسير، القاهرة، ١٩٠.
- فيني هـ. دافيد، بتول الصحراء، ترجمة إسماعيل الناظر، بيروت ١٩٦٠م.
- قدري قلعجي
- الخليج العربي، بيروت، (بدون).
- أضواء على تاريخ الكويت، دار الكاتب العربي، بيروت، (بدون).
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الثالث، رسائل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ. جمعها العلامة الشيخ سليمان بن سحان؛ مطبعة المنار بمصر، (بدون).
- محمد أنيس والسيد حراز
الشرق العربي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة (بدون)
- محمد بن خليفة النبھاني
التحفة النبھانية في تاريخ الجزيرة العربية، الجزء السادس، (البحرين)، والجزء العاشر (المتفق)، الطبعة الثانية، ١٣٤٢هـ.

- محمد عبدالله آل عبدالقادر الأنصاري الأحسائي .
تاريخ الاحساء المسمى تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والحديث جزء آن،
الرياض ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
- محمد بن عبدالوهاب
مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٧هـ.
- محمد بن المكارم البغدادي (أبو عبدالله)
كتاب الفتوة، حققه مصطفى جواد وآخرون، ١٩٥٨م.
- محمد بهجت سنان
البحرين درة الخليج العربي، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- محمد سعيد المسلم
ساحل الذهب الأسود، دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي، منشورات دار
مكتبة الحياة، بيروت ١٩٣٠م.
- محمد شاكر الكتبي
فوات الوفيات، حققه وطبعه وعلق حواشيه محمد يحيى الدين عبدالحميد،
جزء آن، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة.
- محمد شيبه بن نور الدين السالمي
نهضة الأعيان بحرية عمان، مخطوط في آرامكو، وطبع في مطابع دار الكاتب
العربي، القاهرة، (بدون) .
- محمد رفعت
التوجيه الساسي للفكرة العربية الحديثة، مكتبة العلوم السياسية، دار المعارف
بمصر، ١٩٦٤م.

- محمد عبدالله ماضي
النهضات الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥١م.
- محمد عمر رفيع
- في ربوع عسير، ذكريات وتاريخ، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
- تاريخ عسير السياسي في غضون مائة وخمسين سنة، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
- محمد عيسى العقيلي
تاريخ المخلاف السليماني أو (الجنوب العربي) جزء آن مطابع الرياض، (بدون).
- محمد مختار باشا
التوقيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الميلادية والقبطية، القاهرة ١٣٤١هـ.
- محمود شكري الألوسي
تاريخ نجد، في آخره تنمة ونقد للشيخ سليمان بن سحمان، حققه وعلق عليه محمد بهجت الاثري، الطبعة الثانية، طبع على نفقة المكتبة العربية، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤٧هـ.
- محمود طه أبو العلا
جغرافية شبه جزيرة العرب، المملكة العربية السعودية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.
- مصطفى مراد الدباغ
- قطر ماضيها وحاضرها، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت في جمادي الثانية، ١٣٨١هـ، تشرين الثاني ١٩٦١م.

- الجزيرة العربية (موطن العرب ومهد الإسلام) جزء آن، الطبعة الأولى، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

● منير العجلاني

تاريخ البلاد العربية السعودية، الجزء الأول، الدولة السعودية الأولى، دار الكاتب العربي، بيروت، (بدون).

● مؤرخ مجهول

لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، مخطوط محرر في ذي الحجة ١٢٣٢هـ وانتهى من تحريره في يوم السبت ٢٦ محرم ١٢٣٣هـ، موجود في حوزة شركة البترول العربية الامريكية، آرامكو. يذكر جماعة من المؤرخين أن مؤلف هذا الكتاب مجهول، إلا أنه يوجد في ذيل إحدى صفحاته ما يلي:

«وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب في يوم السبت السادس والعشرين من شهر محرم الحرام ١٢٣٣هـ، كتبه العبد الجاني حسن بن جمال بن أحمد الريكي». وحتى الآن لم يثبت هل الريكي هو المؤلف أم لا، ولقد طبع هذا الكتاب في بيروت. قام بتحقيقه الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة.

● نور الدين عبدالله السالمي

تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جزء آن، مطابع دار الكاتب العربي بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

● هاشم بن سعيد النعيمي

تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ٣ أجزاء في كتاب واحد، مكة، (بدون).

● ياقوت الحموي

معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت، (بدون).

معارف عامة :

● دائرة المعارف الإسلامية .

● الجرائد

- جريدة أم القرى، جريدة عربية إسلامية تصدر مرة في الأسبوع. صدرت يوم الجمعة في ١٥ جمادي الأول ١٣٤٣هـ / ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م في مكة المكرمة، مديرتها يوسف ياسين. الأعداد ١١١ السنة الثالثة في ٢٤ رجب ١٣٤٥هـ / ٢٨ يناير سنة ١٩٢٧م، والعدد ١١٣ في ٨ شعبان ١٣٤٥هـ / ١١ فبراير ١٩٢٨م، والعدد ١١٤ من السنة نفسها، وعدد ٢١٨ من عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م.

- جريدة الزوراء، بغداد

عدد ٢٠٨ في ٨ شوال ١٢٨٨هـ.

● المجلات

- مجلة لغة العرب، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، تصدر في بغداد أصدرها الأب انسطاس ماري الكرمل. مجموعة من أعداد السنوات (١٩١١، ١٩١٣، ١٩١٤م).

- مجلة الهلال المصرية، شهرية تصدر عن دار الهلال بالقاهرة عدد ١١ سنة ١٣٧٦هـ / نوفمبر ١٩٦٤م.

الوثائق والمصادر الأجنبية

المصادر الأجنبية

● الوثائق الأجنبية

وثائق محفوظة في مكتبة البحث العربية بشركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران

وهي تحوي وثائق من

- Bahrein Archives. Book, 110, 125, 117, 130, 143, 154, 159, 162, 166, 172.
- Muscul Archives. Book, parts 4, 5.

وهناك وثائق منشورة وهي :

- Aitchison (C.V.).

A collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, 12 vols., Calcutta, 1892.

أخذنا عن الأجزاء التالية :

Vol. X.-Containing Treaties etc.

Relating to Persia and Persian Gulf.

Vol. XI, Containing Treaties etc.

Relating to Turkish Arabia, Maskat, Aden, and Adjacent Coast and Zanzibar.

- Memorial Submitted by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland, 2 vols. Arbitration Concerning Buraimi and the Common Frontiers between Abu Dhabi and Saudi Arabia.
- Selection from the Records of the Government of Bombay, No. 24, Bombay, 1856.

من الوثائق الأجنبية التي استخدمت في البحث

- رسالة من المرستون إلى هودجز للقنصل البريطاني في مصر بتاريخ ١٨٣٨/١٢/٢٤ م.
- Caption S. Hannell, Political Resident, Persian Gulf to the Government of Bombay, May 7, 1839 (Bahrain Archives, Book 100, pp. 290-301) ARAMCO, Dhahran.
- رسالة من الشيخ خليفة بن شخبوط إلى دار المعتمد البريطاني في الخليج ، والرسالة بدون تاريخ - من محفوظات البحرين - كتاب رقم ١١٧ - ص ٢٦ - ٢٨ - مترجمة إلى الإنجليزية - محفوظة عند شركة الزيت ، آرامكو بالظهران .

- Selections From Records of the Bombay Government No. 24, p. 156.
- Captain S. Hennell Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay, May 7, 1839 (Bahrain Archives, Book 110, pp.290-301) Aramco, Dhahran.
- Major S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay, September 9, 1842 (Bahrain archives, Book 154, p. 469, Office No. 387 of 1847, Cons. 92 of 1847. (ARAMCO).
- Captain S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay, May 7, 1839, (Bahrain Archives, Book 110, pp. 290-301) ARAMCO.
- Major S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf to The Government of Bombay, September 9, 1847, (Bahrain Archives, Book 154, p. 469, Office No. 387 of 1847, Cons. No. 92 of 1847), ARAMCO.
- Agent at Sharjah to Major Hennell, 12th Rujub, (June 14, 1848), Bahrain Archives, Book No. 159, pp. 299-306), ARAMCO.
- Agent at Sharjah to Major Hennell, 23 Rujub (June 25, 1848), Bahrain Archives, Book No. 150.
- Major S. Hennell, to The Government of Bombay, November 6, 1848, enclosing letter from Moollah Hussein, Agent at Sharjah to Major Hennell, September 24, 1848, (Bahrein Archives. Book. 159, pp. 498-506, Office No. 31 of 1848, Cons. No. of 1848), ARAMCO.
- Lt Col; S. Hennell, to The Government of Bombay, October 11, 1849, (Bahrein Archives, Book 192, pp. 212-218, Office Np. 303 of 1849, Cons. No. 69 of 1849), ARAMCO.
- Lt. Col S. Hennell, to The Government of Bombay, December 21, 1850, (Bahrein Archives, Book 166, part 3, pp. 258, Office No. 490 of 1850, Cons. No. 129 of 1850, ARAMCO.
- من رسالة يعقوب بن بشير الى بروزكمبل، مؤرخه في ٢٣ ذي القعدة ٩ ذي الحجة ١٢٦٩هـ «نحو ٢٨ أغسطس الى ١٣ سبتمبر ١٨٥٣م»، شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران.
- من رسالة يعقوب بن بشير الى كمبل، في ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠ «٢٨ ديسمبر ١٨٥٣م»، شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران.
- من رسالة يعقوب بن بشير الى الكومودور روينسون، مؤرخه ١٨ رجب سنة ١٢٧٠ «نحو ١٦ ابريل ١٨٥٤هـ»، شركة الزيت العربية الأمريكية.
- Lt Col. S. Hennell, to The Government of Bombay, December 21, 1850 (Bahrein Archives, Book 166, part 3, pp. 257-258, Office Np. 490 of 1850, Cons. No 129 of 1850), ARAMCO.
- Major S. Hennell, to The Government of Bombay, September 9. 1847, (Bahrain Archives, Book 154, p. 469. Office No. 387 of 1847, Cons. 92 of 1847), ARAMCO
- Major S. Hennell, Political Resident, Persian Gulf, to The Governmet of September 9, 1847, (Bahrain Archives, Book 154, p 469, Office No. 1847, Cons., No, 92 of 1847) Aramco.
- Pelly to Secretary to The Government of India, 28th September, 1871, (India office

- Political and Secret Dept. Letters from Persian Gulf, vol. 18).
- Pelly to Essau Ali, 29th September, 1871, (India Office Political and Secret. Dept. Letters from the Persian Gulf, vol. 19).
 - News Diary 3rd April, 1872 by Sidney Smith (India Office Political and Secret. Dept. Letters from the Persian Gulf. vol, 20).
 - News Diary, 5, 10 April, 1872 by Sidey Smith (India Office Political and Secret. Dept. Letters from the Persian Gulf, Vol. 20).
 - News Diary, 26th May, 1872 by Sidney Smith (India Office Political and Secret, Dept. Letters from the Persian Gulf, vo. 20).
- رسالة من أحد الوكلاء الوطنيين في القطيف الى المقيم البريطاني في الخليج بتاريخ ٢٤ يوليو سنة ١٨٧١م.
- India Office Political and Secret Dept. Letters from the Persian Gulf, vol. 10
 - Trans of Arabic News from the Consul general (Beghdad) to the British Embassy (Constantinople) 3rd March. 1869 (F. O. 195, 803 A).
 - Trans of Arabic News from the consul general (Baghdad) to the British Embassy (Constantinople) 3rd March, 1866 (F.N 195, 803 A)
 - Aitchison, Collections. of Treaties vol 11, p 206. Badger, Trans. and ed. History of Imams and Seyyids Introduction and analysis, p. civ.
- وردت هذه في: مجموعة المراسلات الهندية السياسية:
- (India Political Collections and Despatches, vol 88, col. 17, Fols. 12v. 13)
 - ARAMCO, Oman and the Southern Shore, See Appendix No. V, Zakah of payments of Tribes in the region of the Persian Gulf, p. 266. Aitchison, op. cit., vol. XL; p. 45.
 - Turkish Jurisdiction in the Land and Waters of the Persian Gulf, India Office Political and Secret Library B. 126, p, 318.
- أعمال حكومة الهند، مارس ٢٨٧٢ رقم ٣٧٣، تقرير من بلي الى حكومة بومباي عام ١٢٨٨ في ٣١ يوليو ١٨٧١ نقلاً عن عرض السعودية، مجلد ١، ص ٢٤٣.
- Turkish Jurisdiction in the Land and Waters of Persian Gulf, (India Office Political and Secret, Library B, 126, pp. 6-8.
 - See Pelly to Sec. to the Government of India, 1. 11. 1891 (India Office Political and Secret Dept, Letters from the Persian Gulf, vol, 19).
- من رسالة ارسلها عزان إلى الكولونيل بلي أنظر الوثيقة.
- (I.O) Sec Letters, various vol. 15, Azzan ibn Qais to Pelly, Jumada 1 1286 August, 1869
 - (I O) Sec. Letters, various, vol, 15, Azzan ibn Qais to Pelly, Jumada 1, 1286 August, 1869.
 - U. K Memorial, vo 1, p 77
- أعمال وزارة الخارجية في حكومة الهند، فبراير ١٨٧٠م، رقم ١٦٧، بتاريخ ١٨٦٩م.
- رسالة من ج. ا. جودلى وكيل وزارة الهند إلى وكيل وزارة الشؤون الخارجية، مؤرخة في وزارة الهند، لندن، في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٨٨٨م، ملحق ٢٠ رقم ب من وثائق التحكيم في قضية البريمي.

- Turkish Jurisdiction along the Arabia Coast of Persian Gulf, Part 11, p. 50, F. O. 78/5103.
- من التقرير الإداري الصادر عن دار المعتمد البريطاني في الخليج لعام ١٨٧٨ - ١٨٧٩، ص ٦.
- Major, Hennell, to The Government of Bombay. Septemper 9, 1847 (Bahgrein Archives, Book 145, p. 469, Office No. 387 of 187, Cons, No. 92 of 1947, ARAMCO, Dhahrin.

مراجع أجنبية:

- Abu Hakima (Ahmed)
History of Eastern Arabia,
Beirut, First edition, 1955.
- Admiyat (Feredoun)
Bahrein Islands "A legal and Diplomatic Study of British Iranian Controversy, New York, 1955.
- Admiralty and war Office,
Handbook of Arabia, 2 vols.
- Admiralty War Staff, Intelligence
Division, May, 1916.
- Arabian American Oil Company
- Oman and the Southern Shore of the Persian Gulf, Cairo, 1952.
- ARAMCO HANDOOK, Netherland, 1960.
- Armstrong (H.C.)
Lord of Arabia, Ibn Saud,
An intimate study of a King (London Arthur Barker Ltd., 1934).
- Badger (George Percy)
History of the Imams and Seyyids of Oman,
by Salil bin Razik from A.D. 661-1856.
"Translated from the Original Arabic and edited with appendices and an Introduction Containing the History" (London, 1871).
- Blunt (Lady Anne)
Pilgrimage to Nejd,
The Cardle of Arab race (a Visit to the Court of the Arab Amir and our persian campaign). 2 Vols. Second edition, John Murray, (London, 1881).

De Gaury (Gerald)

Arabia P'hoenix, An Account of a Visit to Ibn Saod Chieftain of Austere Wahabbis and Powerful Arabian King,

London, George Harrap and Company L. T. D., 1914.

– **De Gaury (Gerald)**

Arabian Journey and Other Desert Travels, (London, Sydney, Toronto, Bombay, George Harrap and Company L. T. D., 1950).

– **De Vaulabelle**

Histoire Moderne de l. Egypte, volume 2,

A. J. Denain, Paris 1836.

– **Dickson (H.R.P.)**

Kuwait and Her Neighbours,

(London, 1956).

– **Doughty (Charles)**

Travels in Arabia Deserts,

2 vols, (London, 1936).

– **Great Britain Direction of Historical Section of the Foreign Office.**

Arabia. (London, H. M. Stationery Office, 1920)

– **Hayder (Ali Midhat)**

The life of Midhat Pasha "A Record of his Services, Political Reforms, Panishment and Judicial Murder" drived from Documents and Reminiscenes, (London, 1905).

– **Hogarth (David George)**

History of Arabia, (Oxford 1922).

– **Kelly (Jone B.)**

Eastern Arabian Frontiers, (London, 1954).

– **Longrigg (H. Stephen)**

Four Centuries of Modern Iraq, (Oxford, 1925).

– **Lorimer (G.J.)**

Gazetteer of Persian Gulf, (Calcutta. 1915).

– **Palgrave (William Gifford)**

Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862-1863).

2 vols, (London, 1965).

- (Pelly Lewis)
Report on a Journey to the Wahabee Capital of Riyadh in Central Arabia,
(Bombay Printed for Government at the Education Society Press, Byculla
1966) iv 105.
موجود في مكتبة أرامكو، هذا وقد ألقى بلي محاضرة في الجمعية الجغرافية بلندن،
وطبعت المحاضرة بعنوان :
- Pelly's Visit to the Wahabee Capital. Arabia, Proceeding of Royal Geographical Society, 2nd Series, vol. 14, 1892.
- Philby (J.B.)
- Arabia, (London 1930).
- Arabia Jubilee, (London, first edition, 1952).
- Saudi Arabia, (London, first edition, 1955).
- Sadlier (Captain George)
An Account of a Journey from Katif on the Persian Gulf to Yanboo on the
Red Sea, London.
- Sanger (Richard H.)
Arabia Peninsula, (New York, first edition, 1954).
- Taylor (Bayard)
Travels in Arabia, (New York, Charles Scribner's Sons, 1893).
- Twitchell (K.S.)
Saudi Arabia with an Account of Development of its Natural Resources.
Whigham (N.J.)
The Persian problem, (London, 1903).
- Wilson (Sir Arnold)
The Persian Gulf, (London, 1954).
- Winder (R. Bayly)
Saudi Arabia in the Nineteenth Century, (London,
Melberne, Toronto, 1965).
- Zwerner (Rev. S. M.)
Arabia the Cradle of Islam, London, (New York, fourth edition, 1912).
مقالات نشرت في المجلات التي تصدر باللغة العربية .
- The Egyptian Economic and Political Review.
Vol. September, 1954 / August 1955

- Middle Eastern Affairs.
February, 1956.
Vol VII, No. 2.
- The Islamic Review Working,
England, April 1956.
- International Affairs.
Vol. 32 No. 3, July, 1956.

هذا الكتاب

يتناول هذا البحث الأكاديمي بالدراسة والتحليل والاستقراء تاريخ الدولة السعودية الثانية في الفترة من عام ١٢٥٦ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩١ م، أي الفترة التي أعقبت حكم محمد علي في الجزيرة العربية وحتى سقوط الدولة السعودية الثانية، ورحيل آخر أئمتها الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى الكويت .

والدولة السعودية الثانية هي وريثة الدولة السعودية الأولى، فعلى الرغم من سقوط الدولة السعودية الأولى وانهارها من الوجهة والمفهوم السياسي، إلا أنها تركت في البلاد السعودية مقومات قيام الدولة السعودية الثانية، إذ ظلت أفكار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ماثلة في قلوب الناس وأذهانهم، وظل المجتمع يكن ولاءاً للأسرة السعودية التي تبنت الدفاع ضد حملات محمد علي باشا والدولة العثمانية وولاتها، وبالتالي كان قيام تلك الدولة في كيانها السياسي والديني، وهو أمر اتسم بصفة الشمول والاستقصاء في هذا البحث .

To: www.al-mostafa.com